وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله
كلية الأدب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

الشعر في منطقة توات

دراسة تحليلية في شعر محمد بن أب المزَّمِّري

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب والنقد

تخصص قضايا الأدب والدراسات النقدية والمقارنة

إعـداد الطـالب:
❖ أحمد عكرامي

إشراف الأسـتاذ الدكتور:
- محمد بن منوفي

السنة الجامعية 2015-2016

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
كلية الأدب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

الشعر في منطقة توات

دراسة تحليلية في شعر محمد بن أب المزَّمِّري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب والنقد

تخصص قضايا الأدب والدراسات النقدية والمقارنة

من إعداد الطالب: **إشراف الأستاذ الدكتور:**

❖ **أحمد عكرامي** ✍ **محمد بن منوفي**

لجنة المناقشة:

أ.د عزي بوخالفة.....رئيساً

أ.د بن منوفي محمد.....مشرفاً ومقرراً

أ.د الزاوي لعموري.....عضواً مناقشاً

أ.د مقدم عائشة.....عضواً مناقشاً

السنة الجامعية 2013-2014

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين

وإلى كافة أفراد عائلتي دون استثناء.

وإلى كل أساتذتي والزملاء والأصدقاء.

أحمد عكرامي

كلمة شكر

الشكر لله

أولاً وقبل كل شيء على نعمه وتوفيقه.

وأتقدم للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور محمد بن منوفي بجزيل الشكر،

وفائق الاحترام والتقدير على التوجيهات، والإرشادات القيمة التي أمدني بها،

طيلة مدة البحث، والأستاذ الدكتور حاج أحمد صديق على مساعدته لي وتسهيله لي طريقة البحث، وإلى السادة سيد البو الحاج عبد القادر وغنجوري عبد القادر والحاج عبد السلام بخدا وبن الوليد الحاج عبد القادر والحاج الطيب الشاري وحينوني أحمد أقبلي وقومني مبارك والشيخ الحاج مختار بن جعفري .

كما أتقدم بالشكر لجميع أساتذة قسم اللغة والأدب

بجامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

خاصة أساتذتي الذين درسوني في الماجيستير

وكل من ساعدني في إنجاز عملي هذا.

ملخص بالعربية

لقد تعاقب على منطقة توات العديد من العلماء والشعراء، خاصة منذ القرن التاسع الهجري، والذين تركوا بصمتهم في الإقليم، فمنهم من خلف دواوين من الشعر، ومنهم من ترك لنا عدد من القصائد التي ما زالت تذكرهم عندنا، ومعظم هؤلاء الشعراء أئمة وعلماء، فامتزج علمهم بقول الشعر، وابن أب واحد من هؤلاء الشعراء العلماء، فهو كان معلما وفقيها وشاعراً من الفحول، ودليل ذلك ما خلف لنا من عديد المنظومات التعليمية، إضافة إلى مجموعة من القصائد في أغراض شتى، وما زاد من فحوليته الشعرية هو إضافته لبحر شعري جديد.

Résumé

Nous punissons Touat de nombreux scientifiques et zone de poètes, en particulier depuis le neuvième siècle de l'Hégire, et ceux qui ont laissé leur empreinte dans la région, certains d'entre eux derrière les recueils de poésie, et certains d'entre eux nous laissons un certain nombre de poèmes qui sont encore nous rappelle, et la plupart de ces imams et érudits poètes, Mélange connaissances cheveux Bean, et le fils du père de l'un de ces scientifiques, poètes, il était un enseignant et un érudit et poète des étalons, et la preuve en est que derrière nous des nombreux systèmes éducatifs, en plus d'un recueil de poèmes à des fins diverses, et augmenté la poésie est ajouté à la mer de nouveaux cheveux appartient à un peloton mers négligés.

مقـــــدمـــــة

يعتبر إقليم توات من أهم الحواضر العلمية التي لعبت دورًا هامًا في إثراء الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب العربي في العصر الحديث، فقد شكل على مدى تاريخه الضارب في القدم، منطقة ربط بين حواضر شمال المغرب العربي العتيقة وحواضر ما وراء الصحراء الإفريقية الناشئة، ونتيجة لذلك عرف الإقليم حركية علمية نشطة، ترجمها الكم الهائل من المخطوطات التي شكلت ميراثا علميا ومخزونا تراثيا يظل شاهدا على ثقل الإقليم العلمي والثقافي وكثرة علمائه الذين تصدروا حلقات الدرس وألفوا الكثير من المصنفات، أغنوا بها المكتبة التواتية وقتذاك .

ولكن برغم هذا الزخم العلمي الكبير إلا أن تاريخ إقليم توات لم ينل العناية اللازمة من قبل المهتمين بحقل البحث التاريخي، وربما يعود هذا الإعراض حسب ظني إلى أن جل المادة العلمية التي تتناول الموضوع ما يزال جلها مخطوط، لم تمتد إليها يد التحقيق ولم تحظ بالنشر، بل ظلت حبيسة رفوف خزائن توات البدائية التي تفتقر إلى الآليات الحديثة في الحفظ، فكان مصير الكثير من الدرر النفيسة الضياع والاندثار، بدل أن تنشر ليستفيد منها الباحثون.

وقد حاول بعض الباحثين من أبناء توات تدارك هذا الخلل فحاولوا انقاذ ما أمكن إنقاذه من التراث المحلي، فوجهوا بحوثهم الجامعية لخدمة هذا التراث كما هو الحال بالنسبة لأحمد جعفري في تحقيقه لشرح روضة النسرين في مسائل التمرين للشيخ محمد بن أب المزمري وكتابه الحركة الأدبية في إقليم توات وحاج أحمد الصديق في كتابه التاريخ الثقافي لإقليم توات، وأطروحته الدراسات اللغوية في توات، كما حاول الكثير من مشايخ المنطقة كتابة تاريخ توات، فنشروا العديد من المؤلفات في هذا المجال من أهمها: كتاب "الرحلة العلية إلى توات" وكتاب "قبيلة فلان في الماضي والحاضر"، للشيخ محمد باي بلعالم، ومؤلف قطف الزهرات من أخبار علماء توات للمرحوم الشيخ عبد العزيز سيدي عمر

المهداوي وغيرها. التي أجلت الكثير من الأمور التي كانت إلى وقت قريب في حكم الغامض.

وسعياً مني للمساهمة في هذا المسار النبيل الهادف إلى الخروج بالذاكرة التواتية من دائرة النسيان، جاء اختياري لموضوع الشعر في منطقة توات متخذا من الشيخ محمد بن أب التواتي الشهير بالمزمري أنموذج دراسة، والذي يعد نابغة زمانه في الشعر.

ثم إن أهمية هذا الموضوع تكمن في إبراز تلك الحركة الشعرية التي سادت الإقليم في تلك الحقبة، إذ وإلى حد الساعة لم تستطع الدراسات التي تناولت الإقليم أن تسلط الضوء على الحياة العلمية بأدق تفاصيلها في توات وكذا التواصل الحضاري الحاصل بينها وبين المناطق المجاورة لها أو بالأحرى المراكز العلمية النشطة في توات خلال تلك الفترة.

وقد واجهتني الكثير من المتاعب والمصاعب على غرار كل باحث ينبش في المدفون، وأول هذه المصاعب هو هاجس التعامل مع المادة العلمية المخطوطة، حيث إنني لم أتمكن من الحصول عليها إلا بعد عمل شاق، قادني إلى زيارة الكثير من خزائن مخطوطات توات المتناثرة، وكثيرا ما كنت أخرج من بعضها خالي الوفاض، ومن بعضها الآخر بمعلومة تحيي فيَّ بعض الأمل بالمواصلة، كما كنت أصطدم بالاعتذار من عدم توفر الوقت عند مشرف الخزانة للدخول إلى المكتبة، ولكني في الأخير تمكنت من جمع بعض القصائد التي ساعدتني في الدراسة.

وكان عملي في التحقيق وضبط القصائد، من أكثر مراحل البحث صعوبة، خاصة وأن المقبل عليه يجب أن يتحلى بالصبر والجلد والدقة والأمانة، حيث حاولت قدر الامكان تحري ذلك في ضبط القصائد من خلال القراءة المتأنية للنسخ ومقابلتها؛ حيث كثيرا ما كانت تعترضني بعض الكلمات المستصعبة والتي كنت اجتهد في ضبطها، أضف إلى ذلك ندرة المحقق بالنسبة إلى ما يوجد بهذه الخزائن من مخطوطات .

أما بالنسبة للمنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فقد زاوجت بين المنهج التاريخي والمنهج الوصفي وكان ذلك كالتالي: ففي المدخل والفصل الأول فقد اتكأت فيهما على المنهج التاريخي، كما كان اعتمادي عليه في الفصل الثالث مع بعض الوصف، بينما اعتمدت المنهج الوصفي راكبا آلياته التحليلية في الفصل الثاني والفصل الرابع، حسب مقتضى الأمر، وكل ذلك كان مبنياً وفق اعتمادي على أفكار بعض من سبقوني في مجال البحث في تراث وتاريخ توات .

وقد رجعت أثناء إنجاز هذا البحث إلى جملة من المصادر والمراجع أثرت على قلتها مادة البحث، فتنوعت بين مخطوط ومطبوع ومن أهمها :

- مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، لمؤلفه الشيخ محمد بن عبد القادر المهداوي، وهو من أهم المصنفات التواتية التي أتت على ذكر تراجم الكثير من علماء توات ومشائخها وأعيانها، وقد أفادني في رصد الكثير من تراجم الأعيان الواردة في البحث، كما أورد بين ثنايا التراجم معلومات جزيلة حول الحياة العلمية في توات.

- مخطوط جوهر المعاني فيمن ثبت لدي من علماء القرن الثاني، لمؤلفه محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، وهو كسابقه اختص بالترجمة للعديد من علماء توات.

- مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، للمؤلف نفسه، ويعد من أهم المخطوطات التي لاغنى للبحث في تاريخ توات عنه، حيث يحوي الكثير من المعلومات حول الحياة السياسية والعلمية والأدبية في توات إضافة إلى الكثير من تراجم العلماء، وقد أفدت من معلوماته في إثراء شتى جوانب البحث.

- مخطوط رحلة الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني، وهي رحلة علمية قادت مؤلفها إلى فاس لطلب العلم، وجاءت الرحلة خصبة بالمعلومات التي أسهمت بقدر كثير في إثراء

الدراسة، كما استفدت من مادتها أيضا في الترجمة للكثير من الأعلام الواردة في المخطوط المحقق.

- رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التواتي إلى الحج، وهي من أهم مؤلفات الشيخ إلى جانب فهرسته، والتي استفدت منها في الإحاطة بجوانب أساسية من حياة ابن أب.

- وأكثر مخطوط استفدت منه أثناء الترجمة لابن أُبّ هو مخطوط رحلة ابنه الشيخ ضيف الله، والذي حاول في مؤلفه تتبع حياة أبيه من منطقة إلى أخرى وبشيء من التدقيق والتقصي، مما ساعدني في التوصل إلى الكثير من المعطيات حول حياة الرجل، ولو هذه المؤلفات لضاعت أخبار ابن أب مثل ما ضاع الكثير من مؤلفاته وشعره، وهو المفتخر بقريحته الشعرية.

أما المصادر المطبوعة فقد طغت عليها كتب السير والتراجم وذلك بالنظر إلى أن البحث يستلزم العودة إلى المظان التي ترجمت للأعيان الواردة في النص، ومن المصادر المعتمدة في البحث :

- كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط لابن بابا حيدا، ويعد من أهم المصادر التي أتت على ذكر جوانب هامة من تاريخ توات خاصة فيما يتعلق بمركز تمنطيط أولى المراكز العلمية في توات، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يعد من قلة ما حقق من تراث منطقة توات، لذا فقد أثرت مادته شتى جوانب البحث.

أما المراجع، فقد اعتمدت على الكثير منها في إعداد الدراسة وهي في معظمها مؤلفات لمشايخ وعلماء معاصرين، أسهمت في إثراء البحث ومن أهمها: كتاب الرحلة العلية إلى توات للشيخ الحاج محمد باي بلعالم، ويعد من أضخم ما ألف في تاريخ توات جمع فيه مؤلفه الكثير من المعلومات حول شتى مراحل تاريخ المنطقة التواتية ورصد الكثير من تراجم العلماء الذين نشطوا الحركة العلمية بها، أورد معلومات هامة عن بعض

المخطوطات، وكلها معلومات ساهمت في تخطي جل العقبات والإشكالات التي وقفت في طريق البحث

ومن المراجع المعتمدة كذلك كتاب قطف الزهرات من أخبار علماء توات للشيخ المرحوم سيدي عمر عبد العزيز المهداوي وهو كتاب جمع فيه الكثير من تراجم الأعلام المحليين وقد عدت إليه في الترجمة لبعض الأعلام الواردة في البحث، كما استثمرت ما ورد فيه من معلومات في إثراء الدراسة .

وقد كان كتاب محمد بن أب المزمري حياته وأثاره للدكتور أحمد جعفري من أهم المراجع التي أفادتني في إعداد هذا البحث وذلك بالنظر لغزارة المعلومات الواردة فيه واعتماده الأمانة العلمية في نقل المعلومة، حيث يحيل دائما على المخطوط والخزانة الموجود فيها وقد كفاني ذلك مشقة التنقيب عن الكثير من المخطوطات المعتمدة في الدراسة.

وقد قسمت بحثي هذا وفق المنهج المتبع في الدراسة إلى أربعة فصول، سبقها مدخل تناولت فيه لمحة موجزة عن تاريخ المنطقة وبعض المحطات في تاريخ الحركة العلمية والفكرية بالمنطقة، وتعرضت في الفصل الأول إلى نشأة الحركة الأدبية بتوات وكذا أهم العلماء والأدباء الذين قادوا هذه الحركة، ومدى تأثر وتأثير هذه الحركة في مناطق أخرى، وأهم السمات الأساسية للعصر الذي عاش فيه المؤلف وهو القرن 12هـ/18م حيث تعرضت إلى الحياة العلمية والثقافية في توات مبرزا أهم المراكز العلمية النشطة وأهم العلماء والمشايخ الذي أشرفوا عليها والتلامذة الذين تخرجوا منها منهيا العنصر بالتعرض إلى أهم مظاهر النشاط العلمي لهذه المراكز مُركزا على الإنتاج العلمي لعلماء توات في تلك الفترة، خاتما له بالإشارة إلى مكونات هذه الحركة.

والفصل الثاني أخذت فيه أهم شعراء المنطقة وأهم الأغراض التي خاضوا فيها، أما الفصل الثالث فجاء فيه الحديث عن التعريف بالشاعر أنموذج الدراسة، فتعرضت إلى مولده ونسبه

وأهم المحطات الأساسية في حياته العلمية كدراسته وشيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، وتصدره للتدريس في المنطقة وأهم التلامذة الذين تخرجوا على يديه وأهم مؤلفاته انتهاءً بوفاته. وصلا إلى الفصل الرابع والذى دار فيه الحديث عن الدراسة الأسلوبية والأدبية لشعر الشاعر، ومنهجه في تقصيد القصائد.

وأنهيت البحث بخاتمة حاولت تقديمها كحوصلة للنتائج المتوصل إليها من خلال عملية الدراسة، وفي الأخير أرجو أن أكون وفقت إلى حد ما في إيفاء الموضوع شيئا من حقه، وأن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

مـــدخـــل

توات والحياة الثقافية والفكرية بها

يطلق اسم توات على جنوب غرب الصحراء الجزائرية وهو يمثل أجزاء من الصحراء الكبرى أوسع صحاري العالم، حيث يقول السعدي في كتابه تاريخ السودان: "إقليم توات مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الغربية الجنوبية، جنوب القطاع الوهراني وشمال الهقار"[1].

- أصل التسمية وبروز الإقليم:

أما سبب تسمية المنطقة بمصطلح توات فهناك اختلاف كبير حول معناه، فقد وردت عدّة روايات حولها واختلفت فيما بينها، منها ما أسس على أساس علمي يقبله المنطق والعقل، وآخر اعتمد على روايات شفوية ردت التسمية من خلالها إلى أصول بربرية أو زناتية.[2]

فمنها أن الكلمة أصلها من اللغة التكرورية وهي تعني وجع الرجل في لغة الماليين القدماء، ويورد في ذلك قصة لسلطان مالي واسمه "كنكان موسى" عندما اجتاز المنطقة أصابه وجع في رجله يدعى عندهم باسم توات فسميت المنطقة باسم المرض[3].

[1] - عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1964، ص07 .
[2]- صديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات. مديرية الثقافة لولاية أدرار، ط 2003، ص35.- مولاي التوهامي غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، ج1، دط، دت، ص5.
[3] - أحمد بوساحة، أصول أقدم اللغات في أسماء وأماكن الجزائر، الجزء الأول، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص78.

ومن هناك من رأى أن أصل التسمية جاء من أن المنطقة مواتية للعبادة، لأن كل من قدم إليها من الأولياء تواتيه للعبادة، وقيل أنها من الأتوات أي المغارم والمكوس التي كانت تدفع للملوك الموحدين[1].

ومنها كذالك أن أصل التسمية هي لإحدى قبائل الصحراء بالجنوب، وصاحب هذه الرواية هو أبو عبد الله الأنصاري صاحب كتاب "فهرست الرصاع" كما جاء في بعض الكتابات، وهي أن التسمية أعجمية أطلقتها قبائل لمتونة عندما لجأت إلى الإقليم في منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، ويرى البعض أن التسمية بربرية معناها الواحة[2].

كما يورد الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي أن أحد الفرنسيين واسمه" وتين" أعتمد على مؤلفات تواتية، حيث نشر دراسته عن الناحية سنة 1905، وهي دراسة عن أصول سكان توات طبقا للتقاليد المحفوظة، فقسم المنطقة إلى نواحٍ تبدأ بالسبع وتنتهي بتاوريرت وتشمل قصور بودة وتمنطيط وبوفادي وفنوغيل وتامست، وزاوية كنتة وإنزجمير وسالي وإنزقلوف ورقان وغيرها[3].

بما أن معظم تسميات قصور الإقليم هي بلغات بربرية غير عربية فمن هنا تُعتبر التعاريف التي مفادها أن أصل التسمية بربري أكثر صدقاً و واقعية من التعاريف التي أوردت أصل التسمية

[1] - مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، د.ط،د.ت، ص04.
[2] - انظر: صديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن11-14هـ/17-20م، ص26-28.
[3] - انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1998، ص393.

عربـي وبميزان العقل والمنطـق لا يمكن تسمية الفرع بربـري والأصـل عربـي، فمـا دامـت القصـور والقرى بتسميات بربرية وهي الفرع فلا بد أن يكون أصل التسمية بتوات بربريا لأنه الأصل[1].

أمـا عن أول تواجد للسكان بـالإقليم فيعود إلـى مـا قبـل الإسـلام، وكانـت تسـمى بالصـحراء القبلية ثم كثرت عمارتها بعد القرن الرابع الهجري، إلا أن معظم الدراسات تؤرخ لها من بداية القرن الرابع الهجري ودخول قبائل زناتة للإقليم[2].

وقد تطرق عدة مؤرخين وعلماء للمنطقة: منهم ابن حوقل الذي قال: "بين المغرب والسودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي لا تسلك فيها إلاّ الشتاء"[3].

أما ابن بطوطة فقد ذكر بعض مناطق توات وهي بودة وقال هي "أكبر قرى توات وأرضـها رمـال وسـباخ وتمرها كثيـر لـيس بطيـب، ولا زرع بهـا ولا سـمن ولا زيـت وإنمـا يجلـب لهـا ذلـك مـن أرض المغرب وأكل أهلها التمر والجراد"[4]، وهذا دليل على أن ابن بطوطة مر بالمنطقة وهي تعاني من الجراد.

[1] - الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، المرجع السابق، ص29.
[2] - الشيخ مولاي التوهامي غيتاوي، سلسلة النوات، المرجع السابق، ص10.
[3] - أبي القاسم بن حوقل النصيري: كتاب صورة الأرض، ج1-2، دار صادر ، بيروت، ط2، ص23.
[4] - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة -رحلة النظار في غرائب الأمصار-، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص706-707.

ويتحدث الشقراني في كتابه القول الأوسط أن قبائل صنهاجة اللمتونيين الذين استوطنوا توات أصلهم من حمير ومساكنهم بين البرابرة والسودان ومن البحر المحيط غربا إلى غدامس وفزان قبلة طرابلس وبرقة شرقا[1].

- **توات جغرافيا**

تبعد أقرب منطقة من هذا الإقليم عن العاصمة الجزائرية بحوالي 1500 كلم وهذا الإقليم يشتمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تزيد عن الثلاثمائة وخمسين واحة متناثرة هنا وهناك على رمال الصحراء أشبه بالأرخبيل في البحار، وهي تغطي حوالي ألفي ميل مربع من الأرض ويقع الإقليم بين خطي عرض 26 درجة و30 درجة شمالا وبين خطي طول 04 درجة غربا و01 درجة شرقا.

والإقليم يقع حاليا ضمن امتداد أدرار وتيميمون وعين صالح، فالأولى تعرف باسم منطقة توات والثانية باسم منطقة القورارة والثالثة باسم منطقة تيديكلت، وقد أطلق بعض الكتاب القدماء على المناطق الثلاث مجتمعة اسم إقليم توات، فمدن وقصور الإقليم تمتد في سهول رملية جنوب العرق الغربي الكبير وحول هضبة تادميت من جهاتها الثلاث الشمالية والغربية والجنوبية.

ويحدد الامتداد الجغرافي لمنطقة توات الكبرى من الشرق هضبة تادمايت ومن الشمال العرق الغربي الكبير ومن الغرب عرق شاش ومن الجنوب صحراء تانزروفت . وتتكون المنطقة تاريخيا

[1] - أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، دار الغرب الإسلامي،

من ثلاثة نواحي شاسعة جغرافيا، قورارة في الشمال، وتيدكلت إلى الجنوب، أما في الوسط فتقع توات الوسطى أو تسوات، ولقد عمم الجغرافيون والباحثون اسم توات[1]على المناطق الثلاث.

وينتهي الإقليم بثلاثة أودية تصب مياهها الجوفية فيه لتغذي الفقاقير والآبار التي بعثت الحياة في هذا الجزء من الصحراء، وهذه الأودية هي وادي مقيدون الذي ينتهي بمنطقة القورارة، ثم وادي مسعود الذي ينتهي بمنطقة توات والثالث وادي قاريت الذي ينتهي بمنطقة تيديكلت.

فمنطقة قورارة سميت قديما بتينجورارين من طرف قبائل البربر، ومعناها بالبربرية المعسكرات[2]. وتقع شمال منطقة توات، يحيط بها العرق الغربي الكبير من جهة الشمال والشمال الشرقي، ومن الجنوب سفح هضبة تادمايت الشمالي، أما من الغرب وادي الساورة وواد مسعود، مركزها مدينة تيميمون ، و معظم قصورها تقع بين دائرة قطرها حوالي 80 كلم أبعدها هي قصور تابلكوزة في الشمال، وينتهي بهذه المنطقة وادي مقيدن مكونا سبخة كبيرة تعرف بسبخة قورارة[3].

وفي الوسط توات الوسطي ، وتبدأ من أعالي قصور بودة في النقطة التي ينحرف فيها وادي مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه من الشمال إلى الجنوب ، وتتشكل هذه المنطقة من أرخبيل من

بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص52-53.

[1] – ينظر : - عبد الرحمان السعدي، تاريخ السـودان، طبعة هوداس، باريس، 1964، ص07 .
- محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، نسخة من مخطوط بخزانة كوسام، ص 09.
- مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، كتاب نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ص 12.
- عبد الرّحمن بعثمان، فهرسة عبد الرّحمن بن عمر التواتي تحقيق، مذكرة ماجستير في التّاريخ العام، جامعة بشار 1430هـ - 2009م، ص 08.

[2] - الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية، بيروت ، 1983، ص133.

[3] - عبد الرّحمن بعثمان، المرجع السابق، ص 10.

القصور والواحات[1] تصل إلى غاية رقان وتسمى بتوات الأصلية[2] وأهم قصورها تمنطيط، بودة ، و زاوية كنتة. ويضاف إلى توات الوسطي قصور تسابيت جنوب دغامشة على نحو 30 كلم من وادي الساورة و هي مجموعة من القصور منها قصر عريان الراس[3] .

وفي الجنوب منطقة تيديكلت ومعناها باللغة البربرية كف اليد أو اليد المفتوحة[4]، وهي البلاد الواقعة بين الإنحدار الجنوبي لهضبة تادمايت إلى غاية الجهة الشمالية التي يحدها وادي جاريت وقصورها موزعة على سطح منبسط قليل التلال، وتعرف بالغابة، مركزها مدينة آولف[5]. وأهم قصورها أولف وأقبلي وعين بلبال.

ونظرا لقلة المياه اللازمة للزراعة فإن سكان الإقليم قد اهتموا بزراعة النخيل في المقام الأول، لأن النخلة تستطيع تحمل قسوة الطبيعة في الصحراء من جفاف وزوابع رملية وحرارة فقد تصل درجة الحرارة صيفا إلى 50 درجة مئوية، وبعد أهمية الماء والنخلة يأتي الجمل الذي كان يعتبر وسيلة الربط بالعالم الخارجي للتجارة فالمنطقة كانت محطة هامة للقوافل التجارية، حيث

[1] - تتكون الواحة من مجموعة من بساتين النخيل ، تمتد حولها منطقة من النخيل غير المسقية تسمى البور، وبالقرب منها قصر أو مجموعة من القصبات، أما العائلات الكبيرة أو المهمة فتقطن داخل القصبة.

[2] - محمد حوتية، توات و الأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، السنة الجامعية 2004، ص06.

[3] - مولاى بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2 الجزائر، 1981، ص69.

[4] - عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، بدون دار النشر، الجزائر، دون تاريخ، ص20.

[5] - عبد الرّحمن بعثمان، المرجع السابق، ص 13.

مارس الأهالي داخل منازلهم بعض الحرف والصناعات كغزل ونسيج القطن والصوف لصنع البرانس والأبسطة التي كانت لها شهرة كبيرة في التجارة [1].

أما المناخ فيسود المنطقة مناخ صحراوي جاف شديد البرودة شتاء وشديد الحرارة صيفا والأمطار فهي شبه منعدمة إلا في الحالات الاستثنائية، تعصف بها رياح جنوبية تسمى الشهيلي وتدعى محليا "أريفي" ورياح جنوبية شرقية[1].

من المعلوم أن منطقة توات كانت ملتقى تجمع و استقرار بشري منذ فترة قديمة. وقد شكلت بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي بين الواحات الجنوبية الصحراوية نقطة مركزية هامة تصل بين حواضر ومدن المغرب الإسلامي في الشمال والمراكز الحضارية الواقعة جنوب الصحراء المسماة بلاد السودان الغربي .

إن امتداد القصور في الخط الشمالي الجنوبي يحاذي الوديان القديمة المعروفة، وهي وادي الساورة وواد مسعود وكذلك السبخات الواسعة مثل سبخة تيميمون.

ويصل العدد الإجمالي لقصور مناطق " **قورارة، توات الوسطى وتيدكلت**" ما يقارب 300 قصرا، وتتكون هذه المجموعة من القصور من 12 مقاطعة من الشرق إلى الغرب[2].

- **توات ثقافيا وفكريا:**

[1] - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطني للكتاب، الجزائر، 1977، ص1-2-4.

أما الحياة الثقافية والعلمية في المنطقة فإنها كانت ومنذ تاريخها المبكر كمنار للعلم وسط هذه الصحراء الشاسعة بما كانت تتميز به من حركة ثقافية عالية، فقد ساهمت في مد السودان الغربي بالثقافة والحضارة العربية الإسلامية وكانت مدينة "تمبكتو" مقصدا للعلماء والفقهاء التواتيين منذ القرن الرابع الهجري، ولم يقتصر الأمر على الفقيه التواتي فحسب بل تعدى الأمر إلى التاجر فقد ساهم في هذا الدور، ورغم بُعد الإقليم عن مراكز الحضارة والعمران والثقافة في المغرب والمشرق الإسلاميين إلا أن هذا لم يكن عقبة أمام أهل توات للإطلاع والمشاركة في الحياة الثقافية والفكرية التي نشطت في العالم الإسلامي قديما، فقد كانت هناك مراسلات بين الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[3] والإمام جلال الدين السيوطي[4]. كما عرفت على مر التاريخ بأنها ارض أمان واطمئنان، وهو ما كان عاملا أساسيا في توافد عدد كبير من العلماء والمشائخ إليها من كافة الأقطار العربية والإسلامية، فأنشأوا بها المدارس والزوايا، وعلموا الناس أمور دينهم ودنياهم[5].

ولقد شهدت الحركة العلمية الثقافية ازدهارا كبيرا في بعض قصور الإقليم خصوصا بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجري الموافق للسابع عشر والتاسع عشر الميلادي لكن مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين انطفأت هذه الشعلة وأصبح يخوض في ظلمات

---

[1] - صديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، المرجع السابق، ص37.

[2] - أسماء المقاطعات كما هي مقسمة حالياً .

[3] - الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، من منطقة مغيلة بتلمسان، نزل بتوات 882هـ وكان له تأثير واضح على الحياة الثقافية وأشتهر بمحاربته لليهود في المنطقة وإجلائهم منها.

[4]- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين المرجع السابق، ص14-15.

[5] - عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، هجريين، دار الغريب للنشر والتوزيع ، ط2، 2007، ص52.

الجهل خصوصا مع دخول الاستعمار الفرنسي المنطقة ومحاربته التعليم ونشاط الزوايا، وما يلاحظ هو ظهور عدة علماء جهابذة كبار في تلك الفترات، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

الشيخ سيدي عبد الرحمن الجنتوري، والشيخ سيدي عمر بن صالح الوجروتي الذي ذكره الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، وكذلك الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي الأمريني ويدعى شيخ المشايخ ويلقب بعالم توات وكذلك الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم وكذلك الشيخ سيدي احمد بن ديدي، والذي في عهده كانت تمنطيط قبلة الطلاب ومن العلماء الأجلاء في المنطقة نجد الشيخ سيدي احمد الرقاد بزاوية كنتة, وكذلك الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير في نفس المنطقة، أما في منطقة تيديكلت نذكر بعض العلماء منهم الشيخ محمد بن أب المزمري الذي توفي بتيميمون، وكذلك سيدي عبد الله بن احمد الفلاني وسيدي محمد عبد الرحمن بن محمد السكوتي وغيرهم من العلماء الذين لا يحصون عددا وكل هؤلاء العلماء عاشوا قبل القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي وهناك من عاش منهم في القرن التاسع الهجري كالشيخ المغيلي ومن عاش حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري العشرين ميلادي مثل العالم سيدي أحمد بن ديدي، وأيضا في القرن العشرين الميلادي ظهر عالمان برزا في الأفق هما الشيخ مولاي احمد الطاهري في سالي حيث أصبحت المنطقة في عهده مقصدا ومزارا لطلاب العلم وكذلك الشيخ محمد بلكبير في أدرار[1].

- توات إقتصاديا:

لقد كانت منطقة توات تعتبر مركزا غنيا نتيجة للنشاط التجاري حيث كانت محور الاتصال بين السودان وبلاد الشمال من جهة والمغرب الأقصى من جهة أخري تجوبها قوافل التجار والحجاج وعملوا فيها محطات للقوافل التي كانت تقيم فيها الأسابيع تحت رعاية السكان[2].

وكان لهذه الطرق التجارية الممتدة في الصحراء الكبرى أثر كبير في انتقال التجارة والعلماء الذين نشروا الإسلام في غرب القارة بعد أن استقروا في المدن والمراكز التجارية في غرب إفريقيا مثل مالي وقاو وتمبكتو[3].

ولقد تعددت الطرق المتصلة بمنطقة توات، فمنها الطرق الشمالية الشرقية التي تربط المنطقة بتونس وليبيا والمشرق وتستعمل للحج، والطرق الشمالية التي تربط المنطقة بورقلة ثم إلى الشمال الجزائري، وهناك الطرق الشمالية الغربية والطرق الغربية وهي التي تربط المنطقة بكل من المغرب الأقصى مرورا بسجلماسة والتي تحل محلها الآن منطقة "الريصاني" وهذه الطريق تربط توات كذاك بموريتانيا، وهناك الطريق الجنوبي الذي يربط المنطقة بما يعرف قديما السودان الغربي وهي الآن المالي وهذه الطرق هي كالأتي:

- الطريق الرئيسي المتجه من الشمال الغربي نحو منطقة توات مرورا بسجلماسة إلي بودة.

---

[1] - صديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، المرجع السابق، ص75-137.

[2] - محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ص30-31.

[3] - د. شوقي الجمل، د. عبد الله عبد الرزاق: تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1998، ص9.

– الطريق المتجه من تلمسان إلى بودة مرورا بمنطقة وادي الساورة .

– الطريق المتجه من الشمال نحو توات من بجاية إلى ورقلة ثم إلى أولاد سعيد بقورارة[1].

– الطريق المتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب يربط تونس بتوات مرورا بغدامس[2] إلى عين صالح ثم إلى أقبلي بأولف إلى أدرار، وهناك طريق من ورقلة إلى غرداية ثم المنيعة إلى توات[3].

– الطريق الذي يربط توات بغرب إفريقيا من رقان إلى تمبتكتو مرورا بتاودني وأوران[4].

– الطريق الذي يربط اقبلي بأولف إلى قاو وتمبكتو مرورا بعين زيزة ويتفرع منها طريقان صيفي وشتوي ويلتقي الطريقان عند تادمكة ومنها إلى قاو وتمبكتو.

هذا وقد كانت توات كما هو واضح من خلال الرحلة العياشية منطقة تجارية ذات نشاط واسع حيث كانت القوافل التي تأتي من المغرب الى السودان تمر عبرها فتتبادل هناك بالمواد التي تحمل من الشمال مثل الزيت والحبوب والملابس القطنية وهي المواد التي تحملها القوافل التواتية إلى السودان لتستبدلها بالعاج والذهب وريش النعام، حيث كانت المنطقة تعتبر محطة وسوقا في الطريق التجاري بين المغرب والسودان.

[1] - مولاي التوهامي غيتاوي، سلسلة النوات، المرجع السابق، ص10.
[2] - غدامس: منطقة حدودية تابعة لدولة ليبيا تعتبر نقطة التقاء الدول الثلاث(تونس، الجزائر، ليبيا).
[3] - إبراهيم بشي، مجلة الدراسات التاريخية، العدد10، معهد التاريخ، بوزريعة ، الجزائر، 1997، ص248.
[4] - تاودني وأروان منطقتين في شمال مالي، تمبكتو: منطقة أثرية بمالي شهيرة تذخر بتاريخها العلمي الحافل .

وقد ذكر العياشي في رحلته أنه بعد دخوله توات التي أقام بها مدة ستة أيام فباع ما ضعف من الخيل والإبل التي كانت معه واشترى ما يحتاج إليه من أنواع التمور الكثيرة والرخيصة الثمن وهو ما يدل على نشاط التجارة في المنطقة[1].

[1] - العياشي،الرحلة العياشية، تحقيق وتقديم:سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، ط1، 2006م، ص210.

الفصـــل الأول

الحركـــة الأدبيـــة بتـــــوات

- نشأة الحركة الأدبية بتوات:

قبل الحديث عن الحركة العلمية والثقافية في توات يجدر بنا أن نسلط بعض الضوء على جذور هذه الحركة، لأن الحاصل لم يكن ليخرج من عدم، بل هو تراكم لأعمال جليلة وعوامل عديدة، ساهمت في تشكيل بناءٍ تبلور كحركة علمية ونشاط فكري ميز القطر التواتي.

1- بوادر الحركة العلمية والثقافية في توات:

إن موقع الإقليم التواتي، من حيث هو معبر حتمي للقوافل التجارية بين المدن الشمالية وجنوب الصحراء، أضفى على المنطقة حركية اقتصادية نشطة، ساهمت إلى حد كبير في اجتذاب العديد من الجماعات البشرية، التي آثرت الإستقرار في الإقليم لما يوفره من أمن ورغد عيش[1]، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون الذي وصف توات أنها بلد مستبحر في العمران، وأنها الممر الحتمي الذي تسلكه القوافل إلى بلاد السودان "مالي " [2] .

وتشرف توات أيضا، على طريق آخر لا يقل أهمية عن الطريق الأول، وهو طريق تسلكه رِكاب الحجاج القادمين من سجلماسة وشنقيط، والمتوجه نحو الحجاز عبر صحراء ليبيا ومصر، والذي مر به العياشي، صاحب ماء الموائد[1]، ولاشك أن لركاب الحجاج أهمية بالغة في تنشيط الحركة العلمية في المحطات والمراكز التي تتوقف عندها، إذ عادة ما يحمل الركب علماء أجِلاء

[1] - ابن بابا حيدا ، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية 2007، ص11.
[2] - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر وما جاورهم من أهل السلطان الأكبر، تحقيق:خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، 2001، الجزء 01، ص76-77 .

يديرون . خلال فترات الراحة . بعض الدروس، يتهافت طلبة العلم في توات إلى حضورها للاستزادة من علومهم وطلب الإجازة منهم.

ولعل أقدم مركز الاستقرار في البلاد التواتية كان مدينة تمنطيط، التي تقع في نقطة تقاطع الطريقين السابقين، حيث عرفت خلال الفترة انتعاشاً اقتصادياً[2] وعلميًا كبيراً، تحدث عنه صاحب القول البسيط في أخبار تمنطيط بقوله: "اعلم أن تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات إجتمع فيها العلم والولاية والعمارة والديانة ونصبت بها الأسواق والبضائع، وكان لا يستغني عنها غني ولازاهد "[3]. ولقد وفد الكثير من العلماء إلى المنطقة ممن كان لهم الفضل في قيام وازدهار العلوم في توات، فقد آثر هؤلاء الهجرة إليها والإستقرار بها، فأول من حل بها أربعة من ألمع الأسماء من مناطق متعددة وخاصة من تلمسان وغيرها...، وهم يحي بن يدير التدلسي وأبو يحي المنياري و عبد الله العصنوني ومحمد بن عبد الكريم المغيلي؛ حيث حل أبو يحي المنياري المتوفى سنة 840هـ، والذي نزح من المغرب الأقصى واستقر بتمنطيط سنة 815هـ – 1412م[4] وأسس زاوية عكف من خلالها على التدريس ونشر العلم والمعرفة بينهم، مما أهله إلى تولي القضاء[5] للجماعة التواتية وذلك بعد شهود معرفته وعلمه. ومن هؤلاء العلماء أيضا نجد الشيخ يحي التدلسي المتوفى

---

[1] - العياشي أبو سالم ، الرحلة العياشية ، ماء الموائد ، فاس ، طبعة حجرية ، الجزء 1، ص20-21.

[2] - تحدث عنه ابن خلدون، حيث وصف أسواقها في سياق حديثه عن حركة القوافل في الصحراء حيث أورد أن قبائل من تلمسان يسمون ذوي عبيد يمرون على تمنطيط في طريقهم إلى بلاد السودان ينظر: ابن خلدون، العبر، الجزء6، ص80.

[3] - ابن بابا حيدا، المصدر السابق، ص14.

[4] - نسبة إلى بني منيارة وهي قبيلة من العرب معروفة بأرض التلول ينظر : ابن بابا حيدا، المصدر السابق، ص30.

[5]- محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام، ورقة 18-19.

سنة 877هـ – 1472م[1] الذي حل بتمنطيط سنة 845هـ – 1441م[2] فتصدّر لتحفيظ القرآن ومبادئ اللغة العربية وتدريس الفقه المالكي معتمداً على كبريات مصنفات المذهب كالمدونة، ومختصر ابن الحاجب والموطأ وغيرها...، فأثرى بذلك الساحة العلمية في عموم البلاد التواتية، فاجمع أهل تمنطيط على توليته قضاء الجماعة للفصل في الخصومات التي تحصل بينهم، وقام على ذلك حتى وافته المنية بها[3].

ومن العلماء الذين دخلوا توات في نهاية القرن 09هـ، الشيخ عبد الله بن أبي بكر العصنوني، الذي استقر أولا ببني تامرت[4] سنة 862هـ – 1458م[5]، ثم انتقل إلى تمنطيط سنة 863هـ – 1459م، وتصدر الشيخ للتدريس وتولى خِطة القضاء بعد وفاة التدلسي سنة 877هـ – 1472م[6]، ثم خلفه في ذلك ابن أخيه سالم العصنوني الذي ذاع صيته بعد نازلة اليهود التي تناظر فيها مع الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي* الذي هو بدوره كان من العلماء الوافدين إلى المنطقة سنة 882هـ؛ حيث يعد من جهابذة العلماء لما اشتهر بعلمه الوافر ورأيه السديد، وقد اتخذ من توات مركزا لنشاطه الأدبي ومنطلقا لنشر الإسلام في مناطق السودان الغربي، ويشيد به الشيخ العلامة "جمال الدين السيوطي" بسجع أورده صاحب كتاب "مزيل الخفاء عن ذكر بعض الشرفاء"

---

[1]- دفين أولاد علي بن موسى بتمنطيط، ينظر : ابن بابا حيدا ، المصدر السابق، ص31.

[2] - بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى، الجزائر ،2005، ص76. وابن عبد الكريم، مخطوط درة الأقلام، ورقة 19.

[3] - الحمدي أحمد، محمد بن عبد الكريم المغيلي، رائد الحركة الفكرية في توات، عصره وآثاره، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر،2012م، ص67.

[4] - تقع بني تامرت ضمن إقليم بلدية تيمي، وتبعد عن مدينة أدرار بـ 07 كلم.

[5] - ابن عبد الكريم، مخطوط درة الأقلام، ورقة 19.

[6] - ابن عبد الكريم ، مخطوط درة الأقلام ، ورقة 19.

* هو محمد بن عبد الكريم المغيلي، من قرية المغيلة "بتلمسان"اختلف في تاريخ ميلاده (820هـ،1503م)، مؤسس الزاوية القادرية.

ومطلعه: "اسمعوا قولي يا إخواني، رأيت شيخا في الزمان، هو المغيلي التلمساني، ليس له شبيها في البلدان، فيعلم التفسير والقرآن وعلم النحو والمعاني وعلم البديع والبيان وعلم المنطق والبرهان"[1].

فكما رأينا أن الحركة العلمية عرفت ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ازدهارا في مختلف العلوم الأدبية واللغوية والعلوم المختلفة الأخرى. وتواصلت هذه الفسحة العلمية إلى غاية القرن الثالث عشر هجري (13 هـ)، ومن أكثر الدلالات على ذلك هو العدد الكبير من العلماء الذين اشتهروا في هذه الفترة، فمنهم من اجتازت شهرته هذه المنطقة التي عاش فيها .

فلقد شكلت توات، على مر التاريخ، موطن الهجرة القسرية والاختيارية، على حد سواء، لكثير من الأشخاص والقبائل الفارة من فساد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو تلك التي كانت تعاني من خلافات مع السلطة السياسية في الممالك الأمازيغية التي حكمت شمال إفريقيا خلال العصر الإسلامي، من الرستميين والزيريين والحماديين إلى المرابطين والموحدين،وصولا إلى تلك التي عاصرها المغيلي كالزيانيين والحفصيين والمرينيين.

فعُرفت منطقة توات على مر التاريخ بأنها أرض أمان واطمئنان وهو ما كان عاملاً أساسياً في توافد عدد كبير من العلماء[2] إليها من كافة الأقطار العربية والإسلامية ، وعلى الرغم من قلة

[1] - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18-19 ، المرجع السابق، ص106.

2- مثل الشريف مولاي سليمان بن علي في القرن السادس الهجري والعالم محمد بن عبد الكريم المغيلي وأبو بكر العصموني في القرن التاسع الهجري والعالم العبدلاوي بن الطيب المغربي في القرن العاشر الهجري والعالم سعيد قدورة الجزائري في القرن الحادي عشر الهجري وغيرهم. محاضرة الأستاذ مبروك مقدم حول تاريخ المنطقة. ص 65 – 66. (م.ج.أ.د.ت. أدرار) . وذكر محمد بن عبد الكريم في مخطوطه درة الأقلام، ورقة 08، أنه في سنة 890 هـ ورد ولد الباي من طرابلس وطاف بتوات ومعه عشرة من العلماء ، كل واحد منهم يحفظ خليل وبعض أصول المذهب ومتضلع في كتب بن الحاجب وعلم المعاني والبيان ، وتبعهم علماء توات في رحلتهم داخل المنطقة .

رزقها فهي معروفة بأنها : " ...ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح ولا تحيط بها جبال ولا أشجار، شديدة الحرارة لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل، وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها... "[1]، وهي إلى هذا: "...لا تتكأ ظالما ولا تمنع غانما وهي أضعف بلاد المغرب قاطبة غالب أهلها ضعفاء مستضعفون ولقلة ضعف أهلها وهضم قوة النفوس، كثر فيها الصالحون، والزهاد، وأرباب القلوب... "[2]، وهذه كلها عوامل شكلت الشروط الأساسية والمواتية بقدوم العلماء والزهاد واستقرارهم في المنطقة فعملوا على نشر الإسلام بطريقة مرضية واستطاعوا أن يقفوا في المنطقة على الكثير من العادات السيئة الوافدة من جهة السودان الغربي فحاربوها حتى انهوها بالكامل، فدرسوا أبناء المنطقة العديد من المعارف وعرفوهم بلغة الأدب والمنطق.

ومما زاد الحركة الأدبية والثقافية تواقدا وبالخصوص بروز مدينة تمنطيط[3]، التي كانت عاصمة الإقليم، فكان نزول الكثير من العلماء المهاجرين إلى الإقليم، وذلك في بداية القرن 9هـ، والذي يؤيد هذا هو نبوغ الكثير من طلبة العلم بها، أمثال ابناء العائلة البكرية في علوم عصرهم، ولم ينحصر النشاط الثقافي والعلمي للإقليم بمدينة تمنطيط بل كانت هناك أماكن أخرى، شهدت نوعا من هذا النشاط فقصر "أولاد ملوكة"* بمقاطعة تيمي كانت زاوية من أنشط الزوايا وأغناها

[1]- مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص4.
[2]- أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق ج2، ص59.
[3] - جاء ذكرها هنا لأنها من أقدم قصور المنطقة، وتقع في وسطها وقد برزت بها الحركة التجارية والتي ساعدت على نمو الحركة العلمية بها وازدهارها.
* ملوكة تقع في الغرب من مدينة أدرار تبعد عنها بحوالي 3 كلم.

بالكتب، والتي تخرج فيها الكثير من الأدباء المشهورين، أمثال الشيخ "محمد بن عبد الرحمان البلبالي"*، وابنه الشيخ عبد العزيز ومن أهم ما خلفه لنا كتاب "الغنية البلبالية"*.

وقبل أن نترك هذه المقاطعة نشير إلى علماء قصر "تنيلان"* خاصة الفقيه "عمر بن عبد القادر"* الذي أشاد بعمله ومكانته الأدبية صاحب "جواهر المعاني" وقد كان هذا الشيخ من المشتغلين بالتعليم طوال حياته، وقد تولى قضاء الجماعة التواتية فترة من الوقت، وفي آخر أيامه مال إلى التصوف واحتجب من أنظار الناس وظل على هذا الحال حتى توفي رحمه الله.

وإذا انتقلنا إلى مقاطعة "قورارة" برزت لنا مدينة "تيميمون" وقصر "أولاد سعيد"* كمركزين نشيطين للحياة الثقافية والأدبية وهذا بفضل كثرة المساجد والزوايا والمدارس التي انتشرت فيهما بجانب ظهور بعض الشخصيات التي ساهمت في مجال الأدب والتعليم ونذكر من هؤلاء الشيخ النحوي الفقيه "محمد عبد العزيز بن محمد عبد الرحمان البلبالي"*، الذي كان معلما بقصر "أولاد سعيد" والفقيه الشاعر "محمد المزمري"، الذي كان من كبار وفطاحلة العلم بتوات والجدير بالذكر أن الكثير من مؤلفاته وقصائده الشعرية كانت تدخل ضمن مناهج التعليم بالمدارس التواتية ومن

* محمد بن عبد الرحمان البلبالي، ولد بقرية ملوكة سنة 1166هـ ، توفي 1244هـ .
* الغنية البلبالية، عبارة عن مجموعة فتاوى والمسائل التي بث فيها.
* تقع في الجنوب الشرقي من ولاية أدرار تبعد عليها حوالي 5 كلم.
* عمر بن عبد القادر التينيلاني، ولد بتليلان عام 1098هـ ، توفي 1152هـ.
* قصر من قصور تيميمون يبعد عليه بحوالي 30 كلم.
* محمد عبد العزيز بن محمد عبد الرحمان البلبالي ولد بقصر ملوكة من قرى تيمي توفي سنة 1261هـ.

هذه الموضوعات التي كانت مقررة على الطلبة شرحه "همزية البوصيري" وكتاب "الأخضري في السهو"[1]، وسنفصل في حياته وأعماله فيما سيأتي.

وكذلك ساهمت مقاطعة تيديكلت في مجال النشاط الثقافي والأدبي ولا سيما منطقة "أقبلي"*، فقد جذبت مدارسها من الطلبة الكثير داخل توات البلدان المجاورة للتعلم على يدي كبار الفقهاء المشهورين ومن بينهم الشيخ العلامة "حمزة بن الحاج أحمد الفلاني القبلاوي"*، الذي كان متضلعا في شتى العلوم فقيها ونحويا ومحدثا ولغويا وعروضيا وحاسوبيا، وكانت ترد عليه المسائل المعضلة والمشاكل المقفلة من "توات وأزواد" فيجيب عنها حتى كان العلامة الشيخ السيد "أحمد الحبيب البلبالي" يقول لأولاده قرب وفاته:" ما تركت أحدا في توات يفوقكم في العلم إلا ما كان من ابني الحاج احمد"[2]، ويعني بذلك الشيخ "حمزة والذي تخرج على يديه الكثير من الطلبة نذكر منهم، الشيخ "أحمد بن محمد بن مالك الفلاني (ت1283هـ)"، وكان متضلعا في العلم ولا سيما العلوم الشرعية والنحوية، كان دائم الترحال واجتمع أثناء تجولاته بعدة علماء ما بين ليبيا ومالي من مؤلفاته شرح على المقدمة الأجرمية في النحو وسماه "تفريج الغموم على متن ابن أجروم"[3]، وكذلك

[1]- ينظر، فرج محمود فرج، إقليم توات، المرجع السابق، ص110.

* أقبلي قصور تقع جنوب تيديكلت وتبعد عنها بحوالي خمسة وثلاثين كم.

* حمزة بن الحاج أحمد القبلاوي رجل من رجال العلم في منطقة تيدكلة آنذاك ولد سنة 1259هـ، توفي سنة1335هـ.

[2]- محمد باي بلعالم، قبيلة فولان في الماضي والحاضر ومالها من العلم والمعرفة والمآثر، دار هومة، 2004، ص 16-17.

[3]- محمد باي بلعالم، قبيلة فولان، المرجع السابق، ص33-34.

نجد من علماء الشيخ "عبد الرحمان السكوتي"* الذي عرف بغزارة علمه وبرغبته في تلفيق العلوم ومن تأليفه "رجز في الميراث" بالإضافة إلى الفتاوى والكثير من القصائد[1].

لم ينحصر اهتمام علماء منطقة توات بمقاطعاتها الثلاث فقط بالعلوم الدينية الشرعية بل تعداه إلى العلوم الأخرى وان كان التأليف فيها قليلا جدا لا يكاد يذكر، فقد كان لمشايخ توات باع فيها فقد عكفوا على دراستها وتدريسها كالطب متمثلا في منظومة ابن سينا في الطب، وكتاب الطب والحكمة وكتاب الهداية المقبولة[2].

ومن بين العلوم أيضا علم التوثيق نظرا لحاجتهم إلى توثيق العهود والمواثيق، وإذا ما رجعنا إلى المنطقة فان كل عقود الزواج والبيع والكراء إلى غيرها من عقود المعاملات كانت تتم عند شيخ المنطقة وتكتب بخط اليد ويختمها الشيخ بختمه الخاص، ولا تزال هذه الطريقة متبعة إلى غاية يومنا في بعض المناطق ومعترف بها من طرف الدولة، واعتمدوا على بعض المؤلفات في هذا المجال مثل "كتاب الوثائق لابن سلمون"[3].

فكما رأينا أن العلوم الأدبية بمنطقة توات ارتبطت بنبوغ علماء الفقه والشريعة، وهذا يردنا إلى العصور الإسلامية الأولى التي استقر رأي المؤرخين والباحثين قديما وحديثا فيها، على أن ازدهار الحركة اللغوية والأدبية مرتبط أشد الارتباط بالعلوم الفقهية والشرعية وازدهارها.

* عبد الرحمان السكوتي ولد بساهل سنة 1258هـ ، توفي سنة 1333هـ.
[1]- فرج محمود فرج، إقليم توات، المرجع السابق، ص111.
[2]- الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من ق11هـ إلى ق14هـ(18م-19م)، دار الثقافة، 2003، ص153.
[3]- الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، المرجع نفسه، ص153.

2- العلماء والمؤلفـون :

من بين أهم العلماء الذين جمعتهم البلاد التواتية علماء ألفوا رجالا، مثل أولائك الذين أنشأوا مدارس وزوايا لتعليم القرآن وأمور الدين، فكان لهم الفضل في تعليم أبناء المنطقة. والأدب عند المسلمين منذ القديم كان ولا زال مرتبط بالتعليم الديني، فكل أدبائنا انطلقوا في إبداعاتهم من المخيلة الدينية والتراث العربي القديم، ليحتكوا بواقعهم ليبدعوا أعمالا أدبية مختلفة، فمنطقة توات لا تختلف عن غيرها من المناطق الإسلامية انطلق المبدعون فيها من أدباء وشعراء من ثقافتهم الدينية والتراثية، ليسقطوها على واقعهم فينتجوا لنا أعمالا أدبية متنوعة، برز بعضهم في النثر وآخرون خاضوا بحور الشعر وفئة ثالثة خالطوا الشعر بالنثر، فمن بين أهم العلماء المؤلفين الذين ألفوا أعمالا أدبية نجد:

- الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي (909 هـ):

فالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أحد أقطاب الفكر الديني والسياسي في الجزائر، وما يدل على ذلك هو إتيان معظم المصادر والمراجع التي تهتم بتاريخ الجزائر، وبالخصوص منطقة توات على ذكر الرجل وإسهاماته الإصلاحية، ومن أهم مؤلفاته الأدبية التي وصلتنا منظومة في علم المنطق سماها "منح الوهاب" ووضع عليها ثلاث شروح، كما ألف

منظومات في مدح الرسول أشهرها " بشراك يا قلبي هذا سيد الأمم"، وغيرها من القصائد المنظومة[1].

- الشيخ سيدي بلقاسم (ق 10هـ):

المعروف بـ "سيدي الحاج بلقاسم"، وهو أحد أولياء الله في المنطقة، هو سيدي الحاج بلقاسم بن الحسين بن عمر بن موسى بن الحسين بن يوسف، بن داوود ،بن محمد، بن سلطان...، وينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان. ولد بقرية "أوسيف" حوالي واحد وعشرين وتسعمائة هجرية (921هـ)، سافر عن بلدته وأخذ عن علماء أجلاء مثل سيدي علي بن ابراهيم وغيره، أخذ عنه الشيخ سيدي الحاج أبو محمد بن أحمد بن بوبكر الجزولي المدفون ببلدة أولاد عياش والشيخ سيدي عباد بن أحمد المقبور قرب قرية "تسفاوت" (تيميمون)، وأحذ عنه أيضا الشيخ سيدي أحمد بن يوسف المعروف ببلدة ماسين (تيميمون). والشيخ سيدي الحاج لحسن صاحب زاوية جنتور، سافر عن بلدته مدة ولما رجع أسس مسجدا ومدرسة، ثم انتقل فترة إلى قصر بني مهلال إماما ومدرسا، وبالقرب منها أسس زاويتة المشهورة التي تحمل اسمه إلى الآن، وذلك في المكان المعروف قديما بـ:"أزفافين". وبقي في زاويته مدرسا وفتيا حتى وافته المنية، من آثاره: مخطوط

[1] - مخطوط تقييد حول دخول العلماء إلى إقليم توات، خزانة بن الوليد أدرار- ومخطوط تقييد حول نسب الشيخ المغيلي في خزانة أحفاده بالإقليم - ومحمد بن عبد الكريم، مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام خزانة كوسام، ورقة 19. - والبكري بن عبد الكريم، مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية، ورقة 147. - و محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر العلماء التواتية، ورقة 13. - وكتاب أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي .تحقيق الأستاذ عبد القادر زبايدية ، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع. الجزائر سنة 1974.- و يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1995،1م، ص 143.- وأحمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن السابع حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين الجزء الأول، منشورات الحضارة الجزائر، ط1، 2009، ص 62.

بعنوان "منهاج السالكين"، بالإضافة إلى أزيد عشرة منظومات شعرية في التوحيد، والفقه، والسيرة النبوية، والمدح النبوي[1].

– الشيخ **سيدي عبد الكريم بن أمحمد التواتي (994 – 1042 هـ):**

ولد العلامة الشيخ عبد الكريم بن امحمد البكري التمنطيطي عام 994هـ بتمنطيط في تمنطيط في أواخر القرن العاشر الهجري، قال عنه صاحب جوهرة المعاني:" شيخ المشايخ الأعلام، وقدوة أئمة الأنام، رئيس المهرة، وإمام البررة، الذاكر القانت الشاكر، القاضي العدل، تاج العارفين، وملاذ الخائفين، الجامع بين الحقيقة والشريعة، والنص والقياس". كما قال عنه البكري بن عبد الكريم: "هوالشيخ الإمام العادل الهمام اللغوي، النحوي، البياني، الحسابي، الفروضي، الأصولي، العروضي، الفقيه، المحدّث، الجامع بين المعقول والمنقول رواية ودراية". وبحسب ما هو مبسوط في رحلته أنه أخذ القرآن ومبادئ التجويد والحساب عن والده حيث أخذ مبادئ علومه عن والده أمحمد بن أبي محمد، ثم ارتحل في طلب العلم لعدة أقطار وأخذ عن العديد من مشاهير العلماء مثل العالم أبي زيد عبد الرّحمن بن سليمان بن موسى الجومي، الذي يصفه في رحلته بأنه:"... كان مُتقنا لكتاب الله عز وجل حافظا له عالمًا بأحكامه عارفًا بالفرائض والنحو والتاريخ "، فدرس عنده زهاء الثلاث سنوات، كما أخذ عن العالم عبد الرحمن بن علي من لا يخاف السجلماسي،

[1] - محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، مخطوط الدرة الفاخرة، ورقة 18. – ومولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات،منشورات العالمية للطباعة والخدمات، الحراش – الجزائر، د.ط، 2001،ج02، ص 12- ومحمد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، دار هومه، الجزائر، ط 2002، ص 145.

وأبي زيان التلمساني، وأحمد بن معزى، كما أخذ الفقه والحديث والحساب وعلم القراءات عن الشيخ سعيد المقري، الذي وصفه في رحلته أنه: " ... ذو إلمام بقراءة الحديث وحفظ حروفه وضبط مشكلاته، ماهرا في حرف نافع "، كما أخذ عن الشيخ سعيد قدورة الجزائري الذي لقيه في بني عباس[1].

ولقد تبوأ الشيخ عبد الكريم، بما أخذه عن مشائخه، مكانة علمية جعلته محل ثناء من معاصريه والمترجمين له، حيث شهد له الرحالة العياشي بغزارة العلم فلقّبه بعالم توات.

كما قام هذا العالم برحلات، فهو كغيره من طلبة العلم، أقدم على الرحلة لغرض الاستزادة من العلم والاحتكاك بأهله، ومن خلال ما هو مبسوط من تراثه يتضح أن الشيخ قام برحلتين علميتين، قادته أولاهما الى بني عباس والأخرى الى المغرب الاقصى.

أول رحلة علمية خارج تمنطيط كانت الى مدينة بني عباس، ولا تتكلم أي من المصادر التاريخية عن أسباب أخرى عير سعي الشيخ لطلب العلم، حيث تعرف عالم توات الى أحد الرجال الصالحين هو الحسن بن أخمد بن أبي يحي الشريف الذي حثه على السفر الى بني عباس للدراسة على يد الشيخ سعيد قدورة الجزائري، غير أ ن الشيخ أستعسر الرحلة نظرا لقلة ذات اليد لكن الرجل الصالح اشترى له دابة وأمن له مصاريف السفر، ولما وصلا بني عباس وجدا احتفاء كبيرا من

[1] - محمد بن عبد الكريم، مخطوط جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، خزانة تمنطيط، ورقة 30. - ومحمد بن عبد الكريم، مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، ورقة 07. - والبكري بن عبد الكريم، مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية، ورقة 34. - ومحمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، مخطوط الدرة الفاخرة، ورقة 05. - و صديق حاج احمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص 75، - وعبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص114.

طرف الشيخ سعيد قدورة الذي توسم فيهما الخير يقول في رحلته:"...عرض علي الرحلة إلى بني عباس من واد الساورة، للقراءة على السيد سعيد الجزائري، وقال لي: أنه صاحبي، ووعدني بالجد، والاجتهاد في القراءة معي، فإذا رحلت إليه، فإني أنزلك في موضعي، فاستعذرت له بقلة ذات اليد، وعدم النفقة على السفر، فاشترى لي دابة، وأخذ لي زاداً، وحملني معه، حتى أوردني على السيد المذكور..."، وعندما وصلا بني عباس، قدما على الشيخ سعيد الجزائري، و أنزلهما منزلة واحدة.

كانت حواضر بلاد المغرب الأقصى الوجهة الثانية للشيخ في سياق رحلاته لطلب العلم، حيث زار سجلماسة ومراكش وفاس، والتي كانت وقت ذاك أحد قلاع العلم والمعرفة في بلاد المغرب، ألتقى خلال تجواله بالكثير من العلماء، وجالسهم مغترفا من علمهم وطالبا إجازتهم، ولحسن الطالع فقد أفرد الشيخ هذه الرحلة بمصنف يعد من أجل ما كتب في فن الرحلة في توات؛ حيث روى دواعي الرحلة وحيثياتها، وسجل فيها الكثير من الفوائد التي استقاها من الشيوخ الذين قابلهم وورد مجالسهم، ورغم ما سبق من اثراء لمخطوط الرحلة إلا أن الشيخ أعمل الاختصار ما أمكن، حيث لم يتحدث كما عودنا أهل هذا الفن عن وصف طريق الرحلة، لكنه أسهب في ذكر الشيوخ الذين التقاهم؛ حيث التقى بمراكش بشيخ من توات هو الحاج أحمد التواتي، الذي وصفه أيما وصف وجالسه وأخذ عنه معرفة التصريف بآلة الإسطرلاب كما التقى أيضا بالشيخ أحمد بن عبد الله أبي محلي السجلماسي الفقيه الثائر المعروف والشيخ أحمد بابا التمبكتي.

مؤلفاته: عرف "عالم توات" بغزارة التأليف، حيث ألف العديد من المصنفات، من أهمها:

1- غاية الأمل في إعراب الجمل على لامية ابن المجراد.

2- حاشية على مختصر اللقاني على ابن الحاجب، وهو مؤلف فقهي اختصره بأمر شيخه سعيد قدورة الجزائري.

3- تحفة المجتاز إلى معالم أرض الجحاز: في أدب السفر إلى بيت الله الحرام وما يجب على المعتمر والحاج من المناسك، وما يصادفه من مزارات .

4-"شقائق النعمان في من جاوز المائة بزمان" وهو كتاب ترجم فيه لعلماء وذكر فيه المعمرين.

5-"سفينة النجاة بأهل المناجاة" وهي قصيدة في التوسل بأولياء الله الصالحين.

6- "الرحلة في طلب العلم" وهي رحلة فهرسية ذكر فيها شيوخه الذين أخذ عنهم.

7- أبيات شعرية في الميراث وشرح عليها.

وله العديد من المنظومات والقصائد الشعرية .

وفاته: توفي الشيخ عبد الكريم بن امحمد سنة 1042هـ.

- الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الونقالي (1002- 1078هـ):

الشيخ سيدي أحمد (1078هـ) بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسين الونقالي دارا العثماني نسبا، هو مؤسس زاوية تينيلان القديمة، ولد بقصر أولاد ونقال سنة (1002هـ) ثم انتقل إلى تينيلان القديمة[1]، في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة (1058هـ)، حج مرات عديدة رافق في بعضها العالم سيدي عبد القادر بن عمر، تتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد التمنطيطي، توفي سنة (1078هـ)، من آثاره المخطوطة وصيته في تأسيس زاويته الشهيرة، بالإضافة إلى بعض التقاييد المختلفة، كما ينسب له مخطوط في علم الأنساب بعنوان "التودد" وهو مخطوط مفقود[2].

- الشيخ سيدي علي بن حنيني (1115هـ):

صاحب الزاوية الصوفية المشهورة بالضيافة واستقبال الوفادة، ولد الشيخ سيدي علي بن حنيني في القرن الحادي عشر الهجري بزاجلو، والتي نشأ وترعرع فيها؛ حيث بدأ دراسته وحفظ القرآن الكريم على يد شيخه العلامة الشيخ سيدي محمد بن محمد العالم الزجلاوي الأنصاري المتخرج من مدارس فاس، والبالغ عددها حوالي 200 مدرسة حسب المصادر التاريخية، وكان طلابها يأتون من كافة دول إفريقيا المسلمة التي تقع جنوب الصحراء، ويتلقون فيها مختلف العلوم

[1] - كانت تسمى قديما (رزق الله الواسع)، تقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدين أدرار.

[2] - محمد بن عبد القادر التينيلاني، مخطوط الدرة الفاخرة، ص02. - حاج احمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص85. – و محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، ص 32. - ومولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ج02، ص 85 -

والفنون، ولم تكن هذه المدارس مخصصة لإيواء الطلاب فحسب، بل كانت مراكزا ثقافية حيث كانت تضم مكتبات تحتوي على العشرات من المخطوطات[1].

ثم أن الشيخ سيدي علي بن حنيني ارتحل إلى قصر أوقروت بزاوية سيدي عومر بن الصالح، ليتم دراسته العلمية على يد الشيخ سيدي محمد بن علي الملقب بالنحوي مع زميله الشيخ سيدي البكري، وبعد إتمامه إلى الدراسة رجع إلى البلدة للتدريس والإرشاد والإصلاح بين المسلمين، وكان له تلاميذ وذكر، كما أن له مؤلفات عديدة، وكانت له أعمال فلاحية وتجارية، وقد ذكر أيضا أنه كان يملك سبعمائة جمل، يتاجر بها من أرض السودان إلى وطنه مع زميله الشيخ سيدي علي بن احمد الرقادي الكنتي، بل نقل أنه مكث بأرض السودان عدة سنين، بهدف نشر العلم وبث الدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله.

ثم عاد إلى وطنه بغنمه وإبله وبهذه البلدة المباركة الميمونة أقام زاويته بلوازمها، فاشترى بساتين وفقاقير وجعلها حبوساً على الضيوف وعابر السبيل، ولا زالت على شرط تحبيسها قائمة ولم يفرق رحمه الله بين مسلم وكافر؛ حيث كانت زاويته من أكبر الزوايا على مستوى الوطن بالنسبة للعقار، ولم تزل على ما جعلت له يقوم عليها أبناؤه كابراً عن كابر.

ومحمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني، ص 04. – ومحمد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، ص 79. – وعبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص81.

[1] - محمد بن عبد الكريم، مخطوط درة الأقلام ورقة 44- والبكري بن عبد الكريم، مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ورقة 61 - ومحمد بن عبد القادر التينيلاني، مخطوط الدرة الفاخرة، ورقة 14.- وتقاييد مختلفة عند أحفاده بزاجلو - وحاج احمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص126. - ومولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ص 07. - وعبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها ص92.

توفي الشيخ سيدي علي بن حنيني عام 1118 هـ.

أما بالنسبة لمؤلفاته فلم نعثر إلا على قصيدته المشهورة في مدح العائلة البكرية وزاويتهم، وهذا راجع إلى احتراق وتلف خزانة الشيخ.

- الشيخ سيدي عبد الرحمان بن أبي إسحاق ابراهيم بن عبد الرحمان الجنتوري القُورَاري(1160هـ):

هو سيدي عبد الرحمان بن أبي إسحاق ابراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن علي الجنتوري القورَاري، أصله من قصر تيطاف، ثم انتقل أجداده لبلد عين صالح، ومنها انتقل جده إلى قصر جنتور، كان الشيخ معروفا بخديم الأشراف كما لقب نفسه، وكنيته أبو زيد، أخذ أولا عن والده ثم عن ابن عمه عبد العالي بن أحمد، ثم عن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التينيلاني، ثم انتقل إلى فاس وهناك أخذ عن بعض علمائها أيضا، وصفه الشيخ ضيف الله بن محمد بن أب في رحلته بقوله: " كان أحب علماء قورارة لوالدي، وإني رأيته يوما أتى لوالدي في رحلتي حياتهما لتينجورارين، فاستأذن عليه فدخل وأغلق الباب فظل عنده النهار كله، والله أعلم أنه كان مشتغلا بإصلاح قصائد له...، وكان الشيخ إذا أشكلت عليه مسألة فقهية سأله عنها،..."، ومما جاء في الرحلة عن وصفه أيضا ما قاله الشيخ سيدي محمد بن أحمد بن عبد العزيز: "... كان أعجوبة أهل زمانه رواية ودراية،..."، توفي بقورارة ليلة الإثنين الخامس من جمادي الأولى سنة (1160هـ)، وهي السنة التي توفي بها عدد من علماء الإقليم، كسيدي محمد الصوفي البادرياني

(الخامسة والعشرين من جمادي الأولى)، ومحمد بن أُبّ المُزّمّري (العاشر من جمادي الأخيرة)، إضافة إلى بعض الأعيان في قصور الإقليم، كقصر عريان الراس وغيرها، خلف لنا الشيخ عدة مؤلفات منها[1]:

- حاشية على الزرقاني: وأنكر عليه فيها خرقه للإجماع في بعض المواضع.

- شرح على مختصر خليل من باب الخطبة الى النكاح، يقال: أنه لم يخرج من مسودته وانه أسند كل مسألة لأصلها في الكتاب والسنة.

- نظم في قضاء الدين سماها معونة الغريم، ضمنه العديد من المسائل لا توجد مجموعة في غيرها.

- شرح على نظم معونة الغريم .

- منظومتان في علم الكلام رائية ولامية: ضمنها محصل كلام السنوسي في عقائده وشروحها وهما في غاية الإفادة غير أن الشيخ لم يكن يتقن فن العروض والقوافي، فلذلك وجدت فيهما عيوب كثيرة قام تلميذه عبد الرحمن التينيلاني بإصلاحها.

- شرح على المنظومتين: وهو أيضا في غاية الإفادة أكثر فيهما النقل من كلام الإمام المحقق أبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي في حاشيته على الكبرى وهما مما يستدل به على مكانته في ذلك الفن.

[1] - ومحمد بن عبد القادر التينيلاني، مخطوط الدرة الفاخرة، ورقة 14. - وحاج احمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص126. - ومولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ص 07.

- أرجوزة في علم الفرائض.

- تأليف في التصوف في أحوال أرباب القلوب.

- تقاييد وطرر على مختصر خليل .

- العديد من الفتوى جمعت في ما يعرف بنوازل عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري.

بالإضافة إلى قصائد شعرية أتلفت أجزاؤها.

– الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ المُزّمّري:

هو سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ المُزّمّري، ولد الشيخ كما أخبر والده يوم السبت السادس عشر(16) من شهر شوال سنة ثمانية وعشرين ومائة وألف (1128هـ)، ولقد عرف بنفسه في رحلته قائلا :" ...وكان والدي يباهي بي أولاده كثيرا في عيشتي، وشاورني في كثير من أموره مع صغر سني ...وأشركني في كثير كتب حبَّسَها... "، من أبنائه الشيخ سيدي محمد الذي سماه باسم جده تبركا بالرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – كما قال وولد له ثلث ليل يوم الجمعة الرابع من رمضان سنة ثمانية وخمسين ومائة وألف (1158هـ).

كان الشيخ سيدي ضيف الله كما وصفه أحد قضاة عصره أشعر من أبيه محمد بن أُبّ، وله عديد القصائد الشعرية منها مرثيته في أبيه التي أشار إليها في رحلته[1].

- الشيخ سيدي محمد الإداوعلي (توفي قبل سنة 1198هـ):

هو محمد بَكُّ العَلَوي بن محمد بن كل بن ثال بن يحي ويصل نسبه إلى الحسن المثنى بن علي (كرم الله وجهه) بن أبي طالب، ولد بشنقيط ثم انتقل منها لتوات، وكان أول العلويين الشناقطة دخولا لأرض توات على ما يروى، كان شاعرا فحلا حتى عرف بشاعر المديح النبوي، عاش متنقلا بين أرض شنقيط وتوات، وعاصر في إقليم توات الشيخ سيدي بونعامة بتيديكلت، وكانت له معه قصة مشهورة أثناء سفره إلى الحج أرخ لها في قصيدة شعرية، استقر الشيخ الإداوعلي في أرض توات أولا في قصر تمنطيط، واتصل بعالمها آنذاك الشيخ سيدي البكري، وبعدها انتقل إلى تافيلالت بأرض المغرب، واتصل بعالمها الشيخ سيدي الغازي، وبعد عودته من تافيلالت استقر مدة في تمنطيط، ثم انتقل بعدها إلى قصر اعباني، وهناك أسس مسجده ومدرسته القرآنية، وأنجب ابنه سيدي ابراهيم المدفون في قصر اعباني حاليا، وفي نهاية حياته انتقل الإداوعلي إلى أرض تمبكتو، وبها توفي في القرن الثاني عشر، وصلى عليه جمع غفير في مقدمتهم الشيخ سيدي محمد بن المبروك البوداوي المتوفي سنة (1198 هـ).

له ديوان شعري ضخم ضمنه قصائد مختلفة في مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم–[1].

[1] - مخطوط رحلة الشيخ سيدي ضيف الله .خزانة تمنطيط، أمتلك صورة لها.

- الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التينيلاني (1189هـ):

ولد أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن معروف بن يوسف التواتي[2] سنة 1121هـ – 1709م [3]، في عائلة اشتهر أهلها بالعلم والمعرفة، إذ هي من أجل البيوتات التواتية؛ حيث يتصل نسبها بالخليفة الثالث عثمان بن عفان –رضي الله عنه–[4]، نشأ في بيت جاه وحسب وصلاح، وبيئة علم ومعرفة وكلًها عوامل كونت شخصه وصقلت موهبته العلمية.

لقد أثنى محمد بن عبد الكريم التمنطيطي على الشيخ عبد الرحمن التواتي، حيث قال عنه: "... شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ، العلامة، الفهامة، علم الأعلام، ومرشد الإسلام، أبو زيد كان – رحمه الله– عالماَ، ثاقب الذهن ذا وقار وديانة، انتهت إليه رياسة الفقه بالديار الصحراوية..."[5]، وقال عنه المهداوي في تقييده "الدرة الفاخرة": "... عالم العصر... من أهل قيام الليل، كان من

---

[1] - مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة ج01، ص 114.- أحمد ابالصافي جعفري، محمد الإداوعلي حياته وآثاره، سلسلة رجال في الذاكرة الوقفة الثانية، ط1، 2008، ص9.

[2] - ومحمد بن عبد القادر التينيلاني، مخطوط الدرة الفاخرة ورقة 03 - ومحمد بن عبد الكريم، مخطوط جوهرة المعاني .ورقة23 – و صديق حاج احمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص 87 – ومحمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01، ص220. - ومحمد باي بلعالم، الغصن الداني،ص 35 . - ومحمد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات .ص 99.

[3] - التادمكي محمد الأمين الأنصاري، القواعد النفيسة في شرح المعرب، شرح علي بن سلطان المكي، الطبعة الأولى ، دار البخاري، الرياض ، سنة 1416هـ-1996 م، ص12 .

[4] - جاء في بعض التقاييد المخطوطة أن نسب المؤلف والعائلة التينيلانية يتصل بالخليفة المذكور، وفق الشجرة التالية : عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسن بن يوسف بن أحمد بن داود بن محمد بن سلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدان بن أبان بن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ينظر: (مؤلف مجهول، تقييد لأنساب العائلة التينيلانية خزانة باعبد الله، أدرار .وأيضا، تقييد خطي موجود بزاوية تينيلان لدى أحفاد الشيخ، - ومحمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص03 .

[5] - محمد بن عبد الكريم، مخطوط جوهرة المعاني، ورقة 38. - ومحمد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، ص99.

غرائب الدهر تقدم في جميع فنونه، وكان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه، صالحا، مجتهدا، نوازليا، عجيبا، فاضلا، في فنون كثيرة وتخرج عنه الأعيان..."[1].

تلقى العلم على يد مجموعة من المشائخ وفق طرق التدريس المتبعة في القطر التواتي، حيث دخل الكتَّاب في سن مبكرة فحفظ القران الكريم على عادة أقرانه، على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التينيلاني.

وفي سنة (1168 هـ - 1754م) رحل المؤلف إلى سجلماسة، لأخذ علوم القراءات والتجويد عن شيوخها؛ حيث لقي هناك الشيخ صالح بن محمد الغماري[2]، كما حصل له اللقاء مع الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي[3] .

تصدر الشيخ عبد الرّحمن التواتي للإفتاء في الديار التواتية بعد رجوعه، فاعتُبر الشيخ عبد الرحمن رابع أربعة انتهت إليهم شورى القضاء في البلاد التواتية.

برغم نبوغهم في شتى العلوم كان الغالب على علماء توات قلة التدوين ،حيث كانوا يتصدون للتعليم والتأليف في صدور الرجال، إلا أن الشيخ عبد الرّحمن التواتي، بحسب ما هو مبسوط في خزائن توات قد خالف القاعدة بعض الشيء، فكان من المكثرين وذوي القلم السائل،

[1] - محمد بن عبد القادر التينيلاني، مخطوط الدرة الفاخرة، ورقة 5- 6 .
[2] - عبد الرحمان بن عمر التينيلاني التواتي، فهرسة شيوخه، ورقة 35.
[3] - المصدر نفسه، ورقة 37.

ومن الموسوعيين الذين تتنوع مؤلفاتهم لتشمل كل صنوف العلم، فقد ألف الشيخ في اللغة والفلك والفقه وأدب الرحلة، فمن مشهور مؤلفاته:

01- أرجوزة في الفلك.

02- أرجوزة شبكة القنّاص في نظم درة الغواص.

03- مجموعة تقاييد وفتاوى جمعها الشيخ محمد عبد الكريم بن عبد الملك البلبالي في كتابيه الجامع وغاية الأماني في أجوبة أبي زيد التينيلاني.

04- رحلة حجازية: وهي من أجلّ ما أُلف في فن الرحلة في البلاد التواتية، قيّد فيه المؤلف مراحل رحلته مرحلة بمرحلة حتى وصوله إلى البيت الحرام، ثم تتبع طريق العودة إلى القاهرة، تكلم خلالها عن جميع ما رآه وحصل له في تلك الرحلة .

05- مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون، وهو اختصار لكتاب ألفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف النحوي الشافعي الحلبي المعروف "بالسمين".

06- أرجوزة مدح فيها تأليف إمام الحرمين المسمى بالورقات وشرح الحطاب.

07 - تقريظ على نظم الأجرومية لابن أب المزمري .

08 - مختصر النوادر .

09- فهرسة شيوخه: ومن أجلّ ما ألّف فهرسته التي ترجم فيها لشيوخه الذين تتلمذ على أيديهم.

خلف لنا الشيخ مخطوطات ثلاثة أرخ فيها لرحلاته بين الحج وطلب العلم. بالإضافة إلى تقييدات فقهية مختلفة وقصائد شعرية عدة .

- **الشيخ سيدي محمد بن المبروك (1196هـ):**

هو محمد بن المبروك ابن يد احمد (مول سبع حجات) محمد بن عبد الله محمد دين الله بن علي بن راشد بن موسى بن علي بن اسماعيل بن ادريس بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه.

ولد سنة 1080 هـ وعاش في قصره، وجدُّه سيدي احمد الملقب ابو سبع حجات بزاوية سيدي حيده من قصور مقاطعة بودة، يقول عنه عبد الرحمان بن عومر التينيلاني: "...كان رحمه الله عالما ورعا زاهدا وأحد الحفاظ، أخذ عن سيدي محمد الونقالي، وعن الشيخ سيدي اعمر بن عبد القادر، وعن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر، فصار عن علو محله في العلم والأدب، مع جلالة قدره في المحاسن وتفرده في الغايات في المدح".

وهناك العديد من العلماء الذين عاصرهم الشاعر في القرن الذي عاش فيه، وهو القرن 11هـ، القرن الذهبي في الحياة العلمية التواتية، ومن بين اولئك العلماء محمد بن أب المزمري،

وسيد محمد بن عبد الله الونقالي، والولي الصالح مولاي عبد المالك الرقاني، والشيخ عبد الرحمان بن باعومر التينيلاني، والشيخ سيدي عومر بن عبد القادر التينيلاني، وسيدي محمد الإداوعلي، والشيخ العالم العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان المعروف بسيدي الحاج البلبالي، وسيدي البكري بن عبد الكريم التمنطيطي وغيرهم كثير، وكانوا كلهم علماء وفقهاء وشعراء، لهم العديد من الكتب في مجالات مختلفة، أثرت الساحة العلمية وجعلت من القرن 11هـ في منطقة توات فعلا عصرا ذهبيا[1].

خلف الشيخ سيدي محمد بن المبروك العديد من الكتب في المسائل الفقهية والأنساب، ضاعت كلها ولم نعثر على أي منها، كما ترك الشاعر كذلك ديواني شعر، أحدهما فصيح والآخر ملحون أو شعبي، فمن الفصيح مرثيته التي رثى بها أبا زيد سيدي عبد الرحمان بن باعومر التينيلاني، وأيضا قصيدته المعروفة "عدمت ليلى " وقصيدة "صلوات الإله تترى".

أما وفاته فيقول عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التينيلاني: " ...توفي جدنا العلامة سيدي محمد بن المبروك البوداوي يوم اثنين وعشرين شعبان عام ستة وتسعين ومائة وألف..." في القرن الثاني عشر(12هـ) الهجري، توفي عن عمر يناهز القرن وخمسة عشر(115) سنة، وقد دفن في القبر الذي حفره بيديه، ويرى الكثير أن هذا ما كان يقصده من حفره لقبره بنفسه حين يقول[2]:

[1] - صديق حاج احمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص 97. – ومحمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01، ص225. - ومولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة ج01، ص 120.- وأحمد ابالصافي جعفري، محمد بن الميروك حياته وآثاره، سلسلة رجال في الذاكرة الوقفة الثانية، ط1، 2008، ص9.

[2] - أحمد ابالصافي جعفري، محمد بن الميروك حياته وآثاره، سلسلة رجال في الذاكرة الوقفة الثانية، ط1، 2008، ص19.

أَلاَ يَا قَوْمَنَا قَدْ بِتُّ أَمْسِ أُكَابِدُ فِي سَوادِ اللَّيلِ رَمسِي

هُوَ المِعْرَاضُ لِلإِنْسَانِ مَهْمَا يَمُتْ يُلْقَى بِسِجْنِ أَيَّ حَبْسِ

إلى قوله متحدثا عن قبره:

فَذَكَّرَنِي بِمَا أَمْضِي إِلَيْهِ وَبِالْجُرْمِ الذِي جَرَمَتْهُ نَفْسِي

- الشيخ سيدي محمد البكري بن محمد عبد الرحمن التينيلاني (1339هـ):

هو البكري بن عبد الرحمان بن الطيب بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد[1] وقيل بن معروف[1] بن أحمد بن يوسف التينيلاني نسبا، البكراوي منشأ، وكما رأينا فقد اختُلف في جده الخامس، ويرتفع نسب والده إلى الشيخ سيد أحمد المليانى، ونسب أمه إلى الإمام إدريس بن عبد الله الكامل.

ولد سيدي البكري في سنة 1261هـ- 1845م بزاوية سيدي البكري، وسمي البكري تبركا بأحد أجداده الذي سمي على اسم عالم مصري، كان قد التقاه والده (أي والد الجد) أثناء طوافه بحثا عن العلم فسمى ابنه عليه[2].

[1] - صديق حاج احمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص 122. – ومحمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01، ص319.
- ومولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة ج02، ص 45.

حفظ القرآن الكريم على يد والده وهو طفل صغير، ثم انتقل إلى مدرسة شيخه سيدي الحسين بن سعيد وهو خاله، فأخذ عنه الفقه واللغة والآداب والتفسير والحديث[3]، ثم انتقل إلى بلدة كالي بأولاد سعيد بتيميمون وقام هناك على تدريس الصبيان القرآن الكريم، وصلى بالناس إماما، وذلك بطلب من شيخ الزاوية سيدي مولاي عبد العالي الشهير بـ(مولاي عبد الحاكم) وكان ينوي الذهاب إلى الزيتونة بتونس ولكن تعذّر عليه الأمر[4]، وبعد التحاق شيخه وخاله سيدي الحسن بن سعيد بالرفيق الأعلى عاد أدراجه إلى زاوية سيدي البكري ليقوم مقام شيخه، ولازال بها حتى وافته المنية بمسقط رأسه طلوع فجر الأربعاء أوائل جمادى الأولى عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف 1339هـ – 1921م. [5]

مؤلفاته:

لقد تنوعت موهبة سيدي البكري بن عبد الرحمن بين الشعر والنثر فقد كتب أشعارا في مختلف الأغراض وعلى مختلف الأوزان والبحور الشعرية، كما له منظومات في النحو والفقه والتوحيد وفي علم الفرائض (الميراث) وغير ذلك، كما له عدة رسائل نثرية منها الإخوانية واللغوية منها[6]:

– منظومة ذات فصول سماها المعيار في ذم الاستقصاء للنظار.

– مكاتبة منه لبعض الأحبة تشتمل على نصائح وإرشادات، وله مكاتبات أخرى.

---

[1] - حسب رواية الأستاذ ابن الوليد عبد القادر، صاحب خزانة باعبد الله، وينظر محمد باي بلعالم، المباحث الفكرية على شرح الأرجوزة البكرية، د.ط، مطابع عمار قرفي باتنة الجزائر، ص: 07.

[2] - ينظر الشيخ باي بلعالم، المباحث الفكرية على شرح الأرجوزة البكرية، ص 08.

[3] - عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط: 2005م، ص 86. - وصديق حاج احمد ، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص 108.

[4] - بحسب رواية الأستاذ عبد القادر بن الوليد.

[5] - بحسب رواية السيد الحاج عبد الله بن سيدي عبد السلام بكراوي، وهو أحد أحفاد سيدي البكري بن عبد الرحمان.

[6] - محمد البكري بن محمد بن عبد الرحمان، شفاء القلب العليل بتحقيق شرح منظومة البكري على أوصاف الخيل للمؤلف، تحقيق وتحليل:محمد سالم بن عبد الكريم، ص44-45، دار الكتاب العربي، 2006.

- أرجوزة طويلة تشتمل على ثلاثة فنون؛ التوحيد والفقه والتصوف، وفي كل فن من هذه الفنون منها فصول.

- ما يفوق ثلاثين قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

- له سؤال منظوم يقول عنه أنه لم يحظ بجوابه حتى الآن.

- له منظومة على الباديسية قرظها بها عندما قرأها.

- له منظومة في الشاي، وتشتمل على فصول كالمرشد المعين ذكر فيها فرائضه وسننه ومبطلاته، والمضار التي يزيلها.

- قصائد في مدح آل البيت ومدح الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني والشيخ محمد البكري بن سيدي عبد الكريم، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وشرفاء تاردالت.

- نبذة في علم الميراث مختصرة وواضحة.

- العديد من المقطوعات الشعرية في الشاي وقصائد أخرى كذلك.

- قصائد يرد بها على أعدائه وحساده.

- جواب على سؤال إمام الحرمين الذي بعث به إلى علماء المشارقة والمغاربة يختبرهم فيه، سماه: اختبار كل عارف من أنباء المعارف.

- منظومة في أوصاف الخيل.

- وله منظومة في أحوال الإشارة[1].

ومن رسائله "بذل المجهود"[2] وهي رسالة رائقة في الكرم وذم البخل، ورسالة في الإثمد والكحل[3] وهي رسالة صغيرة بين فيها منافع الكحل والأمراض التي يعالجها، كما له مجموعة رسائل وعظية وهي في أصلها رسائل أخوية كان يرسل بها إلى صديقه مولاي أحمد بن مولاي المهدي التردالتي، وغيرها من الأعمال.

ونختم بالإشارة إلى شاعرنا محور الدراسة **الشيخ سيدي محمد بن أُبّ المُزّمّري (1094-1160هـ)**، الذي ألف عدة مؤلفات في فنون كثيرة من العلم وخلف أشعارا كثيرة لو جمعت لكانت ديوانا ضخما، سنذكر ذلك بشيء من التفصيل في الفصل الموالي.

3- تأثر وتأثير الحركة العلمية بتوات:

أ- مرحلة التأثر:

ونعني بها مرحلة التعّلم والأخذ، وفيها كان أهل توات تلاميذ للعلماء الذين حلوا بتوات من أمثال الشيخ مولاي سليمان بن علي[4] الذي أنشأ أول زاوية له بقصر أولاد أوشن سنة585هـ،

[1] - أحمد جعفري، المخطوطات اللغوية وأعلامها في الخزائن والمكتبات التواتية من القرن 10هـ إلى نهاية القرن 14هـ-دراسة بيبليوغرافيا في الموضوعات والأعلام، بحث مقدم في الملتقى الدولي حول إسهامات علماء المغاربة في خدمة اللغة العربية وترقيتها-جامعة وهران، أيام 28/27/26 أكتوبر2009.

[2]- ضمن مجموع مخطوط خاص، موجود بخزنة كوسام، ورقة 255.

[3]- نفس المصدر، ورقة 182.

[4] - هو أبو داود سليمان" الملقب ب أوشن "بن مولاي علي الشريف بن أعمر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي يرتفع نسبه إلى سيدنا علي كرم الله وجهه، ولد حوالي سنة 549 هـ - 1154 م، وصل إلى توات حوالي سنة 591 هـ، واستقر به المقام بقصر أولاد أوشن حيث أقام زاويته لطلاب العلم وإطعام الطعام، إلى أن توفي سنة 670 هـ.

وبها تعلم الكثير من التلاميذ، وفي سنة 815هـ قدم القاضي أبو يحي بن محمد لتوات وتولى القضاء بها، وفي سنة 845هـ جاء السيد يحي بن إيدير شيخ المغيلي، فولي قضاء توات، كما قدم الإمام السيد عبد الله بن أبي بكر العصنوني فكان دخوله سنة 870هـ.

وفي السنة ذاتها جاء الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي لتوات[1]، وكان لهؤلاء نشاط علمي واسع حيث أنشأوا الزوايا والمدارس بمساعدة الأهالي، فتكون على أيديهم عدد كبير من المشايخ الذين حملوا بعدهم راية العلم والمعرفة في الإقليم.

وهي مرحلة الخروج والبحث عن العلم في الحواضر الإسلامية داخل الوطن وخارجه مثل تلمسان، وسجلماسة، وفاس، وشنقيط، ومصر، وتونس، والتكرور وغيرها، ومن التواتيين الذين شدوا الرحال إلى الحواضر الإسلامية أذكر الشيخ عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التواتي التمنطيطي1042هـ[2] الذي رحل إلى الجزائر وأخذ عن عالمها السعيد بن إبراهيم قدورة، وعن أحمد المّقري التلمساني الذي كان بالقاهرة، ومنهم كذلك الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني(1121هـ – 1189هـ)[3] الذي توجه إلى عدة جهات كالتكرور، وفاس، والحجاز، والقاهرة التي توفي بها، ومنهم الشيخ عمر بن عبد القادر التينيلاني (ت1152هـ)[4]، الذي كان له كرسي التدريس بمسجد

[1] - أحمد الحمدي، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق، ص 44 و45 .
[2] - عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات، ص 114. - وحاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ص 103.
[3] - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01، ص319.- والغصن الداني، ص 15 .
[4] - عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات، ص 80.

القرويين بفاس، ومنهم عبد الرحمن بن إدريس (1181هـ)[1]، الذي سافر إلى الجزائر وأخذ عن علمائها، ثم فاس، والحجاز وتوفي أثناء عودته من الحج.

ب- مرحلة التأثير:

بالرغم من أن الفاصل بين السودان الغربي لأفريقيا والمراكز الحضارية في شمالها صحراء كبرى قاحلة وشاسعة، غير أن هذه الأخيرة لم تكن في يوما من الأيام خالية من السكان، ولم تكن حاجزا منع عنها نور الحضارة كما يدعي البعض، بل كانت وبدون مبالغة طريق الاتصال الوحيد إلى غاية أزمنة متأخرة، وهو ما أشار إليه كثير من الجغرافيين والرحالة، وفي مقدمتهم "الإصطخري" الذي يقول عن بلاد السودان: "...وليس لها اتصال بشيء من المماليك والعمارات إلا من وجه المغرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم..."[1]. وبحكم موقعها الإستراتيجي وكونها مركز عبور تتوسط الصحراء الكبرى لعبت منطقة توات في الجنوب الغربي للجزائر دورا ريادي عبر مختلف العصور، وأسهمت في ربط مناطق السودان الغربي بمختلف المراكز الحضارية في الشمال.

إن العلاقة بين توات وأفريقيا الغربية ليست وليدة الأمس، بل تمتد عبر العصور في عطاء حضاري متبادل شمل جميع المجالات وفي مقدمتها المجال العلمي والفكري، والذي كان "الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي" في القرن التاسع الهجري ركيزته الأولى، وصاحب الفضل في

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات، ص 46.

إعطائه بعداً وزخماً كبيرين لدوره وصيته وحركته الإصلاحية في ربوع أفريقيا، وبرحيله لم تتوقف وشائج الاتصال بل استمرت وبوتيرة أسرع أحياناً، لتعرف أوجها خلال القرن 12هـ-18م بفضل الازدهار العلمي والحضاري الذي عرفه الإقليم وتنقل علمائه الدائم نحو السودان الغربي، هذا التنقل الذي ساهمت في تعزيزه مجموعة من العوامل يمكن ذكرها فيما يلي:

شكلت التجارة إحدى وسائل الاتصال المثمرة بين توات وأفريقيا، وفي توات كانت تجتمع القوافل من الشمال مع القوافل القادمة من بلاد السودان،[2] بوصفها نقطة عبور وممر رئيسي لهاته القوافل، خاصة بعد تراجع مكانة الطريق الغربي الرابط بين سجلماسة، ولاتا، غاو، نتيجة للاضطرابات السياسية.

وكانت القوافل عادة ما تكون محملة بالكتب والمخطوطات بعدما راجت تجارتها في ذلك العصر بفضل ما كانت تدره من أرباح تفوق بكثير أرباح السلع الأخرى[3]، بالإضافة إلى تجار توات المحليين الذين كانت تجارة غالبيتهم مع السودان الغربي[4] مع تمتعهم بثقافة علمية واسعة أهلتهم للقيام بدور علمي إلى جانب نشاطهم التجاري، أو ما يعرف بظاهرة الفقهاء التجار الذين آثروا العمل بالتجارة على التدريس والقضاء لبركتها ولما كانت توفره لأصحابها من مكاسب، أو هروبا من تولي منصب القضاء، لكن دون انقطاع عن نشاطهم العلمي الذي واصلوا ممارسته

1- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم: مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1927م، ص 40.
2- الحسن ابن محمد الوزان(ليون الإفريقي): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حاجي، ومحمد الأخضر، جزآن، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.ج2، ص 133.
3- حسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص 167.
4- مولاي احمد الطاهري الإدريسي:نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، خزانة كوسام، ادرار، الجزائر، ص34.

انطلاقا من التجارة، وفاق تأثيرهم العلمي في بعض الأحيان تأثير من تفرغوا للعلم لاحتكاكهم المباشر بالعامة في الأسواق ومختلف الأماكن. وقد تعرف الأفارقة على كثير من التجار التواتيين الفقهاء ومن ألأمثلة على ذلك: الشيخ محمد فتحا ابن أبي محمد الأمريني التواتي[1] (ت1008هـ – 1600م)، الذي دَرَسَ في فاس وتضلع في مختلف العلوم مما أهله لتولي منصب القضاء، فدعاه الملك السعدي أحمد المنصور بعد احتلاله لتوات ليكون قاضيا عليها لكنه رفض العرض بعد أن قال لرسول المنصور: "...لأن يحاسبني الله على ألف قنطار، أيسر علي من أن يسألني عن قضية فاصلة بين اثنين..."[2]، وفضل ممارسة التجارة التي كانت ترد عليه من بلاد السودان.

كما أن بعض العلماء التواتيين مارسوا التجارة انطلاقا من الحاجة لتأمين مكاسب ونفقات الزوايا ومدارس العلم التي قاموا بإنشائها، ونذكر منهم في هذا الصدد الشيخ سيدي علي بن حنيني(ت 1115هـ – 1703م) صاحب الزاوية المشهورة بزاقلوا، الذي كان يملك قافلة وصل تعدادها تسعمائة جمل تتاجر في بلاد السودان[3]، وكانت أرباحها تنفق على طلبة الزاوية وعابري السبيل في توات وغيرها، والشيخ أبي الأنوار بن عبد الكريم التنيلاني (ت1168هـ – 1755م)، الذي كان تاجراً للتمور بين توات والسودان الغربي إلى جانب كونه فقيه وعالما[4] كانت له الكثير من الأنشطة العلمية. وقد كان تأثير التجار الفقهاء كبيراً؛ فهم سفراء لتوات في أفريقيا، وبفضل

1- محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، ورقة 50.

2- المصدر نفسه، ورقة 51.

3- محمد بن عبد الكريم، مخطوط درة الأقلام، ورقة 49.

4- محمد الصالح حوتيه: توات والأزواد، جزآن، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ج1، ص 238،

معاملتهم وطريقتهم المشبعة بالروح الإسلامية والأخلاق الحميدة حازوا إعجاب وثقة الإنسان الإفريقي فراح هذا الأخير يقلدهم في سلوكهم المستمد من تعاليم الإسلام الحنيف، مما كان له دور في انتشار الإسلام، والأدب الذي كان ملازم للعلوم الشرعية، كما أسهموا في انتقال الكثير من المخطوطات والعادات والتقاليد بين القطرين.

كما كانت توات إحدى المحطات الرئيسية لحجيج بلاد السودان الغربي، وشكل الحج فرصة سنوية مناسبة للكثير من الأفارقة لزيارة المنطقة والالتقاء بالعلماء والطلبة، وتسجل الكثير من المصادر التاريخية رحلات الحجيج التي قام بها الأفارقة عبر توات، ومنها تلك الرحلة الشهيرة للملك كنكن موسى[1] الذي مر بها في طريقه إلى الحج سنة (725هـ – 1325م)، فكان لرحلة أول ملوك السودان إلى الحج اثر كبير في توطيد العلاقة بين توات والسودان الغربي.

كما ضمت قوافل الحجيج كثيرا من العلماء والفقهاء الأفارقة ممن كانت لهم إسهامات وآثار بالمنطقة من دون شك، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الفقيهين الشيخ أحمد بن عبد العزيز القوراري[2] والشيخ محمد أبن الشيخ احمد بابا التمبكتي، اللذان حجا رفقة الباشا علي بن عبد القادر (ت1042هـ – 1632م)[3] بعدما أراد الحج سنة 1041هـ – 1631م، وكان معه ثمانين

1- هو منسا موسى أبي بكر، تولى مقاليد مملكة مالي سنة 712هـ- 1312م، عرفت المملكة في عهده درجة عالية من التوسع والازدهار والتقدم، قام برحلته الشهيرة إلى الحج عام 725هـ/1325م، توفي سنة 738هـ/1337م. للمزيد أنظر: عبد الرحمن بن عبد الله السعدي: تاريخ السودان، طبع هوداس، باريس، 1981م.، ص 7. محمود كعت : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر هوداس ، باريس، 1964، ص 32 وما بعدها. تذكر بعض المصادر أنه توفي سنة734هـ/ 1335م .

2- نسبة إلى منطقة قورارة بتيميمون.

3 - هو الباشا علي بن عبد القادر تولى الحكم في تمبكتو بعد الباشا إبراهيم الجرّاريّ سنة 1038 هـ إلى غاية سنة 1042هـ تميز عهده بكثرة الاضطرابات والنزاعات، مات مقتولا سنة 1042هـ ودفن بمقبرة أبي القاسم التواتي في تمبكتو. للمزيد انظر: عبد

رجلا، وفي توات لحق به القائد الفلالي بن عيسى الرحماني البربوشي وأصحابه، وأرادوا قتله، لكنه استنجد بالفقيهين المذكورين فتركوه لحرمتهما ومكانتهما، بعد أن منعوه الحج وقتلوا عددا كبير من أصحابه، أما الفقيهان فقد واصلا طريقهما إلى الحج[1].

ومن العلماء الذين زاروا توات في مواسم الحج: الشيخ الحاج أبو بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة الغلاوي (ت1146هـ - 1733م)، حج عام (1121هـ - 1709م) رفقة الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي[2]، كما حج سنة (1157هـ - 1744م)[3] الشيخ أبو بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي (ت1199هـ - 1785م)، أتى معه من الحج بخزانة نفيسة من الكتب[4]، ومن دون شك نَسَخَ أو أسْتُنْسِخَ البعض منها في توات، وممن حج من الفقهاء الشيخ الحاج البشير بن أبي بكر بن الطالب محمد البرتلي(ت1214هـ - 1799م)، حج سنة 1204هـ-1789م وله رحلة حول ذلك؛ يذكر فيها مراحل الطريق من توات إلى الحج[5].

الرحمان السعدي، تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 228 ، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، كتاب مجهول المؤلف، نشر هوداس، باريس، 1899م، ص 34.

1 - أنظر: السعدي، المصدر السابق، ص 333.

2- البرتلي الولاتي أبي عبد الله، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 76.

3- في سنة 1157هـ - 1744م توفي شيخ ركب الحجيج من بلاد السودان إلى توات الشيخ الحاج احمد بن الحاج الأمين الملقب بالتواتي الغلاوي، أثناء عودته من الحج، ودفن بفزان بليبيا، وتوفي معه في نفس الرحلة والمكان عمر بن محمد المصطفى بن احمد الرقادي الكنتي التواتي، وكان بصحبته. أنظر: عبد الرحمان بن عمر التينيلاني: تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني،(فهرست التينيلاني)، مخطوط، خزانة تينيلان، ادرار ، الجزائر، ص 37. وأضاف هذا الأخير تحديد للمكان بالضبط وهو قرية (زلة) بفزان، مما يوحي أن قافلة الحجيج في تلك السنة قد تعرضت، لمكروه مالم تذكره المصادر، أو ربما كان تزامن وفات الشيخين محض صدفة.

4- البرتلي، المصدر السابق، ص 78.

5- البرتلي، المصدر نفسه، ص 83.

وكان للحجاج الأفارقة أماكن محددة يأتون إليها داخل توات في أوقات معلومة من السنة، وهناك يلتقون بالطلبة والعلماء من الإقليم الذين يبقون في انتظارهم، وعندها يتم التبادل العلمي وتبادل الإجازات والمخطوطات، وأهم مراكز الالتقاء: زاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني بزاقلو، زاوية كنته، زاوية الركب النبوي بأقبلي بمنطقة تيديكلت[1]، وتسابيت، وزاوية عبد الله بن طمطم بأوقروت[2]، لمن اختاروا الحج عبر الطريق الشمالي.

فكان لهذه العوامل الأثر البالغ في تواصل أعلام منطقة توات بغيرها من المناطق، حيث أفادوا واستفادوا، كما كانت الفرصة المناسبة لأبراز أعمالهم الأدبية، فالكثير من الأعمال التواتية وجد لها نسخ في مكتبة تمبكتو وبلاد شنقيط...

4 – مكونات الحركة الأدبية بتوات :

شهدت توات طيلة قرون من الزمن قفزة فكرية وعلمية؛ بحيث ازدهرت لديهم العلوم والفنون، فاختصوا في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية أكثر من غيرها وكان إنتاج علمائها غزيرا ووفيرا في هذا المجال وكثرت التآليف، وتكونت مكتبات عامرة تضم عددا كبيرا من المخطوطات تشمل مختلف فنون المعرفة.

1- عبد الرحمان بن عمر التنيلاني: المخطوط السابق، ص 54.

2- وقد سلكه الرحالة أبي سالم العياشي سنة 1072هـ - 1661م أنظر: مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص 69.

كما عرفت توات خلال القرن الثاني عشر الهجري (18 م) خاصة نهضة علمية كانت امتداداً لنهضة علمية واسعة عرفتها الحواضر العلمية المنتشرة في أرجاء شمال أفريقيا، كالقاهرة وفاس ومكناس وتلمسان ومازونة وبجاية وغيرها والتي أنجبت علماء كانوا رواد إصلاح وناشري علم ومعرفة، وقد كان لهذه الحواضر الوقع المؤثر على توات بحكم الجغرافيا والتاريخ بدأت بوادره في الظهور منذ القرون (09-10-11هـ) وتوجه تأسيس مراكز علمية كان لها الأثر البالغ في بعث الحركة الثقافية والعلمية في عموم البلاد التواتية .

إن الواقف على ما تبقى في خزائن توات من المخطوطات ليلمس ضخامة الإنتاج العلمي لعلمائها، غير أن هذا المنتوج تعرض للضياع والنهب، فقد أحصت جمعية الأبحاث التاريخية بولاية أدرار ثلاثة آلاف مخطوط مفهرس من مجموع إثني عشر ألف مخطوط موزعة على تسع وعشرين (29) خزانة[1]، ومن المؤكد أن خزائن المخطوطات كانت تحوي أضعاف هذا العدد.

ومن أهم أبواب المعرفة التي اعتنوا بها أكثر من غيرها، العلوم الشرعية والفقهية، فتمكنوا من الفقه المالكي لأن هذا المذهب كان هو السائد في جميع بلاد المغرب الإسلامي في ذلك الوقت، فقد غلب على مؤلفات علماء توات الطابع الفقهي واللغوي، وبعض الرحلات بينما يندر منتوجهم في الفنون الأخرى نظرا لنوعية التكوين الذي تلقوه.

[1]- أحمد ابالصافي جعفري، محمد بن أب المزمري 1160هـ حياته وأثاره، ط1،دارا لكتاب العربي، الجزائر،2004،ص40.

وفيما يخص العلوم الأدبية واللغوية فإنها كانت في صدارة العلوم التي تدرس في الزوايا والمدارس القرآنية، وذلك لارتباطها بالعلوم القرآنية والدينية، ومن الدلائل على ذلك هو أن الغالبية الكبرى من السكان تداولوا الروايات والحكايات الشعبية التي مثلت ركيزة الأدب الشفوي. غير أن هناك فئة من العلماء والأدباء كان لهم دور في تدوين المؤلفات في الأدب والشعر. وقد تنوع إهتمامهم بالموضوعات المختلفة من لغة وصرف وبلاغة و كذلك في علم الأصوات والعروض.[1] وسأستعرض ما أتيح لي رصده من مؤلفات علماء القرن 12هـ في مجال اللغة والأدب بتوات:

- اللغة و النحو:

نظرا لارتباطها الوثيق بعلم الفقه وعلوم القرآن فقد حازت الدراسات اللغوية القسط الوافر من الاهتمام لدى علماء توات الذين ألفوا العديد من المصنفات في هذا المجال ومن أهم مؤلفاتهم:

– **مختصر الدر المصون في إعراب القرآن الكريم:** وهو كتاب في إعراب كلمات القران الكريم اختصره الشيخ أبو زيد عبد الرحمن التواتي من كتاب السمين[2].

– **ألفية الغريب:** محمد بن محمد العالم الزجلوي، وإبرز فيها غريب ألفاظ القرآن الكريم .

– **مؤلفات محمد بن أب المزمري** : يعد الأخير من أهم رواد حركة الدراسات اللغوية في توات حيث ألف العديد من المصنفات الفقهية وشرح العديد من المتون اللغوية وله الكثير من الأشعار،

[1] - احمد ابالصافي جعفري، محمد بن اب ، ص 39
[2] - أتت الإشارة إليه في مؤلفات عبد الرحمن التواتي.في التعريف به وبآثاره.

غير أن الغالب على نتاجه العلمي كان في علم اللغة فمنها: روضة النسرين في مسائل التمرين وشرحها[1] ، الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية[2]، تكملة الخزرجية في فك دوائر البحور قصيدة رجزية في" ألقاب الزحافات والعلل"[3] التي تدخل أجزاء التفاعيل العشرة سماها روائق الحلل، معونة القراء في النحو،[1] إضافة إلى الكثير من الأشعار والمقطعات وغيرها من المؤلفات التي تنبئ عن عبقرية الرجل.

- الشعر:

لقد كان منهج شعراء توات منهج السلف من شعراء العرب في العصور القديمة وهذا لارتباطهم الوثيق بالمصادر القديمة التي كانت تحوي أشعار القدماء، فحاولوا التأليف على نهجهم والسير على خطاهم، وأكثر ما يميز انتماءهم للمغرب الإسلامي هو شيوع فن المنظومات التعليمية أو الشعر التعليمي الذي أبدع فيه علماء وشعراء الأندلس والمغرب الإسلامي، أكثر من غيرهم، ونقسم الشعر في منطقة توات إلى قسمين هما:

1- الشعر التعليمي:

---

[1] - يقول فيها:

الحَمْدُ للهِ الخَبِيرِ المُلْهِـــم مَنِ شَاءَ للتَعلِيمِ وَالتَعَلُـــمِ

توجد نسخة منها في خزانة باعبد الله ، أدرار.

[2] - توجد العديد من النسخ منها نسخة بخط المؤلف بخزانة آل عبد الكبير بالمطارفة ، خزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم،الركينة أولف،وأخرى في خزانة باعبدالله ، أدرار .

[3] - ألفها سنة 1116 يقول فيها:

بَدَأتُ بِحَمْدِ اللهِ رَبِ مُصَلِيًا عَلَى الهَادِي أحمد الرِضَا عَلَمُ الهُـدى

توجد نسخة بخط المؤلف بخزانة مولاي سليمان بن علي ، أدغاغ ، أدرار . ينظر : بن أب ضيف الله ، الرحلة لزيارة قبر الوالد ، خزانة تمنطيط ،ورقة 65.

وهذا فن أبدع فيه شعراء توات كثيرا، فقد أنتجوا العديد من المنظومات الشعرية التي يسميها أهل المنطقة بالمتون، والتي بدورها تنقسم إلى نوعين: متون فقية وأخرى لغوية نحوية، فمن المتون الفقهية نجد "متن العبقري" نظم سهو الأخضري للشيخ سيدي محمد بن أب المزمري، يعالج فيه قضايا السهو والنسيان في الصلاة، والكثير من المنظومات التي تعالج قضايا فقهية، مثل: منظومة أوليات العلوم للشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان يتحدث فيها عن ثلاثة فنون التوحيد والفقه والتصوف.

اما المتون اللغوية النحوية فنجد متن "منظوم منثور بن أجروم" للمزمري عمد فيه إلى نظم مقدمة بن أجروم، ومنظومة ألفية الغريب لمحمد بلعالم الزجلاوي[2]، التي قام بدراستها وتحقيقها عبد القادر بقادر، في إطار متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في اللغة العربية من جامعة أدرار، تحت إشراف د.الطاهر مشري. وتضمنت البحث في غريب القرآن من الألفاظ اللغوية.

2- الشعر العام:

وهذا الفن لم يتطرق فيه التواتيون لكثير من أغراضه، بل اقتصروا على بعضها كالمدح سواء كان نبويا أو متعلق بأشخاص وأشياء أخرى، كذلك نجد الرثاء وقد كان له حظ وافر في شعر هؤلاء، كما خاض التواتيون في فن الدعاء والتوسل والشعر الصوفي، وهذا لشيوع التصوف

---

[1]- حاول الشيخ الجنتوري وضع شرح عليها إلا أنه اعتذر لان الشيخ بأسلوبه البسيط كفاه مؤونة الشرح ، ضيف الله ، نفسه ، ورقة 65.

[2]- أحمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية، ص 50.

في المنطقة من القديم وإلى الآن، كما كان لشعراء توات أغراض شعرية أخرى كالألغاز الفقهية والنحوية وأراجيز في علوم شتى.

وسأقتصر على الإشارة إلى الأغراض الشعرية لأنني سأتناولها بشيء من التفصيل في الفصل الثاني من هذا البحث.

- النثر:

لقد كان للتواتيين قسطهم من الأدب النثري، فوجدنا لهم أغراضاً نثرية أفاضوا في إبداعهم فيها، وذلك قد يكون راجع للحاجة لهاته الأغراض، أو لكثرة تداوله بينهم وبراعتهم فيه، فمما عثرنا عليه في هذا الفن ما يلي:

1-أدب الرحلة :

كان الحج وطلب العلم من أهم دواعي الارتحال لدى أغلب علماء توات فألف العديد منهم رحلاته فوصفوا المناطق التي مروا بها والعلماء الذين التقوا بهم ومن أهم الرحلات التواتية التي الفت في القرن الثاني عشر الهجري (12هـ) :

- **رحلة أبي حفص عمر بن عبد القادر التينيلاني:**

وهي رحلة فهرسية، قادته إلى فاس لطلب العلم، عدد فيها شيوخه الذين أخذ عنهم، وعرض إلى بعض المسائل التي ناقشهم فيها كما تحدث عن تصدره التدريس بالمدرسة المصباحية وجامع القرويين وهي رحلة جزيلة الفائدة تسلط الضوء على التواصل الحضاري بين توات والحواضر العلمية في المغرب الأقصى[1].

- رحلة أبي عبد الله الفلاني إلى الديار التواتية:

وهي رحلة قام بها الشيخ من بلاد التكرور إلى تينيلان لتلقي العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن عمر التواتي التينيلاني، بزاويته بتينيلان، حيث مكث عنده شهرين وست ليالي، ويصور في هذه الرحلة بعضا من الأحوال الاقتصادية في توات ، كما يتحدث عن إجازته التي أجازه بها الشيخ عبد الرحمن التواتي. وهي في العموم قصيرة لا تتجاوز خمس صفحات، اعتمد فيها على الاختصار، ولم يعر فيها اعتبارا لجمالية الأسلوب على النسق الذي كانت تحرر به الرحلات [2].

- رحلة أبي زيد عبد الرحمن التواتي إلى الحج :

وهي رحلة حجازية ذات أهمية بالغة حيث تحدث فيها عن المنازل التي نزلها الركب الذي كان ضمنه كما أورد أخبارا عن المناظرات العلمية التي جمعت علماء الركب ببعض علماء فزان

[1]- توجد نسخة منها بخزانة باعبد الله أدرار .
[2]- توجد نسخة وحيدة بخزانة مولاي سليمان بن علي ، أدرار.

، وتكتسي هذه الرحلة أهمية بالغة على اعتبار أن الشيخ أبا زيد أول من كتب في فن الرحلة الحجازية في إقليم توات عموما[1].

2-الرواية التاريخية:

اهتم التواتيون بهذا الفن فألف العديد منهم فيه، ومما عثرنا عليه في خزائن المنطقة التالي:

- نقل الروات فيمن أبدع قصور توات، محمد بن عومر بن محمد البوداوي.
- المحن والشدائد بتوات، عبد الرحمان الأدغاغي .
- الكواكب البرية في المناقب البكرية، لمحمد بلعالم البكراوي .
- درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ،لمحمد بن عبد الكريم البكراوي.
- جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، لمحمد بن عبد الكريم البكراوي.

3-الرسائل:

لقد كان للرسالة اهتمام عند التواتيين مثل غيرهم من العرب، فالرسالة كانت أول فن ابتدعه الإنسان، إن لم نقل أنها كانت الدافع الأساسي لاختراع الكتابة، فهي فن قديم قدم الكتابة، فكانت لها الكبرى عند جميع الناس، لأنها كانت أوحد وسلية لاتصالهم فيما بينهم، فكان أهل توات هم

[1]- توجد نسخة منها بخزانة باعبد الله ، أدرار.

كذلك مهتمين بفن الرسالة، فجاءت جل مراسلاتهم إخوانية، فكانت إما من الأب لابنه أو من الشيخ لتلميذه أو من الأخ لأخيه، أو من الصديق لصديقه، ما عدا نذر قليل منها كان من العالم لشخص آخر يمنعه أو ينصحه أو يزجره فيها عن فعل آثم قام به، أو من قائد منطقة إلى الحاكم الذي بسط نفوذه على المنطقة في وقت معين.

ومن الرسائل التي وجدت في بعض خزائن المنطقة نذكر:

- الرسالة التي بعث بها الشيخ سيدي عبد الرحمان بن علي التزلالغتي (ق12 هـ) صديقه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم (1133 هـ)، بطلب من أخيه، دعاه فيها إلى الرجوع الفوري إلى تمنطيط وهي مسقط رأسه، وذلك ليخلف أخيه الشيخ سيدي محمد القاضي بعد وفاته[1].

- كذلك من الرسائل التي بين الأب وابنه نجد رسالة الشيخ سيدي عبد الكريم بن البكري (1174هـ) إلى ابنه الشيخ سيدي البكري يعظه فيها كما زجره وهذا بناء على شكوى وصلته من أهل البلد التي كان يقضي فيها الابن.

- كما نجد بعض الرسائل التي بعث أصحابها على خلاف العادة نظما وليس نثرا، ومن أشهر هذه الرسائل رسالة الشيخ سيدي محمد الإداوعلي (1198هـ) ابنه الشيخ سيدي ابراهيم يقول في مطلعها[2]:

[1] - عبد الحميد البكري، النبذة، المرجع السابق، ص 126.
[2] - المرجع نفسه، نفس الصفحة وما بعدها.

أَيَا وَلَدِي يَلُومُكَ مَنْ يَلُومُ وَتَجْتَنِبْكَ الْخُصُوصُ وَالْعُمُومُ

بِتَرْكِكَ وَالِداً رَبَّاكَ طِفْلاً وَتَرْكُ مَبَرَّةَ الآبَاءِ شُؤْمُ

إلى آخر القصيدة وهي قصيدة مشهورة بالمنطقة، وحتى أنها تدرس بالمدارس القرآنية.

4-الوصية:

الوصية لم تكن بذلك القدر من البروز عند العرب، وإنما سطع نجمها بنزول القرآن الكريم، فذكرت في آيه ومنذ ذلك الحين دخلت وبشكل كبير إلى الأدب العربي، وكما نعرف أن الأدب التواتي هو جزء من الأول، فهو كذلك يحتوى على فن الوصية، ومما عثرنا عليه في هذا المجال وصية الشيخ سيدي أبي نعامة القبلاوي (1163هـ) إلى تلميذه السيد محمود بن الحاج احمد، أفاض عليه فيها بعديد التوجيهات والنصائح[1] والشواهد الشعرية القيمة، كذلك نجد وصية مشهورة للشيخ سيدي عبد الكريم بن البكري (1174هـ)، أثناء مرضه الذي مات فيه[2]، لابنه الشيخ سيدي عبد الحق (1212هـ) جمع فيها كل الأمور المتعلقة بسير القضاء في المنطقة وما يجب عليه أن يسلك في ذلك الأمر الجلل.

[1] - مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النوات، المرجع السابق، ص 211.
[2] - عبد الحميد البكري، النبذة، المرجع السابق، ص 158.

وهناك الكثير من الوصايا وهي موجودة في المراجع التي اهتمت بتحقيق بعض كتب تراث المنطقة، وإنما أخذنا بعض الأمثلة لئلا نخلط الأمر، ونهمل ما أردنا التحدث عنه بالإكثار مما لا يعنينا إلا القليل منه.

5- الخطبة:

لقد أصبحت الخطبة محصورة في المساجد وبعض المناسبات، وذلك بعد سقوط الدولة العباسية، فكذلك كان حال الخطبة في منطقة توات منحصرة بين المساجد ومناسبات النكاح، ومن أشهر خطب النكاح والتي لقيت رواجا في المنطقة، كما أنها إلى الآن تردد في النكاح، خطبة الشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري (1212هـ)، كذلك نجد الأستاذ احمد ابالصافي جعفري يذكر بعض الخطب، والتي عثر عليها في مخطوط للخطب[1] في خزانة باعبد الله للشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد التينيلاني (1251هـ)، وهي خطب دينية ألقيت في المساجد.

6-الإجازات:

لقد اهتم التواتيون بهذا الفن عناية كبيرة، فهو إلى غاية يومنا هذا متوارث، فاستثمروه في إعطاء الإذن للتقدم في تعليم الناس سواء كان في علم معين أو في مختلف العلوم، وكان هذا النوع يطرح من العلماء لتلاميذهم أو بين العلماء أنفسهم، والنوع الثاني كان بين العلماء لبعضهم لأخذ الإذن في تولي منصب القضاء.

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية، المرجع السابق، ص 120.

ومما وجدنا في هذا المجال إجازة الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري للشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التينيلاني (1189هـ)، فأجاز الشيخ الأديب محمد بن أب المزمري تلميذه بعد الاستجازة التي رفعها الأخير إلى شيخه في المصنفات التي درسها عليه، وحسب ما ورد في نص الاستجازة، وأن هذه الإجازة كانت في أواسط شوال عام (1151هـ – 1738م)، بالزاوية الرقادية، مقر سكنى الشيخ، وما يلاحظ على الإجازة أنها مقتضبة جدا إذ ابتدأها بالحمدلة فالتصريح بالإجازة للمؤلف والدعاء له ثم الإقرار بالإجازة في جميع ما طلب المجاز، ثم ختمها بالتوقيع باسمه[1].

وإجازتا الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري (1160هـ)، فقد أجاز الجنتوري تلميذه الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني مرتين، الأولى كانت إجازة مطلقة في كل ما أخذه عنه من مقروءاته ومسموعاته، من تفسير وحديث وأصول فقه وفرائض ونحو وتصريف وبيان ومنطق وكلام وحساب[2]، وفي الثانية أجازه في جميع المصنفات التي أخذها عن مشايخه، خصوصا الفقهية منها، وضمنها جميع الكتب المروية بأسانيدها من الشيخ إلى غاية المؤلف[3].

ومما سبق يظهر بجلاء أن توات عاشت خلال قرون مضت نهضة ثقافية وعلمية كبيرة، ترجمها هذا العدد الهائل من الشيوخ والعلماء الذين أثروا الساحة العلمية للمنطقة، بمؤلفات

[1] - عبد الرحمان بن عمر التنيلاني التواتي، فهرسته، ورقة 19.
[2] - عبد الرحمان بن عمر التنيلاني التواتي، المصدر نفسه، ورقة 02.
[3] - عبد الرحمان بن عمر التنيلاني التواتي، المصدر نفسه، ورقة 06-12.

وتصانيف تعد غاية في الفائدة إذا ما تم الاعتناء بها، والتي هي ولشديد الأسف حبيسة خزائن توات، مما عرضها إلى التلف بفعل عوامل الزمن وقلة الاهتمام .

الفصـــل الثانـــي

شعراء توات وأهم أغراض شعرهم

أ-شعراء منطقة توات:

لقد انقسم شعراء توات خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر إلى قسمين، فمن من امتهن الشعر كحرفة وأصبح لا يتكلم إلا به سواء بمناسبة أو بغير مناسبة، فأنتجوا عددا لا بأس به من القصائد أهلتهم ليكونوا من أصحاب الدواوين، وهناك من جعل الشعر منتفس له، فلا تتحرك قريحته الشعرية إلا بمناسبة سواء دينية أو جنائزية أو بشائرية، وهناك فوج ثالث جعل الشعر للغرض الأسمى ألا وهو التعليم، فنظم في هذا الفن فقط، أو هذا ما وصلنا عنهم حتى لا نظلمهم لأن الكثير من مخطوطاتهم أتلفت كما رأينا سابقا.

1- الشعراء الفحول:

أردنا أن نبدأ مع هذه الفئة التي كان الشعر كلامها، فكان أكثر كلامهم شعرا، وعدد هؤلاء بحسب ما وقفنا عليه في المخطوطات والكتب المهتمة بالتراث التواتي قليل فهم يعدون على الأصابع ومنهم:

- الشيخ سيدي الحاج بلقاسم بن الحسين القوراري (ق 10هـ)[1]

هو سيدي الحاج بلقاسم بن الحسين بن عمر بن موسى بن الحسين بن يوسف، بن داوود، بن محمد، بن سلطان...، وينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان، ولد بقرية أوسيف حوالي واحد

وعشرين وتسعمائة هجرية (921هـ)، سافر عن بلدته وأخذ عن علماء أجلاء مثل سيدي علي بن ابراهيم وغيره، أخذ عنه الشيخ سيدي الحاج أبو محمد بن أحمد بن أبوبكر الجزولي المدفون ببلدة أولاد عياش، والشيخ سيدي عباد بن أحمد المقبور قرب قرية تسفاوت بتيميمون، وأحذ عنه أيضا الشيخ سيدي أحمد بن يوسف المعروف ببلدة ماسين بتيميمون، والشيخ سيدي الحاج لحسن صاحب زاوية جنتور، سافر عن بلدته مدة ولما رجع أسس مسجدا ومدرسة، ثم انتقل فترة إلى قصر بني مهلال إماما ومدرسا، وبالقرب منها أسس زاويتة المشهورة التي تحمل اسمه إلى الآن، وذلك في المكان المعروف قديما بـ: "أزفافين".

وبقي في زاويته مدرسا ومفتيا حتى وافته المنية، من آثاره مخطوط بعنوان "منهاج السالكين"، بالإضافة إلى ديوان شعري يضم أزيد من عشرة منظومات شعرية في التوحيد، والفقه، والسيرة النبوية، والمدح النبوي.

من أشهر قصائده قصيدة " نستفتح باسم الله" التي أفردها للعقيدة؛ إذ يقول في مطلعها:

نَسْتَفْتَحْ بِاسْمِ اللهْ وَبِالنَّبِي الأَوَّاهْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهْ القَدِيمَ الأَزَلِ

[1] - محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ورقة 18. - ومولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ص 170. - وكتاب الفتح الميمون، ص384.- و محمد عبد العزيز سيدي اعمر، قطف الزهرات، ص 145.

- الشيخ سيدي محمد بن المبروك (1080هـ)[1]:

هو محمد بن المبروك ابن يدَّ احمد "مولْ سبع حجات" محمد بن عبد الله محمد دين الله بن علي بن راشد بن موسى بن علي بن إسماعيل بن إدريس بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه–، ولد سنة 1080 هـ، وعاش في قصر جده سيدي احمد الملقب بأبي سبع حجات بزاوية سيدي حيده من قصور مقاطعة بوده، خلَّف الشيخ سيدي محمد بن المبروك العديد من الكتب في المسائل الفقهية والأنساب ضاعت كلها ولم نعثر على أي منها، كما ترك الشاعر كذلك ديواني شعر أحدهما فصيح والآخر ملحون أو شعبي.

يقول عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التينيلاني: "...توفي جدنا العلامة سيدي محمد بن المبروك البوداوي يوم اثنين وعشرين شعبان عام ستة وتسعين ومائة وألف..."، في القرن الثاني عشر(12هـ) الهجري، توفي عن عمر يناهز القرن وخمسة عشر(15) سنة، وقد دفن في القبر الذي حفره بيديه، ونحسب أن هذا ما كان يقصده من حفره لقبره بنفسه حين يقول:

أَلاَ يَا قَوْمَنَا قَدْ بِتُّ أَمْسِ أُكَابِدُ فِي سَوادِ اللَّيلِ رَمسِي

هُوَ المِعْرَاضُ لِلإِنْسَانِ مَهْمَا يَمُتْ يُلْقَى بِسِجْنٍ أَيَّ حَبْسِ

إلى قوله متحدثا عن قبره:

[1] - محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية ورقة 07.- مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ص 129. - وأحمد بن حسان، الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبالية الركانية، ص118.- ومحمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1 ص 122.

فَذَكَّرَنِي بِمَا أَمْضِي إِلَيْهِ وَبِالْجُرْمِ الذِي جَرَمَتْهُ نَفْسِي

من أشهر شعره الفصيح القصيدتين اللتين كتبهما ببحرين مختلفين، وذلك بإضافة كلمة في صدر البيت وأخرى في العجز، يقول في إحداهما[1]:

سَلْ رُبْعَ مَيَّةَ مُذْ جَوَائِبُهُ عَنْ حَيِّهَا ثُمَّ عَنْ أَقَارِبِهَا

يُنْبِئْكَ عَنْ بَضَّةٍ مُهَجْهَجَةٍ سَبَا قُلَيْبَكَ حُسْنُ حَاجِبِهَا

ويعيدها على وزن البحر البسيط فيقول:

سَلْ رُبْعَ مَيَّةَ تَحْظَى مُذْ جَوَائِبُهُ عَنْ حَيِّهَا ثُمَّ عَنْ سَنَا أَقَارِبِهَا

يُنْبِئْكَ عَنْ بَضَّةٍ غَرَا مُهَجْهَجَةٍ سَبَا قُلَيْبَكَ حُسْنُ قَوْسِ حَاجِبِهَا

وفي قصيدة "عدمت ليلى" يقول:

عَدَمْتِ لَيْلَى وَقَلْبُكَ احْتَرَقَا مِنْ أَجْلِ فُرْقَتِهَا وَمَا سَبَقَا

عَاهَدْتَهَا فِي الدُّجَى بِقُبَّتِهَا وَكُنْتَ تُطْرِقُهَا إِذَا اتَّسَقَا

وحولها إلى البحر البسيط فيقول:

عَدَمْتِ لَيْلَى أَخِي وَقَلْبُكَ احْتِرَاقَا مِنْ أَجْلِ فُرْقَتِهَا الْعُظْمَى وَمَا سَبَقَا

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، سلسلة رجال في الذاكرة سيدي محمد بن المبروك حياته وآثاره، ص 580.

عَاهَدْتَهَا فِي الدُّجَى لَيْلاً بِقُبَّتِهَا وَكُنْتَ تُطْرِقُهَا بِهِ إِذَا اتَّسَقَا

كما أن معظم شعره يبدأ فيه القصيدة بمقدمة طللية، كما في قصيدة " وقفت بربع سلماك" والتي مطلعها:

وَقَفْتَ بِرَبْعِ سَلْمَاكَ الْبَعِيدِ قَطَعْتَ دُونَهُ كَمْ مِنْ شُهُودِ

فَقُلْتُ لَهُ مَقَالَةَ مَنْ يُنَاجِي وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي بِالْخُدُودِ

أَلاَ بِرَبْعِ حَيِّكَ أَيْنَ سَارَ بِأُنْسِ الضَّبِّ كَاعِبَةَ النُّهُودِ

سَنَا أَسْنَانِهَا كَسَنَا أَقَاحِ أَوْ الْبَرَدِ الْمُنَزَّلِ مِنَ الرُّعُودِ

- **الشيخ سيدي محمد الإداوعلي (توفي قبل سنة1198هـ)**[1]:

الشيخ سيدي محمد الإداوعلي (توفي قبل سنة1198هـ) هو محمد بَكُّ العَلَوي بن محمد بن كل بن ثال بن يحي ويصل نسبه إلى الحسن المثنى بن علي (كرم الله وجهه) بن أبي طالب.

ولد بشنقيط ثم انتقل منها لتوات، وكان أول العلويين الشناقطة دخولا لأرض توات على ما يروى، وكان شاعرا فحلا له ديوان شعري ضخم ضمنه قصائد مختلفة في مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم– حتى عرف بشاعر المديح النبوي، بعد عودته من تافيلالت استقر مدة في تمنطيط، ثم

[1] - مولاي التهامي غيتاوي،سلسلة النوات، ص 135.- أحمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية، ص 57.

انتقل بعدها إلى قصر اعباني وهناك أسس مسجده ومدرسته القرآنية، وأنجب ابنه سيدي إبراهيم المدفون في قصر اعباني حاليا .

وفي نهاية حياته انتقل الإداوعلي إلى أرض تمبكتو وبها توفي في القرن الثاني عشر، وصلى عليه جمع غفير في مقدمتهم الشيخ سيدي محمد بن المبروك البوداوي، ترك لنا ديوان ضخم من الشعر معظمه في مدح النبي الكريم –صلى الله عليه وسلم–.

- الشيخ سيدي محمد البكري بن محمد عبد الرحمن التينيلاني (1339هـ):[1]

هو البكري بن عبد الرحمان بن الطيب، ولد سيدي البكري في سنة 1261هـ – 1845م بزاوية سيدي البكري، شيخه سيدي الحسين بن سعيد وهو خاله أخذ عنه الفقه واللغة والآداب والتفسير والحديث، وبعد التحاق شيخه وخاله سيدي الحسن بن سعيد بالرفيق الأعلى أخذ مقام شيخه، ولازال فيه حتى وافته المنية بمسقط رأسه، طلوع فجر الأربعاء أوائل جمادى الأولى عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف 1339هـ – 1921م.[2]

لقد تنوعت موهبة سيدي البكري بن عبد الرحمن بين الشعر والنثر فقد كتب أشعارا في مختلف الأغراض، وعلى مختلف الأوزان والبحور الشعرية، كما له منظومات في النحو والفقه والتوحيد وفي علم

[1] - مولاي التهامي غيتاوي، منة الرحمان في جملة من حياة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن، منشورات العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2013، ص 11.
[2] - بحسب رواية السيد الحاج عبد الله بن سيدي عبد السلام بكراوي، وهو أحد أحفاد سيدي البكري بن عبد الرحمان.

الفرائض (الميراث) وغير ذلك، جمعت له في ديوان، كما له عدة رسائل نثرية منها الإخوانية واللغوية. نذكر منها[1]:

– مكاتبة منه لبعض الأحبة تشتمل على نصائح وإرشادات.

– نبذة في علم الميراث مختصرة وواضحة.

– جواب على سؤال إمام الحرمين الذي بعث به إلى علماء المشارقة والمغاربة يختبرهم فيه، سماه: "اختبار كل عارف من أنباء المعارف".

ومن رسائله "بذل المجهود"[2] وهي رسالة رائقة في الكرم وذم البخل، ورسالة في الإثمد والكحل[3]، وهي رسالة صغيرة بين فيها منافع الكحل والأمراض التي يعالجها، كما له مجموعة رسائل وعظية وهي في أصلها رسائل أخوية، كان يرسل بها إلى صديقه مولاي أحمد بن مولاي المهدي التردالتي، وغيرها من الأعمال[4].

- **الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري**[5]:

[1] - شفاء القلب العليل بتحقيق شرح منظومة البكري على أوصاف الخيل للمؤلف الشيخ محمد البكري بن محمد بن عبد الرحمان، تحقيق وتحليل:محمد سالم بن عبد الكريم، ص44-45، دار الكتاب العربي، 2006.

[2]- ضمن مجموع مخطوط خاص، بخزانة كوسام، ورقة 255.

[3]- ضمن مجموع مخطوط خاص، نفس المصدر، ورقة 182.

[4] - أحمد جعفري، المخطوطات اللغوية وأعلامها في الخزائن والمكتبات التواتية من القرن 10هـ إلى نهاية القرن 14هـ-دراسة بيبليوغرافيا في الموضوعات والأعلام، بحث مقدم في الملتقى الدولي حول إسهامات علماء المغاربة في خدمة اللغة العربية وترقيتها-جامعة وهران، أيام 28/27/26 أكتوبر2009.

[5] - أحمد ابالصافي جعفري، سلسلة رجال في الذاكرة سيدي محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ص 58.

ومن شعراء توات الفطاحلة الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري، ولد بأولف في قرية تسمى أولاد الحاج بلدية تمقطن دائرة أولف أدرار، في العقد الأخير من القرن الحادي عشر للهجرة، قضى حياته في العلم والتعليم والإرشاد والتوجيه، وهو العالم الوحيد الذي ربط بين ما بين مناطق توات الثلاثة وغيرها، فولد بأولف بتديكلت وتلقى العلم وقام بالإمامة والتعليم في توات وكانت وفاته بقورارة حيث لفظ أنفاسه الأخيرة بتيميمون، لقد كان ابن أب بحق شاعرا مفلقا بليغا لغويا تصريفيا عروضيا رائق الحظ، وقد ألف عدة مؤلفات في فنون كثيرة من العلوم وخلف أشعارا كثيرة لو جمعت لكانت ديوانا ضخما وله مميزات في الشعر لم يظفر بها غيره من الشعراء ولذا قال في عنفوان شبابه مخبرا عن حاله:

إِذَا سَادَ بِالإِقْدَامِ عَمْرُو وَبِالذَّكَا تَفَرَّدَ إِيَّاسٌ وَبِالْجُودِ حَاتِمُ

فَإِنَّ شِعَارِي صَنْعَةَ الشِّعْرِ فَالذِي يُنَازِعُنِي فِيهِ فَذَلِكَ ظَالِمُ

وسنأتي على ذكر ذلك بالتفصيل في الفصل الموالي كما ذكرنا آنفا.

2- شعراء المناسبات:

نحاول في هذا العنصر الإشارة إلى الشعراء التواتيين الذين نظموا الشعر في مناسبات معينة، مثل رثاء العلماء والأعيان بمناسبة وفاتهم، أو النظم في علم معين لتسهيل الحفظ على الطلبة، أو

النظم في شكل ألغاز فقهية أو نحوية، لاختبار الطلبة عند تخرجهم، مساءلة شيخ عالم عن قضية دينية ما.

- الشيخ سيدي محمد (909)هـ بن عبد الكريم المغيلي[1]:

ولد بتلمسان ودرس بها فترة من الزمن، ثم انتقل للأخذ على الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة، ومنها إلى بجاية، ثم انتقل أخيرا إلى أرض توات التي حارب بها اليهود وهدم كنائسهم، ثم انتقل من هناك إلى أرض السودان واتصل بعدة أمراء وملوك، لتكون عودته النهائية إلى أرض توات (ولاية أدرار)، وبها توفي بالمكان الذي يحمل اسم زاويته الآن بالقرب من قصر بوعلي بلدية زاوية كنته سنة 909هـ.

من مؤلفاته الشعرية التي وصلتنا منظومة في علم المنطق سماها "منح الوهاب" ووضع عليها ثلاث شروح، كما ألف منظومات في مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم– أشهرها " بشراك يا قلبي هذا سيد الأمم"، وغيرها من القصائد المنظومة.

- الشيخ سيدي موسى بن مسعود[2]:

[1] - محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، خزانة كوسام، ورقة 19.- الحاج محمد بلعالم، الدرة البهية في الشجرة البكرية، ورقة 147. - محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، الدرة الفاخرة في ذكر العلماء التواتية ورقة 13- مبروك مقدم، الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان، ط1 1422 هـ2002م، ص92.

[2] - مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ص 298.- وكتاب الفتح الميمون، ص 209.

ولد ما بين سنة 773هـ وسنة 783هـ على اختلاف الروايات، ونشأ في مسقط رأسه بضواحي أولاد سعيد وتلقى مبادئ العلوم الدينية، على يد والده ومشايخ بلده، ثم انتقل في طلب العلم إلى عدة أماكن منها مدينة مليانة، وفتح عليه المولى بالعلم اللدني، فأصبح من أعلام التصوف بالمنطقة، خلف سيدي موسى العديد من القصائد والمنظومات، في علوم شتى منها التصوف والتوحيد والمديح وغيرها مما ذكر له في مختلف المراجع، ولم تحدد المراجع تاريخ وفاته على وجه التدقيق.

- الشيخ سيدي عبد الحكم بن عبد الكريم الجوراري (1021 هـ)[1]:

ولد بقصور أولاد سعيد ونشأ في كنف والده القاضي عبد الكريم بن أحمد الجوراري، أخذ عن والده ثم ارتحل إلى فاس وتلمسان، فأخذ عن الفقيه السعيد المغربي وغيره، تتلمذ على يده مجموعة من علماء توات، توفي الشيخ في 03 ربيع الأول عام 1021هـ في مسقط رأسه، وترك مجموعة مهمة من القصائد في مختلف الأغراض.

- الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد البكري التمنطيطي (1042هـ)[2]:

[1] - مولاي التهامي غيتاوي، الفتح الميمون، ص 90.

[2] - محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، درة الأقلام، خزانة كوسام، ورقة 23.- الحاج محمد بلعالم، الدرة البهية في الشجرة البكرية، ورقة 126. - محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، الدرة الفاخرة في ذكر العلماء التواتية ورقة 17.- عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات، ص 120.

ولد العلامة الشيخ عبد الكريم بن أمحمد البكري التمنطيطي عام 994هـ بتمنطيط في أواخر القرن العاشر الهجري، قال عنه صاحب جوهرة المعاني:"...شيخ المشايخ الأعلام، وقدوة أئمة الأنام، رئيس المهرة، وإمام البررة، الذاكر القانت الشاكر، القاضي العدل، تاج العارفين، وملاذ الخائفين، الجامع بين الحقيقة والشريعة، والنص والقياس..."، كما قال عنه البكري بن عبد الكريم:"...هو الشيخ الإمام العادل الهمام اللغوي، النحوي، البياني، الحسابي، الأصولي، العروضي، الفقيه، المحدّث، الجامع بين المعقول والمنقول رواية ودراية..."، وبحسب ما هو مبسوط في رحلته أنه أخذ القرآن ومبادئ التجويد والحساب عن والده؛ حيث أخذ مبادئ علومه عنه، ثم ارتحل في طلب العلم لعدة أقطار وأخذ عن العديد من مشاهير العلماء مثل العالم أبي زيد عبد الرّحمن بن سليمان بن موسى الجومي، الذي يصفه في رحلته بأنه:"...كان مُتقنا لكتاب الله عز وجل حافظا له عالمًا بأحكامه عارفًا بالفرائض والنحو والتاريخ..."، فدرس عنده زهاء الثلاث سنوات، كما أخذ عن العالم عبد الرحمن بن علي من لا يخاف السجلماسي، وأبي زيان التلمساني، وأحمد بن معزى، كما أخذ الفقه والحديث والحساب وعلم القراءات عن الشيخ سعيد المقري، الذي وصفه في رحلته أنه:"...ذو إلمام بقراءة الحديث وحفظ حروفه وضبط مشكلاته، ماهرا في حرف نافع..."، كما أخذ عن الشيخ سعيد قدورة الجزائري الذي لقيه في بني عباس.

ولقد تبوأ الشيخ عبد الكريم، بما أخذه عن مشائخه، مكانة علمية جعلته محل ثناء من معاصريه والمترجمين له، حيث شهد له الرحالة العياشي بغزارة العلم لقّبه بـ"عالم توات".

مؤلفاته:

عرف "عالم توات" بغزارة التأليف، حيث ألف العديد من المصنفات، من أهمها:

"سفينة النجاة بأهل المناجاة"، وهي قصيدة في التوسل بأولياء الله الصالحين، وله العديد من المنظومات والقصائد الشعرية .

توفي الشيخ عبد الكريم بن أمحمد سنة 1042هـ.

- الشيخ سيدي علي بن حنيني الأنصاري (1115هـ)[1]:

صاحب الزاوية الصوفية المشهورة بالضيافة واستقبال الوفادة، ولد الشيخ سيدي علي بن حنيني في القرن الحادي عشر الهجري بزاجلو، والتي نشأ وترعرع فيها حيث بدأ دراسته وحفظ القرآن الكريم على يد شيخه العلامة الشيخ سيدي محمد بن محمد العالم الزجلاوي الأنصاري، توفي الشيخ في سنة (1115هـ)، ومما عثرنا عليه من شعره قصيدته في مدح آل البكري وزاويتهم في تمنطيط.

[1] - عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات، ص 102.- مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ص 163.

- **الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ المُزّمّري (ق12هـ)[1]:**

الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ المُزّمّري، ولد الشيخ يوم السبت السادس عشر(16) من شهر شوال سنة ثمانية وعشرين ومائة وألف (1128هـ)، كما أخبر والده بذلك، وقد دعا له والده منذ ولادته بقوله:"...أصلحه الله وجعله من حملة القرآن..."، وعلق سيدي ضيف الله على دعوة أبيه بقوله:"...فقبل الله دعاءه...ولم يكتب مثل ذلك لأحد من أولاده..."[2]، ويواصل الشيخ سيدي ضيف الله التعريف بنفسه في رحلته قائلا:"...وكان والدي يباهي بي أولاده كثيرا في عيشتي، وشاورني في كثير من أموره مع صغر سني...وأشركني في كثير كتب حبَّسَها..."، من أبنائه الشيخ سيدي محمد الذي سماه باسم جده تبركا بالرسول محمد –صلى الله عليه وسلم–، كما قال وولد له ثلث ليل يوم الجمعة الرابع من رمضان سنة ثمانية وخمسين ومائة وألف (1158هـ).

كان الشيخ سيدي ضيف الله كما وصفه أحد قضاة عصره أشعر من أبيه محمد بن أُبّ، وله عديد القصائد الشعرية، منها مرثيته في أبيه التي أشار إليها في رحلته ولم نقف إلا على أبيات ثلاثة منها.

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات، ج1، ص 42.
[2] - ضيف الله بن أب، الرحلة إلى قبر الوالد، ورقة 12، مخطوط بخزانة باعبد الله أدرار.

- **الشيخ سيدي عبد الله بن محمد بن عبد الكريم (1134هـ)[1]:**

ازداد وتعلم بمسقط رأسه على يد والده سيدي محمد بن عبد الكريم وعمه سيد البكري، انتقل إلى مناطق عدة فذكر بعضها في قصائده، كما فعل مع مدينة تقرت التي وقعت له بها أحداث، ثم استقر به المطاف في تيميمون فدرّس بها وأم الناس، توفي بها سنة 1134هـ، له عدة قصائد في المدح وغيرها.

- **الشيخ سيدي عبد الرحمان بن علي التزلالغتي (1136 هـ)[2]:**

ولد بتزلالغت سنة 1040هـ، تلقى مبادئ تعلمه على يد والده، ثم انتقل إلى فاس ثم رجع والتحق بزاوية الشيخ سيدي محمد بن علي النحوي الوجروتي، برفقة سيدي علي بن حنيني وسيدي محمد البكري بن عبد الكريم، ثم عاد إلى مسقط رأسه وأسس زاويته هناك، توفي الشيخ التزلالغتي عام 1136هـ، خلف عدة قصائد منها رسالته التي راسل بها صديقه سيدي محمد البكري بن عبد الكريم أثناء غربته، سائله الرجوع لبلده، والتي جمع مراده منها في قصيدة.

- **الشيخ سيدي أحمد ابن الونان أبي الشمقمق (1187هـ)[3]:**

[1] - عبد الحميد البكري،النبذة في تاريخ توات، ص 142.
[2] - مولاي التهامي غيتاوي، الفتح الميمون، ص 246.
[3] - عبد الله كنون، شرح الشمقمقية، دون معلومات طبع، ص 03.

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن الونان الحميري نسبا التواتي أصلا، قضى مدة طويلة بفاس أخذ فيها عن مجموعة من الشيوخ، يقال أنه توفى ببودة سنة 1187هـ ودفن بها، من أشهر آثاره أرجوزته الشهيرة المسماة الشمقمقية.

- **الشيخ سيدي محمد بن البكري بن عبد الكريم (1188هـ)[1]:**

ولد سنة 1080هـ بمدينة تمنطيط، أخذ العلم عن والده، والطريقة عن الشيخ سيدي علي بن حنيني، والولي الصالح محمد الصالح الميموني، أسس زاويته المعروفة بزاوية سيد البكري ببلدية أولاد احمد تيمي حاليا، توفي ليلة الاثنين الموافق لـ20 من صفر عام 1188هـ، للشيخ عدة قصائد في المدح والتوسل والدعاء...

- **الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التينيلاني (1189هـ)[2]:**

ولد أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن معروف بن يوسف التينيلاني التواتي سنة 1121هـ بتينيلان وهي إحدى أشهر قصور مقاطعة تيمي، من عائلة اشتهر أهلها بالعلم والمعرفة، تلقى العلم على يد مجموعة من المشايخ، منهم الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التينيلاني، وذلك

[1] - عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات، ص 146.
[2] - محمد باي بلعالم، الغصن الداني في حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني، دار هومه الجزائر، د.ط، 2004، ص3.

بعد رجوع الأخير من فاس التي كان يعمل فيها مدرسا بجامع القرويين سنة 1129 هـ –1717م[1]، وبعد حفظه القرآن انتقل إلى دراسة العلوم الإسلامية الأخرى وفق المنهج التعليمي في توات، من أهم العلماء الذين التقى بهم ونهل من معينهم الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري، والعلامة عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي[2]، والعالم اللغوي أبو عبد الله محمد بن أُب المُزمري الذي مر بالزاوية متوجهاً إلى تينجورارين سنة 1151هـ، كانت له رحلات عدة في طلب العلم، وفي يوم الأحد 29 صفر عام 1189 هـ، بحساب الجُمل توفي الشيخ عبد الرحمن التواتي بالقاهرة، ودفن في مقبرة أبي عبد الله المنوفي[3].

له عدة مؤلفات منها: أرجوزة في الفلك، أرجوزة شبكة القنّاص في نظم درة الغواص، مجموعة تقاييد وفتاوى، رحلة حجازية، مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون، أرجوزة مدح فيها تأليف إمام الحرمين المسمى بالورقات وشرح الحطاب، تقريظ على نظم الأجرومية لابن أب المزمري، مختصر النوادر، فهرسة شيوخه.

- الشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم (1210هـ)[4]:

[1] - ابن أب ضيف الله بن محمد، رحلته. ورقة 67.
[2] - محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، الدرة الفاخرة ، ورقة 25.
3- محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني المهداوي، الدرة الفاخرة، ورقة 02.
[4]- محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، جوهرة المعاني .ورقة 22 .- البكري بن عبد الكريم، الدرة البهية .ورقة 101و127- محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، الدرة الفاخرة ورقة 05. – محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج01، ص 120. – محمد عبد العزيز سيدي اعمر، قطف الزهرات، ص 125.- عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص154.

أخذ عن والده وعن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر، والشيخ سيدي عمر بن المصطفى الرقادي والشيخ سيدي عبد الكريم بن الحاجب، تولى القضاء بعد وفاة والده بأمر من عمه الشيخ سيدي محمد بن البكري سنة (1174هـ)، يقال أنه كان يجيد عدة لغات ولهجات محلية منها العربية والزناتية والتارقية والبربرية، أخذ عنه سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد وابنه سيدي عبد الكريم بن عبد الحق وغيرهم، توفي وهو محرم في صلاة الصبح يوم الاثنين مطلع شهر ذي القعدة سنة (1210هـ)، من آثاره مجموعة من القصائد الأدبية، وبعض الفتاوى المختلفة.

- **الشيخ سيدي محمد بلعالم الزجلاوي (1212هـ)[1]:**

ولد في قصر زاجلو المرابطين وبها نشأ على يد أبيه سيدي امحمد، ثم انتقل إلى قصر تينيلان وتتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التينيلاني، وبعدها رجع إلى مسقط رأسه وأسس مدرسته المشهورة التي تخرج منها شيوخ أجلاء منهم ابن عمه سيدي عبد الكريم، والشيخ سيدي محمد الصالح الذي درس في قصر بوانجي، كان الشيخ أحد أعضاء مجلس الشورى بمجلس قضاء سيدي عبد الحق بن عبد الكريم التمنطيطي، وهو ما أهله لجمع نوازل والده سيدي امحمد وترتيبها وأضاف لها نوازل سيدي عمر بن عبد القادر التينيلاني، ونوازل سيدي عبد الرحمان بن باعومر، تنقل الشيخ الزجلاوي إلى أرض التكرور معلما ومفتيا، وبعد عودته توفي

[1]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات ج01، ص 128.- مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ص 166. – محمد عبد العزيز سيدي اعمر، قطف الزهرات، ص 123 .- عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص93.

بمسقط رأسه يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال سنة (1212هـ)، من آثاره مخطوط النوازل في الفقه، وألفية في غريب القرآن وشرحه عليها، وشرح مختصر خليل، وكتاب المباشر على ابن عاشر، بالإضافة إلى تقييدات مختلفة.

- الشيخ سيدي المختار الكنتي (1226هـ)[1]:

ولد سنة 1142هـ بأزواد ودرس بها على يد جده لأمه وأخيه الأكبر، ثم انتقل إلى تمبكتو وأخذ على ابن النجيب، ودخل في الطريقة القادرية، عاش متنقلا بين أزواد وموريتانيا وتوات، توفي يوم الأربعاء الموافق لـ05 جمادى الأولى عام 1226هـ، من آثاره مجموعة من المخطوطات في مختلف الفنون، منها ألفية في العربية.

- الشيخ سيدي عبد العزيز بن محمد البلبالي (1261هـ)[2]:

مسقط رأسه قصر ملوكة من قرى تيمي، نشأ بها وتفقه على يد والده القاضي سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي، كان آية في الفقه والنحو حتى لقبه والده بسيبويه، تولى القضاء بعد والده المذكور، جمع غنية الشورى كما له فتاوى عديدة وقصائد مفيدة، في الفقه والمدح

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية في إقليم توات، ص 66.
[2] - الشيخ عبد العزيز سيدي اعمر، قطف الزهرات .ص 55.

ومراسلات منظومة كالتي راسل بها الشيخ سيدي احمد بن زروق بن صابر البوداوي، والقصيدة التي مدح بها الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم، توفي الشيخ سنة 1261هـ.

- **الشيخ سيدي محمد بن عبد الله الجوزي (1269هـ)[1]:**

ولد بأولاد عبد اللي بضواحي أولاد سعيد، تلقي تعليمه بمسقط رأسه ثم التحق بالشيخ سيدي محمد الراشيدي، ثم الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التينيلاني، فأجازه إجازة مطلقة، فعين قاضي في بلدته بعد عودته إليها، أسس بها زاوية للتدريس والإطعام معا، له رحلة إلى الحجاز قيدها نظما في قصيدة طويلة، كما له قصائد شعرية عديدة أهمها مرثيته للشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي، توفي شيخنا في ليلة 24 من شهر ذي الحجة عام 1269هـ.

- **الشيخ سيدي الحسن بن سعيد البكري (1286هـ)[2]:**

نشأ ودرس بالزاوية البكرية، كما أخذ عن الشيخ سيدي عبد العزيز البلبالي بملوكة، فأجازه إجازة مطلقة مما أهله للتدريس بالزاوية البكرية، له قصائد في المدح والرثاء والحكمة، توفي عام 1286هـ.

[1] - مولاي التهامي غيتاوي، الفتح الميمون، ص 120.
[2] - عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات، ص 172.

- **الشيخ سيدي المحفوظ بن الطيب السعيدي (1304 هـ)[1]:**

مولده ونشأته كانتا بقصر أدهمان بأولاد سعيد، فأخذ عن القاضي محمد عبد الله بن الجوزي صاحب الرحلة الحجازية، ثم تولى التوثيق والفتوى بأوقروت، وكذلك تولى القضاء والإمامة بتيميمون، من أهم ما خلف مناظرات شعرية مقيدة بخطه، فمما ساعده على التقييد هو اشتغاله في التوثيق والقضاء، توفي ليلة الأربعاء الموافق ل 20 صفر عام 1304هـ.

- **الشيخ سيدي محمد الطيب بن امحمد الجوزي (1327 هـ)[2]:**

ولد الفقيه بقصر أدهمان سنة1291هـ حفظ القرآن على يد والده الشيخ سيدي امحمد وعمه القاضي محمد عبد الكريم، ثم انتقل إلى كوسام للأخذ عن الشيخ سيدي عبد الله بن احمد الحبيب البلبالي، تولى منصب شيخ زاوية جده بعد رجوعه إلى بلدته، خلف عدة قصائد مختلفة الأغراض والمواضيع، توفي رحمه الله سنة 1327هـ عن عمر ناهز الواحد والأربعين عاما.

- **الشيخ سيدي حمزة بن مالك القبلاوي (1333هـ)[3]:**

[1] - مولاي التهامي غيتاوي، الفتح الميمون، ص 144.
[2] - مولاي التهامي غيتاوي، الفتح الميمون، نفس المرجع، ص 155.
[3] - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص223.- مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النوات، ص 267.

ولد ونشأ بقرية ساهل بأقبلي، أخذ عن والده وعن أخيه، ثم عن عبد الكريم التينيلاني وسيد المختار بن أحمد العالم، ومشايخ كثيرين تصدى للفتوى والتدريس ببلدته ساهل، له قصائد كثيرة في الدعاء والتوسل ومدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن عبقريته نظم قصيدة خالية من الحروف المعجمة، توفي بساهل سنة 1333هـ.

- **الشيخ سيدي محمد عبد الرحمان السكوتي (1335هـ)[1]:**

هو محمد عبد الرحمان السكوتي الملايخافي القبلاوي، كان علامة فقيها حافظا نحويا لغويا أديبا، قرأ على الشيخ حمزة بن الحاج احمد، ثم توجه لورقلة فدرس بها، تخرج على يده عدد كثير من أبناء المنطقة، توفي بعد أدائه فريضة الحج بالينبوع سنة 1332هـ، له نظم في علم الميراث وقصائد كثيرة وكتاب في علم المنطق.

- **الشيخ سيدي محمد عبد القادر بلعالم القبلاوي (1372هـ)[2]:**

هو السيد محمد عبد القادر بن السيد المختار بن أحمد العالم القبلاوي، قرأ بداية مشواره على يد جده سيدي المختار، كما أخذ عن الشيخ حمزة بن الحاج أحمد ثم عن السكوتي، توجه إلى مدينة

[1] - مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النوات، ص 268.- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص240.
[2] - مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النوات، ص 270.- الشيخ باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص 249.

ورقلة ودرس بها، كما درس بعدة بلدان أخرى، له قصائد كثيرة في التوسل والنصيحة والمدح والتوحيد، توفي ودفن بقرية ساهل أقبلي عام 1373هـ.

ب- الأغراض الشعرية في الشعر التواتي:

يتباين الأشخاص وتتباين النفسيات، فتختلف النظرة من نظرة تعظيم وانبهار، إلى نظرة ازدراءٍ واحتقار، إلى نظرة تودد واستعطاف وانكسار، فينشأ لدينا ما يعرف بالأغراض في الشعر.

هذه الأغراض قد عرفت منذ ظهور الشعر نفسه، فنظم الشعراء فيها وأكثروا منها، ومن هذه الأغراض:

- المدح:

يتجه المدح بصفة عامة عند الشعراء إلى تعظيم ذوي السلطان وذوي العظمة تارة للكسب، وأخرى خوفا من البطش، وأخرى مدحا خالصا لا مثوبة فيه.

فيرى بعضهم أن المديح ضرورة فرضها الإعجاب والإكبار بالممدوح، وحاجة الشعراء إلى من يكفل لهم العيش الرغد، وحاجة الممدوح إلى شاعر يخلده على مرِّ الأيام، فكم خّلد الشعراء أناسا، فطغت شهرتهم على مَنْ هم أشدُّ منهم هيبة وسلطان[1].

1 - الهيب، أحمد فوزي، الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء، ط1 ، الكويت، مكتبة المعلا، 1407 هـ1987 م، ص 77-78.

والمديح من أكثر أغراض الشعر انتشارا في مختلف العصور؛ إذ طرق بابه معظم الشعراء، وصالوا وجالوا في معانيه وألفاظه المستمدة من مخزونهم التاريخي، ومن بيئتهم العربية.

وقد برز في هذا مدح سيد الخلق أجمعين، فأفردت فيه القصائد الطوال، لا البحث يسمح في تقصيها ولا المجال.

وعلى غرار المادحين اهتم الشعراء التواتيون بمدح النبي–صلى الله عليه وسلم– وأنشأوا في ذلك القصائد، ومن هؤلاء الشعراء نذكر محمد بن عبد الرحمان البكري[1] الذي أفرد روائع في مدح المصطفى–صلى الله عليه وسلم– ومنها قصيدة مطلعها:

مَا زَادَ طُولَ الدَّهْرِ أَيُ مُحَمَّـدٍ صَلَّى عَلَيْـهِ اللهُ إِلاَّ بَيَانَا

بَلْ مَا بَدَتْ مِنْ سَاعَةٍ إِلاَّ تَرَى فِيهَا لَهُ طُولَ الْمَـدَا جَرْهَانَا [2]

فَالْكَوْنُ يَشْهَدُ كُلَّـهُ بِكَمَـالِهِ إِلاَّ جُحُوداً لاَ يَرَى السُّلْطَانَا

لاَ يَنْكُرُ الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ فِي الضُّحَى إِلاَّ ضَرِيرٌ لاَ يَرَى إِلاَّ عَيَانَا

[1]- هو الفقيه اللغوي التينيلاني أصلا زاوية البكري منشئا وسكنا أكثر قصائده في مدح النبي –صلى الله عليه وسلم-.

[2]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، ص169.- مولاي التهامي غيتاوي، منة الرحمان في جملة من حياة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن ، ص 171.

كما نجد الشيخ المغيلي أيضا يمدح المصطفى فيقول:

بُشْرَاكَ يَا قَلْبِي هَذَا سَيِّدَ الأُمَمَ وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

وَهَذِهِ الرَّوْضَةُ الْغَرَّاءُ ظَاهِرَةٌ وَهَذِهِ الْقُبَّةُ الْخَضْرَاءُ كَالْعَلَمِ[1]

وقد نظم الشيخ سيدي محمد الإداوعلي في مدح سيد الخلق فيقول:

عَلَيْكَ صَلاَةُ رَبِّكَ مَا أَرَاقَتْ رُعُودُ سَحَائِبِ مَاءٍ زُلاَلاَ

وَمَا قَالَ الْمُشَوِّقُ وَرَاءَ نُوقٍ رِكَابَ أَحِبَّتِي قَصَدَتْ إِلاَلاَ[2]

هذا كإشارة للمدح النبوي الذي نظمه شعراء توات، ولم نحصره وإنما هناك الكثير من القصائد التي جاءت في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فهناك من أفرد ديوان شعريا لمدحه صلى الله عليه وسلم.

كما نجد عند التواتيين المدح العام، الذي يمدح فيه أصحابه العلماء ووجهاء القوم ومن هذا الشعر نذكر ما جاء به الشيخ سيدي علي بن حنيني في مدح الزاوية البكرية، فيقول:

الْحَمْدُ للهِ الْعَظِيمِ الأَحَدِ الْوَاجِدِ الْحَيِّ الْعَزِيزِ الصَّمَدِ[1]

[1]- مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النوات، ج1 ص46.
[2]- أحمد ابالصافي جعفري، رجال في الذاكرة، سيدي محمد الإداوعلي حياته وآثاره، ص 43.

ثُمَّ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَبَدَا عَلَى النَّبَيِّ الْعَرَبِيِّ أَحْمَدَا

إلى أن يقول:

يَا رَبَّنَا أَنْزِلْ بِهَذِي الزَّاوِيَهْ سِتْراً وَلُطْفاً وَدَوَامَ الْعَافِيَهْ

زَاوِيَّةٌ بَكْرِيَّةٌ قَدِيمَهْ عَلَوِيَّةٌ شَرِيفَةٌ كَرِيمَهْ

كما نجد مدح التلميذ لشيخه كما هو وارد عن الشيخ سيدي البكري في مدح شيخه الحسن بن سعيد البكري بقصيدة مطلعها[2]:

مَالُ سُعْدَى رَمَتْ فُؤَادِي بِلَحْظٍ وَكَوَتْنِي بِنَارِ هَجْرٍ جِهَارَا

إلى أن يقول:

حَسَنَ الاِسْمِ نَجْلُ جَدِّي سَعِيدٍ مَنْ جَنَى زَهْرَ كُلَّ عِلْمٍ نَوَّارَا

مَنْ سَعَى مِنْ صِبَاهُ مُجْتَهِداً فِي قَطْفِ كَرْمِ السُّعُودِ مِنْهَا مِرَارَا

وأيضا قصيدة أبو بكر البومديني في مدح شيخه محمد العالم الجزولي (1305 هـ) يقول في مطلعها[1]:

---

[1]- محمد باي بلعالم، المرجع نفسه، ص361,

[2]- عبد الحميد البكري، النبذة، ص 174.

فَيَا أَهْلَ وُدٍّ فَابْشِرُوا وَتَبَاشَرُوا فَلَمْ يَرْحَلُوا حَتَّى تَخَلَّفَ عَالِمَا

إلى أن يقول:

وَذَلِكَ شَيْخُنَا وَعُمْدَةُ رُكْنِنَا وَمَوْلاَنَا يُوفِي قَصْدَهُ فِيمَا عَلِمَا

فَقِيهٌ نَزِيهٌ لاَ يَمِيلُ لِذِي هَوَى عَلِيكَ لِغَزْرِهِ إِذَا كُنْتَ مُهْتَمًّا

وفي مدح الصديق لصديقه نجد قصيدة الشيخ سيدي عبد العزيز البلبالي في صديقه في الدراسة الشيخ سيدي عبد الله بن عبد الكريم الحاجب، عند إجازته من شيخه واعتزامه على الرجوع لبلده تمنطيط، فأنشأ الشيخ سيدي عبد العزيز يقول[2]:

كَيْفَ اصْطِبَارِي عَلَى خِلٍّ شَغِفْتُ بِهِ قَدْ كَانَ بِالْفَضْلِ وَالتَّقْوَى قَدِ اتَّصَفَا

أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ اللهِ مَنْ مِنْ فِي الْعِلْمِ قَدْ نَشَأَ وَفِيمَا مَضَى سَلَفَا

وهذا الشيخ سيدي محمد الإداوعلي (ق 12هـ) يمدح الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم (1133هـ) بقصيدة يذكر فيها خصاله وتبحره في العلم، يقول في مطلعها[3]:

---

[1]- عبد الحميد البكري، النبذة، ص 171.

[2]- عبد الحميد البكري، النبذة، ص 164.

[3]- أحمد ابالصافي جعفري، رجال في الذاكرة، سيدي محمد الإداوعلي حياته وآثاره، ص 49.- عبد الحميد البكري، النبذة، ص134.

زُرْ مَنْ هَوَيْتَ وَلاَ تَصْبُو لِمَنْ عَدَلاَ لِي هَوَاهُ وَسَاقَ لِرِبْعِهِ الإِبِلاَ

وَحُطَّ لِلسَّيِّد البَكْرِي رِكَابَ مِنَى تَجِدْ مِنَ الْعِلْمِ عِنْدَ بَابِهِ الأَمَلاَ

كما مدحه الشيخ سيدي محمد بن عبد الله البلبالي بقصيدة يقول فيها[1]:

إِمَامَ التُّقَى فِي كُلِّ عِلْمٍ لَهُ يَدُ حَلِيمَ ذِكْرٍ كَانَ لَهُ فِي الْعِلْمِ مَذْهَبَا

تَرَاهُ حَمَاماً فِي النَّوَازِلِ مُذْ رَأَى حَفِيظاً أَدِيباً فِي الْعُلُومِ مُرَغِّبَا

- الزهد والتصوف:

وهو ترك لذات الدنيا الفانية طمعا في لذائذ الآخرة الخالدة، والشعر الزهدي هو الذي يدعو إلى الموعظة، وتوجيه الناس نحو التمسك بالعبادة.

فالشعر الصوفي هو شعر يعبر عن الحالة التي يكون فيها الصوفي وما يتأجج في نفسه من مشاعر الحب والشوق لمن يحب ؛ لأن الصوفية بنو مذهبهم على إخراج الدنيا من قلوبهم على فلسفتهم في التوكل والتجريد[2].

فقد كان ديدن علماء المنطقة وعادتهم هو الزهد والتصوف، فقد برع في ذلك شعراء كثيرون نذكر منهم الشيخ سيدي الحاج بلقاسم الجوراري الذي له زهدية مطلعها[1]:

---

[1]- عبد الحميد البكري، النبذة، ص 137.- الدرة الباهية في الشجرة البكرية، ورقة 70.

2- التصوف في الشعر العربي : ص271 .

نَسْتَفْتَحْ بِاسْمِ اللهْ وَبِالنَّبِي الأَوَّاهْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهْ القَدِيمَ الأَزَلِ

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسْ مِنْ نَازِعَاتِ الْوَسْوَاسْ يَلْقِي فِي قُلُوبِ النَّاسْ مَا لاَ يَرْضَاهْ الْعَالِي

ونجد من أكبر المتصوفين التواتيين الشيخ سيدي محمد بن المبروك، ومما يوحي بتصوفه هو التقديم لمعظم قصائده بمقدمة غزلية، تجعلك تظن أن الشاعر يتغزل بامرأة، لكن بمجرد قراءتك للقصيدة تفهم أنه يريد أرض الحجاز، ويريد الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فمن القصائد الصوفية للشاعر قصيدة " جد إلهي" يقول فيها[2]:

جُدْ إِلَهِي بِمُوَافَاتِ التِي قَدْ سَبَتْ لُبِّي وَلِي فِيهَا غَرَامُ

ثم يقول :

أَصْلُهَا مِنْ جَنَّةٍ قَدْ نَزَلَتْ حُسْنُهَا إِنْ قُوبِلَتْ لَيْسَ يُرَامُ

حُلَلاً ثُمَّ حِلْياً لَبِسَتْ مِنْ حَرِيرٍ وَنَضَارٍ كُلَّ عَامِ

وهكذا جاءت معظم قصائد الشاعر على هذا المنوال، كما نجد صديقه الشيخ سيدي محمد الإداوعلي، يقول في قصيدته " أكفف دموعك"[3]:

---

[1]- محمد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ص 146.-

[2]- أحمد ابالصافي جعفري، رجال في الذاكرة، سيدي محمد بن المبروك حياته وآثاره، ص 82.

[3]- أحمد ابالصافي جعفري، رجال في الذاكرة، سيدي محمد الإداوعلي حياته وآثاره، ص 69.

كَمْ أَضْرَمَ الْحُبُّ نَارَ الشُّوقِ فِي كَبِدِي وَنَاظَرَ الْقَلْبَ بِالتِّذْكَارِ لَهْفَانُ

إلى أن يقول:

أَهِيمُ بِالْمُصْطَفَى وَالْوَجْدُ خَامَرَنِي كَمَا بِمَيَّة قَبْلُ هَامَ غِيلاَنُ

لِمَا لاَ أَهِيمُ بِأَفْضَلَ الْوَرَى نَسَباً وَدَمْعُ عَيْنِي لَهُ سَحَّ وَتَهْتَانُ

ومما قاله في قصيدته التي أرسلها إلى ابنه عبد الله، يقول له فيها[1]:

وَغُضَّ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا فَمَا تَنَالُ الْعُلاَ إِلاَّ بِوَاسِطَةِ الزُّهْدِ

وَأَعْرِضْ عَنِ اللَّذَاتِ فَهْيَ حَبَالَةٌ تَقْصُرُ دُونَ الْقَصْرِ مِنْ نِعْمَةِ الْعَبْدِ

- **التوسل :**

انطلق كل من أراد قضاء حوائجه بالدعوة مستحضرا في ذلك خير الخلق الشفيع محمد، متوسلا به أو بأحفاده وبالأولياء الصالحين، ونلمح هذا في قول الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد[2]:

فَيَا رَبِّ يَا رَبَّاهُ رُحْمَاكَ مَلْجَئِي وَعَفْوَكَ كَنْزِي لِلْفَوَاصِحِ عَالِمَا

وَيَا سَيِّدِي يَا مُصْطَفَاهُ شَفَاعَةً وَصِرْتُ مِنْ جُرْمِي بِرِجْلِي دَاحِصَا

[1]- أحمد ابالصافي جعفري، نفس المرجع، ص 65.
[2]- عبد الحميد البكري، النبذة، ص 59.

ونجد كذلك الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان يتوسل بالسيخ مولاي سليمان بن على الأوشني في قصيدة مشهورة يقول فيها[1]:

سَيِّدِي سُلِيمَانُ نَجْلُ عَلِي وَفَسِيلُ بْنِ حَرْزِهِمْ فِي الطَّرِيقَةِ

فُقْتَ مَجْداً وَسُؤْدَداً وَكَمَالاَ وَسُلُوكاً شَرِيعَةً وَحَقِيقَةً

- التواضع:

رغم مكانة العلماء وانتمائهم إلى الدوحة العالية؛ فإنهم يجنحون للتواضع ويبرز هذا في شعرهم دائما فنجد الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان في رده على الشيخ التركوزي يقول:

فَهَذَا مَقَالِي وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمُ مِنَ الْبَكْرِي الضَّعِيفِ وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ

فالشيخ وإن طال علمه وعلا شأنه وشأوه لكنه يسلك مسلك العلماء في التواضع إيمانا منه بقوله "من تواضع لله رفعه..."، فيقول في قصيدة مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم:

أَوْ يَرْجَعُ الْجَارُ عُبِيدَكُمْ مُحَمَّدُ البَكْرِيُّ بِلاَ وَفْرِ

وَلاَ احْتِرَامَ بَلْ لَهُ مِنْكُمْ حَبْلٌ مَتِينٌ مُدَّةَ الدَّهْرِ

ونجد الشيخ سيدي عبد الرحمان السكوتي في أرجوزته "جوهرة الطلاب" يقول:

هَذَا وَإِنِّي آذَنُ لِلْمُعْتَقِدِ أَنْ يُصْلِحَ الْخَطَأَ لاَ لِلْمُنْتَقِدِ

[1]- عبد الحميد البكري، نفس المرجع ص 59.

- الحكم والنصح والإرشاد:

ما شيخ ولا عالم خبر الدنيا إلا أن تكون له تجارب علمته الحياة إياها، فمن العوائد المهمة والفوائد الجمة، تلكم الحكم والنصائح الذهبية التي يبعث بها المربون والعلماء إلى طلبتهم في آداب التأدب وآداب العلم. ينيرون لهم بها الطريق ويوفقونهم الى السبيل أيما توفيق. فقد نظم التواتيون في هذا حكما تناثرت في قصائدهم ومن الذين نظموا في هذا الغرض نجد الشاعر الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان وذلك في القصيدة التي يقول فيها[1]:

فَكُنْ صَمُوتاً وَلاَ تُكْثِرْ مُكَالَمَةً فَالصَّمْتُ نُورٌ مُبِينٌ رَامَهُ سُعْدَا

وَلاَ تَهْجُ عَاقِلاً إِنْ رُمْتَ عَافِيَّةً وَلاَ تُصَاحِبْ أَخَا فِسْقٍ بَلِ اتَّئِدَا

وَلاَ تُخَاصِمْ كَذُوباً فَاجِراً فَعَسَى يَقُولُ مَا شَاءَ مِنْ قَوْلٍ لَهُ فَنِّدَا

- المقدمات الطللية:

إن المقدمات الطللية ديدن سلك عليه الأقدمون، فلا تخلوا أي قصيدة من ذلك فتسرب هذا إلى شعرائنا بأرض توات ومن ذلك الشاعر المعروف الشيخ البوداوي كما ذكرنا آنفا فإن معظم قصائده يفتتحها بمقدمة طللية، فيقول في قصيدة " عدمت ليلى"[2]:

عَدَمْتِ لَيْلَى أَخِي وَقَلْبُكَ احْتِرَاقَا مِنْ أَجْلِ فُرْقَتِهَا الْعُظْمَى وَمَا سَبَقَا

عَاهَدْتَهَا فِي الدُّجَى لَيْلاً بِقُبَّتِهَا وَكُنْتَ تُطْرِقُهَا بِهِ إِذَا اتَّسَقَا

فيسلك الشيخ نفس المسلك في كل القصائد التي ألممنا بها ولمستها أيدينا ومن ذلك افتتاحيته لقصيدة " ودع سليماك "[3]:

وَدِّعْ سُلَيْمَاكَ وَكُنْ كَارِهاً لِحَيِّهَا وَاذْكُرْ خِصَالَ الْحَبِيبِ

ونجد ذلك أيضا في قوله:

بَانَتْ سُعَادُ وَبَانَ الشِّيبُ فِي جَسَدِي وَأَضْرَمَتْ جِذْوَةَ الْجَحِيمِ فِي كَبِدِ

قَدْ كُنْتُ ذَا شَغَفٍ بِهَا أُعَاهِدُهَا وَأَطْرَقَتْ بِذِي الأَسْبَابِ وَالْوَتَدِ

ومن ذلك قول الشيخ سيدي محمد الإداوعلي[4]:

بِرَبْعِ الْحَيِّ بَدْرَ الْيُمْنِ لاَحَا فَأَوَّلاَنَا بِطَلْعَتِهِ فَلاَحَا

وَغَنَّى فِيهِ قَمَرِي غِنَاءً أَثَارَ جَوَى الْغُرَابِ بِهِ فَصَاحَا

---

[1]- عبد الحميد البكري، النبذة، ص 59.
[2]- أحمد ابالصافي جعفري، رجال في الذاكرة، سيدي محمد بن المبروك حياته وآثاره، ص 80.
[3]- أحمد ابالصافي جعفري، نفس المرجع، ص 41.
[4]- أحمد ابالصافي جعفري، رجال في الذاكرة، سيدي محمد الإداوعلي حياته وآثاره، ص 22.

- الفخـر :

المقصود بالفخر لغة : التَّمدح بالخصال[1]، أي هو ذكر الصفات التي يتمايز بها الناس ضمن أعراف معينة، أما الحماسة، فالمقصود بها لغة[2] : الشجاعة والإقدام.

والفخر كما يعرفه صاحب العمدة:" الافتخار هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح في المدح قبح في الافتخار"[3].

والعلماء عادة كما هو معلوم لا يميلون إلى الفخر، لأن الله لا يحب من كان مختالاً فخورا، وفى بيئة صوفية مثل توات يضعف هذا الغرض، لأن التصوف يربي النفس على التواضع، وهضم دواعى الفخر، لكل ذلك نجد غرض الفخر باهتاً ضعيفاً إلا أن يكون فخراً بالإسلام والانتماء إليه، أو بالرسول والصحابة والأسلاف من العلماء والصالحين .

1 - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1426 هـ– 2005م، ط 8، مادة: فخر، ص585 .
2 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط مادة: حمس، ص695 .
3 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق : محي الدين عبد الحميد، ط 4 بيروت، دار الجيل، 1972 ج2 ، ص143 .

ومن الشعرا ء الذين نظموا شيئا من الفخر الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري الذى يفتخر بنفسه في قولـه :

وَفُزْتُ بِدُرِّ الشِّعْرِ إِذْ غُصْتُ بَحْرَهُ وَمِثْلِي لِنَيْلِ الدُّرِّ مِنْ بَحْرِهِ أَهْلُ

فَحَازَ نِظَامِي فِيهِ أَبْدَعَ صَنْعَتِي مِنَ اللهِ لاَ مِنْ غَيْرِهِ ذَلِكَ الْفَضْلُ

وَأَمْرِي سَلِمَ الاتِّصَالِ وَمَنْ يَرُمْ اتِّصَالِي فَإِنَّ الْخَطْبُ فِي شَأْنِهِ سَهْلُ

وكذلك في قوله:

إِذَا سَادَ بِالإِقْدَامِ عَمْرُو وَبِالذَّكَا تَفَرَّدَ إِيَّاسٌ وَبِالْجُودِ حَاتِمُ

فَإِنَّ شِعَارِي صَنْعَةَ الشِّعْرِ فَالذِي يُنَازِعُنِي فِيهِ فَذَلِكَ ظَالِمُ

ولم نعثر على أبيات أخرى لأهل توات في النوع، مما يؤكد ابتعادهم عن مثل هذا النوع وذلك للسبب الديني الذي أشرنا إليه سابقا، وعلى قلة شعر الفخر فإنه يأتى غالباً في ثنايا القصائد، ومن خلال أغراض أخرى، وقلما تنفرد قصيدة بالفخر.

- نـظم العلـوم :

لنظم العلوم تاريخ فى القصيدة التواتية، فوجدنا الكثير ممن نظم للعلوم، من أمثال الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري الذى نظم فى النحو كثيرا، والشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البكري، والهدف من المنظومات تعليمي لوقوع توات طرفاً فى العالم العربى والإسلامى فكان لابد من النظم لتلقين الطلاب مبادئ العلوم العربية والإسلامية، وقد صار هذا الفن عند التواتيين بمثابة فن يتنافس فيه.

وقد انقسم هذا الفن إلى نوعين أولهما النظم التعليمي الديني؛ حيث يهتم فيه ناظمه بالأمور الدينية والفقهية والتعبدية، وثانيها النظم التعليمي اللغوي، والتي يهتم فيها الناظم بجانب اللغة من نحو وصرف وبلاغة.

أ- النظم الديني:

للشيخ سيدي محمد بن أب المزمري منظومة فى السهو في الصلاة نظمها على سهو الأخضري اسماها العبقري في سهو الأخضري، وبين غرضه من نظمها حين قال :[1]

الْحَمْدُ للهِ الْجَزِيلِ النَّعَمِ مُرْشِدِ مَنْ عَنْ سُبُلِ الْحَقِّ عَمِ

ثُمَّ صَلاَةُ اللهِ يَتْلُوهَا السَّلاَمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ سَيِّدَ الأَنَامْ

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، رجال في الذاكرة، سيدي محمد بن المبروك حياته وآثاره، ص 86.

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّنِي قَصَدْتُ إِنْجَازَ مَا كُنْتُ بِهِ وَعَدْتُّ

مِنْ نَظْمِ سَهْوِ الشِّيخِ الأَخْضَرِيِّ مُعْتَذِراً لِكُلِّ لَوْذَعِـيِّ

كذلك نجد للشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الرحمان التينيلاني، "**منظومة ثلاثة فنون**" في التوحيد والفقه والتصوف، انبرى لشرحها عالمان جليلان من علماء المنطقة هما الشيخ سيدي محمد عبد العزيز سيد عمر وسمى شرحه "مفتاح العلوم بحل ثلاثة من خير أنواع الفهوم"، والشيخ سيدي محمد باي بلعالم سماه "المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية"، ومطلع هذه القصيدة:[1]

يَقُولُ مَنْ بِاسْمِ الإِلَهِ يَبْتَدِي وَبِالْمَحَامِدِ لَهُ فِي الأَبَدِ

مُحَمَّدُ نَجْلُ عُبَيْدَ رَحْمَانْ لَقَبُهُ الْبَكْرِي مَوْلَى الأَوْزَانْ

مُصَلِّياً عَلَى الشَّفِيعِ فِي الْعُصَاةْ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرِّ الْهُدَاة

وَبَعْدُ فَالْقَصْدُ بِهَذَا النَّظْمِ أَوَّلِيَاتٍ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ

أُرْجُوزَةٌ قَدْ شَمِلَتْ مِنَ الْعُلُومِ ثَلاَثَةٌ مِنْ خَيْرِ أَنْوَاعِ الْفُهُومِ

أَوَّلُهَا التَّوْحِيدُ ثُمَّ الفِقْهُ ثُمَّ التَّصَوُّفُ الشَّرِيفُ الْوَجْهِ

بَوَّبْتُهَا فِي نَظْمِهَا أَبْوَابَا نَظْماً أُثَبِّتُ بِهِ الأَلْبَابَا

[1] - مولاي التهامي غيتاوي، منة الرحمان في جملة من حياة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن ، ص 88.

وَكُلُّ بَابٍ تَحْتَـهُ فُصُولُ لِيَتَيَسَّرَ بِـهَا الْحُصُـولُ

جَنَـحْتُ لِلإِيجَازِ لاَ الإِسْهَابِ خَوْفَ السَّئَامَةِ عَلَى الطُّلاَّبِ

حَتَّى حَذَفْتُ كَلِمَةَ الْمُضَافِ فِي بَعْضَـهَا لِفَهْمِ ذِي الإِنْصَافِ

ونرى أن سيدنا الشيخ قد كان على دراية بالمنهج العلمي، فنرى أنه يبين المنهج الذي اتبعه في أرجوزته.

ب- النظم اللغوي:

وهذا النوع قد برع فيه الكثير من العلماء التواتيين، كل وفق ما يراه مناسبا لطرحه، فنجد الشيخ سيدي محمد بن أب في نظمه للمقدمة الأجرومية في ثلاث نظوم مختلفة يقول في الأولى:

نظم[1] مقدمة ابن آجروم ألفها سنة 1120 هـ[2]، بدأها بقوله :

قَالَ ابْنُ أُبَّ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ الله فِي كُلِّ الأُمُورِ أَحْمَدُ

ونظم[3] مقدمة الأجرومية ألفه سنة 1144 هـ وسماه "نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم" وهي في مائة وأربعين (140) بيتاً، بدأها بقوله :

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَنْعَمَا وَعَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَا

[1]- المقدمة الأجرومية وضعها أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم (ت.723هـ) .
[2]- المنظومة موجودة بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بأولف.
[3]- القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار.

وَبِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِيَّا عَلَى النَّبِي بِالْبَهَاءِ حُلِيَّا

سَيِّدِنَا مُحَمَّد خَيْرَ البَشَر وَءَالِهِ مَا لاَحَ فَجْرٌ وَانْتَشَر

وَبَعْدُ أَيُّهَا الْحَبِيبُ الصَّافِي الْمُتَلَقِي الْحَقَّ بِالإِنْصَافِ

فَذَا كِتَابُ نُزْهَةَ الْحُلُوم فِي نَظْمِ مَنْثُورِ ابْنِ آجَرُّوم

ونظم[1] آخر على مقدمة ابن آجروم على البحر الطويل ألفه سنة 1157هـ وسماه " كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم"، بدأها بقوله :

لَكَ الْحَمْدُ يَا الله يَا مَنْ تَفَضَّلاَ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِالْبَيَانِ وَأَجْمَلاَ

وَأَهْدِي صَلاَةً مَعَ كَرِيمِ تَحَيَّةٍ إِلَى مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ لِلْخَلْقِ مُرْسَلاَ

مُحَمَّدَ الْهَادِي الأَمِينِ وَءَالِهْ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ عَلَى الْوِلاَ

وَبَعْدُ فَذَا نَظْمٌ يَرُوقُ فَمَنْ يَذُقْ جَنَاهُ إِلَى الْكُتُبِ الْكِبَارِ تَوَصَّلاَ

أَتَى جَامِعاً لُبَّ الْمُقَدِّمَة التِي حَوَتْ لِابْنِ آجَرُّومِ نَثْراً مُفَصَّلاَ

وقد أسهب الشيخ سيدي محمد بن أب في هذا الميدان، فخلف لنا العديد من القصائد والتي سنقف عليها في الفصلين المواليين، ومن هذه القصائد أيضا أرجوته في علم التصريف والتي

[1]- المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار ، وقد وضع عليه الشيخ باي شرحاً سماه عون القيوم شرح على كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم.

سماها " روضة النسرين في مسائل التمرين" وقد وضع لها شرحا حققه الدكتور أحمد ابالصافي جعفري في رسالته للماجيستير، كما أنه طبع الكتاب وأخرجه، يقول بن أب في مطلع هذه الأرجوزة:

الْحَمْدُ للهِ الْخَبِيرِ الْمُلْهِمِ مَنْ شَاءَ لِلتّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ[1]

ثُمَّ عَلَى نَبِيِّهِ أُصَلِّي وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلَ الْفَضْلِ

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا نَظْمٌ يَرُوقُ كُلَّ مَنْ لَدَيْهِ فَهْمُ

سَمَّيْتُهُ بِرَوْضَةِ النَّسْرِينِ لِجَمْعِهِ مَسَائِلَ التَّمْرِينِ

ونجد الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الرحمان التينيلاني أدلى بدلوه في هذا الغرض، فله قصيدة جمع فيها أبواب ألفية ابن مالك يقول في مطلعها[2]:

الْحَمْدُ للهِ الذِي قَدْ أَعْرَبَا بِاللَّفْظِ عَنْ مَعْنَى شَرِيفٍ أَغْرَبَا

وَأَنْزَلَ الْحِكْمَةَ فِي الإِعْرَابِ عَلَى لِسَانِ الْعُرْبِ وَالأَعْرَابْ

وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى أَفْصَحَ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ وَجَادَ بِالمِنَنِ

مُحَمَّد أَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ وَالآلِ مَنْ لَمْ يَغْفَلُوا بِلاَهِي

وَبَعْدُ فَالأَلْفِيَّةُ الشَّرِيفَهْ فِي النَّحْوِ لِابْنِ مَالِكٍ ظَرِيفَهْ

1- أحمد ابالصافي جعفري، رجال في الذاكرة، ص182.

2- مولاي التهامي غيتاوي، سيدي البكري بن عبد الرحمان، حياته وآثاره، ص 190

لقد تنوعت الأغراض الشعرية عند شعراء توات، لكن غلب على شعرهم الشعر التعليمي بين الدين واللغة، وكذا غرض الرثاء، وهذا لارتباطه بموت العلماء والأعيان، فكل عالم رحل إلا ونجد أنه قد رثي بعدد من القصائد من العلماء والشعراء الّذين حضروا أو سمعوا بوفاته، هذا ما كان سببا في شيوع هذا النوع من الشعر عند أهل توات، ولا زال أهل توات يدأبون على هذا المنوال إلى غاية يومنا هذا.

الفصـــل الثالـــث

ابن أب حياتـــه وآثـــاره

حياة الشاعر محمد بن أُبّ المزمري (ت.1160 هـ)[1]:

1- حياته ونسبه:

هو أبو عبد الله سيدي محمد بن أُبّ بن أحمد، وفي رواية بن احميد، بن عثمان، بن أبي بكر، المُزّمّري نسباً، التواتي مولداً وداراً، فهو ولد كما أكد ابنه ضيف الله في رحلته، لستّ سنين بقيت من القرن العاشر أي سنة(1094هـ) بقرية أولاد الحاج[2] وبها تلقى مبادئ علومه الأولى، توفي أبوه (أبّ) عنه في يوم الأربعاء الثامن والعشرين (28) من عام خمسة وعشرين ومائة وألف (1125هـ).

أما عن نسب (ابن أُبّ) فيقول محمد بن عبد الكريم البكري (ت.ق14 هـ): "السيد مُحمد بن أُبّ بضم الهمزة هكذا ضبطه، الزمّوري نسبة إلى زمورة[3] من أرض البرابر، المخزومي القرشي"[4].

ولقد عاش مُحمد بن أُبّ المزّمّري في عصر مليء بالأحداث داخلياً وخارجياً، فعلى المستوى الخارجي كانت جل الأقطار العربية تحت السيطرة العثمانية، وهو ما كان سبباً مباشراً في خضوع هذه الأقطار إلى المعايير والتيارات الثقافية التي انجرّت عن هذا الحكم، وفي الجهة المقابلة للإقليم وتحديداً في الشق الجنوبي بعواصمه الثقافية الكبرى كتمبكتو وشنقيط وأروان.

---

[1]- وردت ترجمته في:- محمد بن بادي الكنتاوي، مخطوط مقدم العي المصروم شرح نظم ابن أُبّ لمنثور ابن آجروم، ص 01.
- مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص158.

[2] - ضواحي مدينة أولف التابعة حالياً لبلدية تمقطن دائرة أولف ولاية أدرار.

2- تعلمه وشيوخه:

نشأ مُحمد بن أُبّ في مسقط رأسه بقصر أولاد الحاج ضواحي مدينة أولف، وبها تلقى مبادئ علومه الأولى، ثم اتصل بعد ذلك بالشيخ محمد الصالح بن المقداد (ت.ق12 هـ) وبعدها انتقل إلى قصر زاوية كنته، واتصل بالشيخ الفقيه سيدي عمر بن المصطفى بن سيدي عمر الرقادي (ت.1157هـ)، ومكث بالزاوية طويلاً[1] دارساً ومدرساً حتى انتقل منها لعلة في مائها[2] متوجهاً إلى مدينة تمنطيط التي درس بها طويلاً، ثم انتقل بعد ذلك إلى عدة مدن وأقطار عربية وإسلامية، واستقر به المطاف أخيراً بمدينة تيميمون شمال ولاية أدرار وبها تُوفي.

ومن جملة مشايخه وأساتذته أيضاً، يذكر الشيخ عبد الرحمان بن باعومر التينيلاني (ت.1189 هـ) أحد تلامذته المقربين أنه: " أخذ ببلده الفقه عن السيد محمد الصالح بن المقداد، وعن الفقيه شيخنا عمر الرقادي، أما الشعر والعروض فأخبرني أنه لم يأخذهما عن شيخ يعتمد عليه فيهما، وإنما فتح الله عليه فيهما على يد صالح، أما النحو فعلى يد العلامة الولي الصالح سيدي أحمد التوجي[3] ".

أما عن صفاته وأخلاقه في التعليم فيقول عنه تلميذه سيدي عبد الرحمان بن باعومر التينيلاني (ت.1189 هـ):" كان متقناً، مجيداً، فطناً، عارفاً يباحث الشراح في مجلسه بأحسن بحث، إلا أنه كان قليل الإقراء، وكان رحمه الله ورعاً في الفتوى لا يكاد يجيب في نازلة، ويحيل على غيره ولو كان أدنى منه، وكان كثير المطالعة لا تكاد تجد كتاباً بتوات إلا وتجد خطه فيه، وكان متقناً في الضبط لا يتساهل فيه"[4].

---

[1] - ينظر: مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص158 ، مولاي أحمد الطاهري.

[2] - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص89.

[3] - من أولياء المنطقة ، عاش في القرن الثاني عشر وهو مدفون بين قصري تسفاوت وعباني جنوب أدرار.

[4] - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص89.

3- رحلاته وتنقلاته

عُرف مُحمد بن أُبّ بكثرة رحلاته وتنقلاته[1] وهذا منذ أيامه الأولى، ذلك أنه ولد في قرية أولاد الحاج ومنها انتقل إلى قصر زاوية كنته جنوب الولاية أدرار، ثم إلى مدينة تمنطيط، ومنها إلى زاوية تينيلان ضواحي المدينة أدرار، ليستقر به المقام أخيراً بمدينة تيميمون.

أما خارج الوطن فقد تنقل الشيخ بين سجلماسة وفاس بالمغرب، وبين مالي وتمبكتو وأروان بأرض السودان الإفريقي، وأثناء تنقله بأرض المغرب زار مدينة سجلماسة وحضر مجلس عالمها آنذاك الأستاذ أبي إسحاق سيدي إبراهيم، ومن هناك عاد إلى أرض توات، ومنها إلى مدينة تيميمون التي قضى بها بقية حياته إلى أن وافته المنية.

4- تلاميذه :

على الرغم من كثرة نشاط بن أُبّ العلمي وتعدد رحلاته داخل وخارج الوطن، إلا أن هناك قلة من تلاميذه الذين كتبوا عنه، أو ترجموا له ضمن سلسلة أشياخهم، ولم تسجل لنا كتب التراجم سوى تلميذين بارزين، جاء ذكرهما في كل الأسانيد التي تحدثت عن تلاميذ مُحمد بن أُبّ المزّمّري، أما الأول فهو ابنه ضيف الله (ق 12هـ) وقد أُثِر عنهما مناظرات نحوية عدة، جاءت في شكل أبيات شعرية تضمنتها بعض حواشي مخطوطات المنطقة[2]. وأما تلميذه الثاني فهو الشيخ عبد الرحمان بن باعومر التينيلاني(ت.1189 هـ).

5- وفاتـه:

[1] - مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النوات، ص 123.- أحمد ابالصافي جعفري، ابن أب المزمري، ص 16.
[2] - الأبيات موجودة في حواشي بعض المخطوطات الموجودة في خزانة باعبد الله أدرار .

في ظهر يوم الاثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة ألف ومائة وستين هجرية (ت.1160 هـ)[1] ، انتقلت روح مُحمد بن أُبّ المّزّمِّري إلى بارئها ، ودفن بمدينة تيميمون ، بمقبرة سيدي عثمان وسط المدينة، وقبره إلى جوار الولي الصالح سيدي عثمان أحد أولياء المنطقة.

6- مؤلفـاتـه:

لقد خلف ابن أُبّ العديد من المؤلفات في الشعر والنثر، لكن ما وصلنا منها قليل بالنسبة إلى الذي ضاع فيما روي عنه، خاصة وأنه كان شاعرا من أصحاب السليقة، ومع ذلك فإن هذا القليل مما وصلنا يعد ذخرا للرجل، ومن هذه المؤلفات نجد:

- قصيدة في فك البحور ألفها سنة (1116 هـ).
- نظم مقدمة ابن آجروم ألفها سنة (1120 هـ).
- أرجوزة في علم العروض ألفها سنة 1126 هـ وسماها "روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل".
- نظم باب السهو من مختصر الأخضري في العبادات ألفه سنة 1128هـ وسماه "العبقري" وهو في مائة وتسعة وخمسين (159) بيتاً.
- نظم على المقدمة الأجرومية ألفه سنة 1144 هـ وسماه نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم وهي في مائة وأربعين (140) بيتاً.
- نظم آخر على مقدمة ابن آجروم على البحر الطويل ألفه سنة 1157هـ وسماه "كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم".

[1] - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، ص89. - ومولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النوات، ص 123.- وأحمد ابالصافي جعفري، ابن أب المزمري، ص 16.- وعبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات، ص 81.

هذا وقد أُثِر عنه مؤلفات أخرى عديدة لكنه لم يقيدها بتاريخ محدد حتى يتسنى لنا معرفة تاريخ النظم أو التأليف نذكر منها :

- أرجوزة في علم الكلام سماها "الأهنة المعجلة".
- أرجوزة في مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ضمنها أشطاراً من الألفية[1] شطراً من نظمه والآخر من الألفية، وهي في ثمانية وخمسين بيتاً.
- قصيدة شعرية في مدح وسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– أنشأها على البحر الجديد والذي سماه (المضطرب) وهي في تسعة وثمانين (89) بيتاً.
- منظومة في أسماء البحور.
- قصيدة شعرية يفتخر فيها بنفسه.
- قصيدة في إعراب التسبيح الذي يقال بعد صلاة التراويح في المنطقة[2] .
- منظومة في مفاتيح البحور.
- أرجوزة في التصريف سماها "روضة النسرين في مسائل التمرين".
- شرح على روضة النسرين.
- شرح على الهمزية سماه "الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية".

---

[1] - هي أرجوزة شعرية احتوت ما يقارب الألف بيت في علم النحو لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ولد سنة 600 هـ ، وتوفي سنة 672 هـ ، له أزيد من ثمانية وثلاثين مؤلفاً . ينظر:كتاب

[2] - ما زال هذا التسبيح يردد بعد صلاة التراويح في رمضان طيلة شهر رمضان المعظم ونص التسبيح هو :

سُبحانَك يا قَريبُ يا مجْيبُ يا مــولاَنَا سَبحانَك يَا حاِضراً لاَ يَغِيب يَا مولاَنَا
سُبْحانَك يَا فعال ما يُرْيد يَا مــولاَنَا سبحانك يا حميد يا مجيد يا مــولانا
سُبْحانَك يَا مُوصوفاً بِالْكَمْال يَا مولاَنَا سبْحانَك يَا عظُيم ذا الجَلاَل يَا مــولاَنَا
سبحانك يا حنان يا منان يا مــولانا سبْحانَك يَا كِريمُ ذَا الإحَسْان يَا مولاَنَا
سبْحانَك يَا آمر بِالمَعروف يَا مــولاَنَا سبحانك يا جواد على الضعيف يا مولانا
يَا إلهِي لَك الحَمد يَا إلهِي لَك الشكْر لك الحَمُد في السِر لَكَ الحمُد في الجَهـِر

لَك الحَمُد دائِماً لَك الشكْر أبدا

- شرح على لامية ابن المجراد في إعراب الجمل سماه "نيل المراد من لامية ابن المجراد".
- شرح على تحفة ابن الوردي في النحو سماه "النفحة الرندية في شرح التحف الوردية".
- أبيات العشرة تقرأ من اليمين إلى اليسار وتقرأ من الجهة الموازية أيضا.
- شرح على هاته الأبيات العشرة.
- أبيات عشرة في البديع .
- شرح على صغرى الصغرى "سماه معونة القراء".
- شرح على القصيدة الشقراطسية سماه "الدروع الفارسية في شرح القصيدة الشقراطسية".
- شرح على لامية العجم سماها "نفث القلم في شرح لامية العجم".
- تخميس لقصيدة ما للمساكين المنسوبة لأم هانئ –رضي الله عنها–.
- شرح لمنظومته الأولى للمقدمة الأجرومية.
- تحلية القرطاس في مسألة تضمين الخماس.
- وله قصيدة على حروف أدعوني أستجب لكم تشتمل على 14 بيتا.
- نظم رابع على المقدمة الأجرومية.
- وله أبيات متفرقة قالها في عدة مناسبات وأيضا له ألغاز شعرية تركها لمن خلفه آية.

7- دراسة لشعر ابن أب :

- الأغراض الشعرية في شعر بن أب المزمري:

لقد نوع ابن أب في شعره بين التعليم والمدح والألغاز وغيرها من الأغراض الأخرى، لكن ما وصلنا من شعره يطغى عليه الجانب التعليمي، الذي بدوره يغلب عليه الجانب اللغوي النحوي، فالشاعر وكما أشرنا سابقا كان يفتخر ببراعته في هذا الميدان ويتحدى الآخرين في ذلك، ومن الأغراض التي خاض فيها نجد:

1-غرض المدح:

لم نعثر فيما وصلنا من شعر ابن أب على الكثير من قصائد المدح، سوى بعض القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وقصيدة في مدح الولي الصالح مولاي عبد الملك الرقاني وأجداده، وهذا ربما يرجع لاهتمام ابن أب بالتعليم أكثر من اتصاله بالغير، ولا نستطيع تأكيد ذلك على الإطلاق ونحن نعلم أن الكثير من تراث منطقة توات قد ضاع بسبب عوامل عديدة أبرزها الفترة الاستعمارية التي كان المستعمر خلالها يحاول محو ذاكرة شعب من جذورها، فمن القصائد التي وصلتنا في فن المدح النبوي نجد القصيدة التي ضمن لأبياتها أعجازاً من ألفية ابن مالك ووظفها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

والتضمين يعني أخذ الشاعر بيتا أو جزء من بيت شعري من شاعر آخر فيودعه في شعره، على أن يكون ذلك علنا من دون أن يخفي ذلك، وإلا فالأمر يعد سرقة أدبية[1].

ويتمثل مفهوم "التضمين" ضمن إطار النقد القديم وشبكته العاملة، في أن يُضمِّن الشاعر شعره بعض شعر غيره، ويجري التضمين على الشعر نظيراً لجريان الاقتباس على القرآن والحديث في التقسيم المعتمد. فلقد جاء على لسان ابن حجة الحموي في "خزانة الأدب" الكلام على التضمين تحت تسمية أخرى هي "الإيداع" فقال: "والإيداع الذي نحن بصدده هو أن يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطىء له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له وأحسن الإيداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الأول ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عجزه صدرا أو صدره عجزا وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها وينظم لها المودع صدورا لغرض اختاره وبالعكس وقد تقدم وتقرر أن الأحسن في هذا الباب أن

1 - محمد عزام، التناص في الشعر مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد 368 كانون الأول 1987م.

يصرف الشاعر ما أودعه في شعره عن معناه الذي قصد صاحبه الأول"[1]، فنرى في قول ابن حجة ما نحن بصدد الكلام عنه من شعر شاعرنا وهو حذف صدور قصيدة بأكملها ووضع صدور لها بشرط تغيير الغرض، وبمقتضى ذلك فإن الكاتب عموماً قد يدخل في كتابته أقوالاً مشهورة لغيره. وقد تفطن إلى ذلك ابن المعتز وعدَّه من محاسن البديع. وفي متصل هذا الاستخدام المشار إليه بـ"التضمين" أجاز البلاغيون عكس البيت المضمن، بأن يجعل صدره عجزاً، وعجزه صدراً..الخ[2]، ومن أمثلته ما نجده عند ابن نباتة الذي ينظم أبياتاً، فيأتي لها بأعجاز وصدور من شعر الحطيئة وطرفة بن العبد يقول[3] :

إِذَا جِئْتَهُ تَعْشُو إِلَى ضُوءِ كَأْسِهِ "تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقِدِ"

تُحَدِّثُكَ الأَنْفَاسُ فِيهِ عَنِ اللَّمَى "وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ"

فَشُمَّ بَارِقاً قَدْ خَوَّلَتْكَ وَلاَ تُشَمِ "لِخَولَةَ أَطْلاَلاً بِبَرْقَةَ ثَهْمَدِ"

وللنقاد القدماء آراء في التضمين ومواقعه في الشعر فمنهم من يرى أن التضمين الجزئي أوقع في النفس وأحسن من التضمين الكلي، ويسوق شاهداً على ذلك قول أحدهم[4] :

كُنَّا حَبِيبَيْنِ فِي بُؤْسٍ نُكَابِدُهُ وَالْقَلْبُ وَالطَّرْفُ مِنَّا فِي قَذَى وَأَذَى

وَالآنَ أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِمَا تَهْوَى فَلَا تَنْسَنِي، إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا

1 - تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق : عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى ، 1987، ج2، ص 311.

2 - وفيق سليطين، في إدارة الكلام على الكلام "من التضمين إلى التناص"، جريدة الاسبوع الادبي العدد 981 تاريخ 2005/11/12.

3 - المرجع نفسه.

4 - المرجع نفسه.

وينبه بعد ذلك إلى أن التضمين الجزئي المقتصر عليه في البيت الثاني، يشير به القائل إلى قول المتنبي[1] :

إِنَّ الكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ

وهذا الذي أوردناه هو ما يعلق عليه الصفدي قائلاً:[2] "وهذا عندي أشرف من التضمين الكامل، وأطرب للفهم، وأعذب للسمع، وفيه من البلاغة حسن التضمين، مع ما في ذلك من الاختصار الذي هو من أشرف أنواع البلاغة، لأنه يرفع عن المخاطب مؤونة الإصغاء وقرع السمع بما هو محفوظ مقرر في الذهن".

ولقد شاع التضمين، وانتشر على العموم، شيوعاً مفرطاً عند أصحاب التصنع البديعي، وبات مقصوداً إليه في منحى من الاستعراض، ومهارة الاستخدام، والتوظيف الدال على طول الباع، وسعة الاطلاع، ورسوخ القدم، والتمكن من التصرف بهذا النوع، بحيث إن شاعراً يعرض له على نحو لا يخلو من الظرف والتهكم، فيقول[3] :

أُطَالِعُ كُلَّ دَيْوَانٍ أَرَهُ وَلَمْ أَزْجُرْ عَنِ التَّضْمِينِ طَيْرِي

أُضَمِّنُ كُلَّ بَيْتٍ فِيهِ مَعْنَى فَشِعْرِي نِصْفُهُ مِنْ شِعْرِ غَيْرِي

فمثلاً نجد التضمين عند ابن سهل أيضاً في قوله[4]:

لَسْتُ أَنْسَى الأَحْبَابَ مَا دُمْتُ حَيّاً وَلَعُمْرِي نَأَوْا مَكَاناً قَصِيّاً

1 - محمد عزام، التناص في الشعر مجلة الموقف الأدبي، المرجع السابق.
2 - محمد عزام، التناص في الشعر مجلة الموقف الأدبي، المرجع السابق.
3 - نفس المرجع.
4 ـ محمد بن منوفي، سلسلة التراث الحضاري في الأندلس، دراسة تحليلية في شعر ابن سهل الأندلسي، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، طبعة 2002، ص 102.

وَتَلَوْ آيَةَ الْوَدَاعِ فَخَرُّوا خِيفَةَ الْبَيْنِ سُجَّداً وَبُكِيّاً

حيث وظف آيات سورة مريم في كل القصيدة، فمن النقاد من أنكر عليه ذلك، لكن هذا من منظور الإبداع فهو محمود.

وعلى ذلك فإن عملية التأثير والتأثر في مجال الشعر، لا يمكن أن تستغني عن "الاحتذاء" أو "التقليد" خاصة وأن الشاعر كان لا بد له لكي يكون شاعرا أن يحفظ أشعار العرب ويرويها، ثم يتخلص منها بعد ذلك، لكي يتأتى له قول الشعر، وعلى هذا لا يمكن للشاعر أن يسلم من نهب ما لغيره عن وعي، أو عن غير وعي.

وعلى غرار ما فعله الأولون ـ ورغم ما جاء في كلام ابن حجة لكننا لم نعثر على تمثيل له عنده أو عند غيره ـ فقد استلهم منهم ابن أب فكرة التضمين لكنه أخرجها بشكل مخالف لما جاؤوا به وهو الذي يحب أن يبتكر ويبتدع في ذلك على غرار البحر الذي أضافه للبحور الشعرية، فقد ضمن قصيدة مكونة من ثمانية وخمسين بيتا كل أبياتها أعجازا من ألفية ابن مالك النحوي، والغريب أنه لم يبقي القصيدة على نفس المضمار وهو موضوع النحو كما هو الشأن بالنسبة للألفية، بل بدل مسارها إلى موضوع المدح النبوي، وهذه سابقة في تاريخ الشعر التواتي، وقد اختص المغرب العربي والأندلس بهذا النوع من الأنظام فقد سبق ابن أب إلى هذا الفن، كل من ابن نباتة وابن سهل وغيرهما...

والقصيدة التي جاءت في هذا المنوال من شعر الشاعر هي الأرجوزة[1] التي ضمنها أشطاراً من الألفية[2] شطراً من نظمه والآخر من الألفية، وهي في ثمانية وخمسين بيتاً بدأها بقوله :

[1] ـ المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار.

[2] ـ هي أرجوزة شعرية احتوت ما يقارب الألف بيت في علم النحو لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ولد سنة 600 هـ ، وتوفي سنة 672 هـ ، له أزيد من ثمانية وثلاثين مؤلفاً.

صَلاَةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ مُتَّصِلَـهْ عَلَى الـذِي اسْتَقَرَّ أَنَّـهُ الصِّلَـهْ

نَبِيِّنَـا الـذِي فَخَـارُهُ أَتَـى فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا

ومن مدح الشاعر أيضا نجد قصيدته التي ألفها على البحر الجديد، وقد أفردها لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول فيها[1]:

صَلَّ يَـا إِلَـهِـي ثُمَّ سَلِّـمْ دَائِمـاً عَلَى خَيْرِ الأَنَـامِ

مَا دَعَـاكَ أَوْ لَبَّاكَ مُحْرِمْ قَاصِداً إِلَى الْبَيِتِ الْحَرَامْ

أَحْمَـدُ رَسُـولُ اللهِ أَحْمَـدْ سَيَّدَ الْوَرَى طَهَ الْمُمَجَّدْ

فَضْلُهُ مُبِينٌ لَيْسَ يَجْحَدُ إِذْ حَوَى الْمَعَالِي بِالتَّمَامِي

فَهُوَ فِي ضُرُوبِ الْفَخْرِ أَوْحَدُ غَيْرَ أَنَّ فِيـهِ الْقَوْلُ نَـامِ

بِالنَّبِي لُذْ تُرْحَمْ وَتَسْلَمِ مِنْ جَمِيعِ مَا تَخْشَى وَتُكْرَمِ

وَانْظَمِ الْقَوَافِي فِيـهِ وَاعْلَـمْ أَنَّ مَدْحَـهُ خَيْرَ النِّظَـامْ

وختمها بقوله :

لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ حَقّــاً اشْهَدْ بِهَا عَقْداً وَنُطْقاً

كِي يُنِيلَنِـي الرَّحْمَـانُ عَتْقاً مِنْ لَظَى غَدَاةَ الإِزْدِحَـامِ

هَلْ مُوَحِّدٌ يَرْجُـوهُ يَشْقَـى لاَ وَلَوْ تَـرَاءَى ذَا اجْتِرَامِ

[1] - مخطوط القصيدة موجود بخزانة كوسام أدرار.

يَا إِلَهَنَـا حَمْـداً وَشُكْـرَا إِذْ هَدَيْتَنَـا سِـرّاً وَجَهْرَا

ومن قصائده في المدح العام نجد قصيدة السلسلة التي مدح فيها الولي الصالح الشيخ سيدي مـولاي عبد الملك الرقـاني، التي يبين فيها نسب الشيخ واتصـاله بالنسب الشـريف وكذا شيوخه وشيوخهم على مر الأزمان يقول فيها[1]:

الحَمْدُ للهِ المجُيبُ السَائِل إِذَا دَعَا بِأعْظَمِ الوَسَائِلِ

وَآلَهِ وَصَحْبِهِ وَكُلُ مَنْ نَالَ الهُدى يهُديهُم طُول الزَمَنْ

وَبَعْدُ فَارْفَعْ حَاجَتِي للدَارِ بِمَا حَوَتْ سِلْسِلَةُ الأنْوَارِ

بِالصَالِح الشّارِقِ ذِي القَدْرِ العَلي مُولاَيَ عَبْدُ اللهِ ذَاكَ بنُ عَلي

وَهْوَ الذي دَعَاهُ بِالرقَانِي هَاتِفُ مَدْحِ شَادَ بِالبَيَانِ

إِشَارَةَ مِنهُ إلى مَا قَدْ حَصَلْ لهُ مِنْ السِّرِ بِذَلِكَ المَحَل

وَشَيْخِهِ العَارِفِ بِالإحْسَانِ شَيْخَ الشُيُوخِ بنُ أبي زَيّانِ

وَقُلْ إِذَا سَأَلْتَ بِاسْمِ اللهِ يَا رَبِّ إِنِّي سَائِلٌ بِجَاهِ

وَلِيَّكَ الذِي أَنَلْتَهُ الشَّرَفْ وَالْعِلْمَ وَالْجُودَ وَفَضْلَ مَنْ سَلَفْ

مُولاَيَ عَبْدُ الْمَلِكِ الرَّقَّانِي صَالِحُ هَذَا الْوَقْتِ فِي الْعَيَانِ

وَشَيْخِهِ وَالِدُهُ الذِي ظَهَرْ لِكُلِّ دَاعٍ بِالتَّوَسُّلِ اشْتَهر

[1] - مخطوط القصيدة موجود بخزانة كوسام أدرار.

إلى أن يقول :

بِجَاهِ أحمَد الوَجِيْهِ المُصْطَفَى مِن ْجَاهِهِ عَلى الأنَامِ قَدْ ضَفَى

وَالآلَ وَالصَحْبِ الكِرَامِ مَا دَعَا دَاَعِ إِلهَي بِحَبْيبكَ اشْفَعَا

وما يفسر عدم اهتمام ابن أب بشعر المدح وخاصة المدح العام؛ هو اهتمامه بالشعر التعليمي ورؤيته له أنه ذا رسالة أبلغ، إضافة إلى كون الشاعر يميل أكثر إلى النحو واللغة.

2- غرض الفخر:

تناول الشاعر هذا الغرض لكن اقتصر فيه على الافتخار بشخصه دون أن يعرض لأي من المواضيع التي تناولها الشعراء في أشعارهم كالافتخار بالأجداد أو الأوطان...

ومما جاء به الشاعر في هذا المضمار نجد القصيدة التي قالها وهو بأرض أروان بتمبكتو يقول فيها[1]:

وَقَائِلَـةٌ لِي يَا ابْنَ أُبَّ مُحَمَّـدَا أَرَى النَّاسَ طُرّاً هَاهُنَا فِيكَ زُهْداً

فَـلاَ مَذْهَبٌ مِـنْ أُنْسِهِ لَكَ وَحْشَـةً وَلاَ سَامِعاً مَنْ ذَا يَقُولُ مَنْ الْهُدَا

وَبَعْضُ يَكَادُ إِنْ ذَهَبْتَ لِتَبْتَغِي مُصَافَحَـةً أَنْ لاَ يَمُدَّ لَكَ الْيَـدَا

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَذَلِكَ مِنْهُمْ تَجَاهُلُ أَمْ جَهْلٌ بِقَـدْرِكَ قَدْ بَدَا

فَقُلْتُ جَهِلْـتِ الأَمرَ لَوْ جِئْتُ تَاجِراً أَسُوقُ حَمَّالَـةً وَأُبْرِزُ عَسْجَداً

لَكُنْتُ لَدَى أَبْنَاءِ جَنْسِي وَغَيْرِهِمْ حَبِيباً إِلَيْهِمْ بَـلْ أَمِيراً وَسَيِّداً

يَسِيرُونَ نَحْوِي بُكْرَةً وَعَشِيَّةً سِرَاعاً إِلَى مَثْوَايَ مَثْنَى وَمُوَحِّـداً

فَمِنْ قَائِلٍ مَهْمَا بَدَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَقُلْ يَا فُلاَنُ آتِ عَبْداً مُعَبَّداً

[1] - الشيخ محمد بلعالم باي، الرحلة العلية، المرجع السابق، ص 90.

وَمِنْ قَائِلٍ مَنْ شِئْتَ فَاخْطُبْ فَإِنَّنَا جَعَلْنَا لَكَ التَّفْوِيضَ فَاحْلُلْ وَاعْقُدَا

وَمِنْ قَائِلٍ حَاكِيتَ فِي الْفِقْهِ مَالِكاً وَمِثْلِيَ غَبِيٌّ جَاهِلُ غَيْرَ مُقْتَدَا

وأيضاً افتخاره في قصيدة أخرى يقول فيها[1]:

وَفُزْتُ بِدُرِّ الشِّعْرِ إِذْ غُصْتُ بَحْرَهُ وَمِثْلِي لِنَيْلِ الدُّرِّ مِنْ بَحْرِهِ أَهْلُ

فَحَازَ نِظَامِي فِيهِ أَبْدَعَ صَنْعَتِي مِنَ اللهِ لاَ مِنْ غَيْرِهِ ذَلِكَ الْفَضْلُ

وَأَمْرِي سَلِمَ الاتِّصَالِ وَمَنْ يَرُمْ اتِّصَالِي فَإِنَّ الْخَطْبُ فِي شَأْنِهِ سَهْلُ

ولم يكتف الشاعر بالقصائد عند افتخاره بنفسه بل أنشأ أبياتاً أخرى منها قوله[2]:

إِذَا سَادَ بِالإِقْدَامِ عَمْرُو وَبِالذَّكَا تَفَرَّدَ إِيَّاسٌ وَبِالْجُودِ حَاتِمُ

فَإِنَّ شِعَارِي صَنْعَةُ الشِّعْرِ فَالذِي يُنَازِعُنِي فِيهَا فَذَلِكَ ظَالِمُ

وكذلك في قوله[3]:

فَخُذْ بِنْتَ فِكْرِي مُنْبِئاً دُرَّ عَقْدِهَا بِأَنِّي نَحْوِيٌّ فَصِيحٌ وَمُعْرِبُ

وأيضاً نجد الشاعر لم يكثر في هذا الغرض وهذا راجع لثقافة الشاعر وعلمه بالقرآن والسنة لأن كلا منهما يمنع على المسلم الافتخار بالنفس فما بالك بعالم متفقه في الدين.

3-غرض التصوف والزهد:

[1] - نفس المرجع، ص 95.
[2] - الشيخ محمد بلعالم باي، الرحلة العلية، المرجع السابق، ص 99.
[3] - نفس المرجع، ص 98.

لا نجد شاعراً من شعراء منطقة توات ينظم الشعر إلا وقد تطرق إلى الزهد لأن هذا الأخير مرتبط بالتصوف والتصوف عنوان المنطقة ككل لأن معظم سكانها على الطريقة الجنيدية الأشعرية[1].

فنجد الشاعر قد ألف قصيدة من عشرة أبيات ضرب فيها لونين في نظم واحد، لون معنوي وهو النصح بالزهد في الدنيا والتوبة إلى الله وترك التكـاسل والاجتهاد في الطـاعـات والعبادات،

ولون سماعي وهو حسن البديع بتخصيص القصيدة بالجناس كلية وذلك في قوله[2]:

يَا وَيْحَ مُبْتَاعَ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَلَسَوْ ... فَ يَنْدَمُ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَا – (صِي)

مَا هَمُّهُ إِلاَ لِقَاءَ كَوَاعِبَ عُرْبٍ ... تَمِيسُ كَأَنَّهُمُ الْقَضْبُ النَّوَا – (عِمُ)

لِلنَّقْصِ فِي الدُّنْيَا يُسَاءُ وَإِنَّمَا ... حَسَنَاتِهِ عِنْدَ الْحِسَابِ هِيَ النَّوَا – (قِصُ)

لَكِنْ مَنْ ذِي حَالُهُ لَمْ يَنْتَفِعْ ... بِبُكَا الْبَوَاكِي وَلاَ نُوحُ النَّوَا – (حِي)

لَمْ يَدْرِ أَنْ لاَ بُدَّ يَوْماً أَنْ يُرَى ... فِي آلَةٍ حَدْبَاءَ تَنْدُبُهُ النَّوَا – (دِبُ)

فَدَعِ التَّكَاسُلَ وَاسْتَعِدْ مُحَاذِراً بَغْتَ ... الْمَنُونِ وَمَا يَنُوبُ مِنَ النَّوَا – (ئِبِ)

وَاذْكُرْ إِلَهَكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَاشْكُرْ ... لَهُ وَصْلَ الْفَرَائِضِ بِالنَّوَا – (فِلِ)

وَاعْبُدْهُ وَاتَّقِهِ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ ... وَافْعَلْ أَوَامِرَهُ وَلاَ تَأْتِي النَّوَا – (هِي)

وَاسْأَلْهُ لاَ تَسْأَلْ سِوَاهُ فَإِنَّهُ مِنْ ... فَيْضِ أَبْحُرِ جُودِهِ يَرْجُو النَّوَا – (لِ)

وَارْغَبْ إِلَيْهِ وَعُذْ بِهِ مُتَوَقِّعاً ... فَرَجاً إِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِكَ النَّوَا – (زِلُ)

---

[1] - الجنيد :و أبو القاسم الخراز المتوفي 298هـ يلقبه الصوفية بسيد الطائفة، ولذلك يعد من أهم الشخصيات التي يعتمد على أقواله وآرائه وبخاصة في التوحيد والمعرفة والمحبة، ينظر كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب، ص 233.

[2] - الشيخ محمد بلعالم باي، الرحلة العلية، المرجع السابق، ص 95.

ومن شعر الزهد أيضاً ما جاء في قصيدة "الهنة المعجلة" في قوله[1]:

وَلاَ خَفَا أَنَّ الْحَيَاةَ يَا أَخِي لَيْسَ لَهَا تَعَلُّقٌ أَصْلاً بِشَيْء

وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ كُلٍّ فَافْطَنَا الْعَدَمُ الْحُدُوثُ ثَمَّتَ الْفَنَا

كذلك نجده قد أفرد قصيدة من أربعة عشر بيتاً في التصوف والزهد وهي قصيدة على حروف "أدعوني أستجب لكم" التي مطلعها[2] :

اللهُ رَبِّي لاَ إِلَهَ سِوَاهُ مَا خَابَ مُضْطَرٌّ دَعَا مَوْلاَهُ

وأيضا قصيدة أخرى من أحد عشر بيتاً مطلعها[3]:

رَعَى الإِلَهُ أَمْراً يُخْشَى الإِلَهُ لَهُ إِنْ هَبَّ لِلْخَيْرِ أَهْلُ الْخَيْرِ نَامُوسُ

فنجد أن الشاعر من أهل التصوف والزهد والتنسك وكيف لا وهو قد سخر كل حياته في خدمة العلم والعبادة، فهو كان دائم التنقل والترحال من أجل بث العلم ونشر الدين.

4-غرض العتاب:

نجد الشاعر تطرق لهذا الغرض في قصيدة واحدة وذلك حين كان بأرض أروان بتمبكتو لما لم يجد من يستقبله ويعرف قدره فأنشد أبياتا قال في مستهلها[4]:

فَقُلْتُ جَهِلْتِ الأَمرَ لَوْ جِئْتُ تَاجِراً أَسُوقُ حَمَالَةً وَأُبْرِزُ عَسْجَداً

لَكُنْتُ لَدَى أَبْنَاءِ جَنْسِي وَغَيْرِهِمْ حَبِيباً إِلَيْهِمْ بَلْ أَمِيراً وَسَيِّداً

---

[1] - مخطوط القصيدة موجود بخزانة كوسام أدرار.
[2] - الشيخ محمد بلعالم باي، الرحلة العلية، المرجع السابق، ص 99.
[3] - الشيخ محمد بلعالم باي، الرحلة العلية، المرجع السابق، ص 97.
[4] - المرجع نفسه، ص95.

يَسِيرُونَ نَحْوِي بُكْرَةً وَعَشِيَّةً سِرَاعاً إِلَى مَثْوَايَ مَثْنَى وَمُوَحِّداً

فَمِنْ قَائِلٍ مَهْمَا بَدَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَقُلْ يَا فُلاَنُ آتِ عَبْداً مُعَبَّداً

وَمِنْ قَائِلٍ مَنْ شِئْتَ فَاخْطُبْ فَإِنَّنَا جَعَلْنَا لَكَ التَّفْوِيضَ فَاحْلُلْ وَاعْقُدَا

وَمِنْ قَائِلٍ حَاكِيتَ فِي الْفِقْهِ مَالِكاً وَمِثْلِيَ غَبِيٌّ جَاهِلُ غَيْرَ مُقْتَدَا

فهو في هذه الأبيات يعاتب سكان تمبكتو لأنهم لا يعرفون قدر العالم، وإنما همهم الجري وراء الأغنياء ورفع منزلتهم ولو أنهم جهال وذلك بسبب ما يملكون من مال، أما أهل العلم فلا يجدون بهذه الأرض من يستمع أو ينظر إليهم، فابن أب لاحظ ذلك وعبر عنه بهذه الأبيات متعجباً من حال هؤلاء ومعاتباً لهم في الوقت نفسه.

5- الشعر التعليمي:

لقد غلب هذا الغرض من الشعر على شعر ابن أب، وهذا طبيعي لأن وظيفة الشاعر كانت التعليم، فقد بدأ هذه الوظيفة بمسقط رأسه ثم انتقل إلى مناطق عدة لبث العلم، كما تبنى الطريقة الأسهل لتحفيظ الفرائض والعلوم للطلاب، وهذه الطريقة منتشرة بكثرة في المغرب العربي، فعمد ابن أب إلى نظم العديد من المتون المنثورة، وساعده في ذلك موهبته في النظم، وخص العلوم اللغوية بنسبة كبيرة من نظمه، وكيف لا وهو الذي ينعت نفسه بأنه نحوي.

ومن القصائد التي أفردها للتعليم نجد قصيدته في فك البحور ألفها سنة (1116 هـ) بدأها بقوله[1]:

بَدَأْتُ بِحَمْدِ اللهِ رَبِّ مُصَلِّياً عَلَى الْهَادِي أَحْمَدَ الرِّضَا عَلَمَ الْهُدَى

وَأَصْحَابِهِ وَالأَكْرَمِينَ وَآلِهِ وَبَعْدُ فَخُذْ فَكَّ الْبُحُورِ عَلَى الْوَلاَ

[1] - القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله بأدرار ولها نسخ أخرى في بعض الخزائن كأولف وكوسام والمطارفة وغيرها.

وختمها بقوله :

فَعُولٌ بِتَثْمِينِ حَوَى مُتَقَارِبٌ وَقُلْ خَبَبٌ لَنْ وَالنِّظَامُ قَدِ انْتَهَى

بِحَمْدِ إِلَهِ الْعَرْشِ فِي عَامِ وَيَقْشٍ وَلاَ حَوْلَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ قُوَى

- نظم[1] مقدمة ابن آجروم ألفها سنة (1120 هـ)[2] بدأها بقوله :

قَالَ ابْنَ أُبَّ وَاسمُهُ مُحَمَّدُ اللهَ فِي كُلِّ الأُمُورِ أَحْمَدُ

وختمها بقوله :

قَدْ تَمَّ مَا أُتِيحَ لِي أَنْ أُنْشِئَهُ فِي عَامِ عَشْرِينَ وَأَلْفٍ وَمِئَهْ

- أرجوزة[3] في علم العروض ألفها سنة 1126 هـ وسماها "روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل" بدأها بقوله :

قَالَ عَبِيدَ رَبِّهِ مُحْتَسِبَا مُحَمَّدُ الْمُزَّمِّرِي نَسَبَا

الْحَمْدُ لِلهِ الذِي قَدْ مَهَّدَا لَنَا عَرُوضَ دِينِهِ وَأَرْشَدَا

ثُمَّ عَلَى الْبَحْرِ السَّرِيعِ الْفِيْضِ لِلْمُبْتَغِي جَدْوَاهُ دُونَ غِيضِ

- نظم[1] باب السهو من مختصر الأخضري[2] في العبادات ألفه سنة 1128هـ وسماه العبقري وهو في مائة وتسعة وخمسين (159) بيتاً بدأها بقوله :

---

[1] - المقدمة الأجرومية وضعها أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم (ت.723هـ) ، وقد قام بنظمها الشيخ شرف الدين يحي العمريطي (ت.989 هـ).

[2] - المنظومة موجودة بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بأولف ، وقد قام كل من الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، والشيخ محمد بن بادي بشرحها ، والكتاب الأول مطبوع ، كما قام أبو القاسم بن عبد الرحمان البادرياني بإعادة طبعها مؤخراً في كتابه مجموع المكنون في ثلاثة فنون.

[3] - الأرجوزة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار .

الْحَمْدُ لِلهِ الْجَزِيلِ النَّعَمِ مُرْشِدِ مَنْ عَنْ سُبُلِ الْحَقِّ عَمِ

ثُمَّ صَلاَةُ اللهِ يَتْلُوهَا السَّلاَمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ سَيِّدِ الأَنَـامْ

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّنِي قَصَدْتُ إِنْجَازَ مَا كُنْتُ بِـهِ وَعَدْتُ

مِنْ نَظْمِ سَهْوِ الشَّيخِ الاَخْضَرِيِّ مُعْتَذِراً لِكُلِّ لَوْذَعِـيِّ

– نظم[3] مقدمة الأجرومية ألفه سنة 1144 هـ وسماه نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم وهي في مائة وأربعين (140) بيتاً بدأها بقوله :

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَنْعَمَا وَعَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَا

وَبِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَا عَلَى النَّبِـيِّ بِالْبَهَاءِ حُلِيَّا

سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرَ الْبَشَرْ وَءَالِهِ مَا لاَحَ فَجْرٌ وَانْتَشَرْ

وَبَعْدُ أَيُّهَا الْحَبِيبُ الصَّافِي الْمُتَلَقِّي الْحَقَّ بِالإِنْصَافِ

فَذَا كِتَابُ نَزْهَةِ الْحُلُومِ فِي نَظْمِ مَنْثُورِ ابْنِ آجَرُّومِ

– نظم[4] آخر على مقدمة ابن آجروم على البحر الطويل ألفه سنة 1157هـ وسماه كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم بدأها بقوله :

---

[1] - القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار ، وقد طبعتها أخيراً مكتبة المعارف بتيميمون . كما قام الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن باعومر التنلاني بشرحها وهو كتاب مطبوع أيضاً يحمل عنوان ، "المورد العنبري لمعاني العبقري".

[2] - هو عبد الرحمان الأخضري ، عاش في القرن العاشر الهجري ، له عدة مؤلفات منها: منظومة الجوهر المكنون في الثلاثة فنون، والمختصر في العبادات على مذهب الإمام مالك، نشر له في الجزائر سنة 1324هـ، وهو الذي نظم منه مُحمد بن أُبّ باب السهو في الصلاة.- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، عادل نويهض، ص90، ط1، 1981م.

[3] - القصيدة موجودة بخزانة باعبد الله أدرار ، وقد وضع عليها الشيخ باي بلعالم شرحاً "سماه الرحيق المختوم على نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم" وهو كتاب مطبوع.

[4] - المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار، وقد وضع عليه الشيخ باي شرحاً سماه "عون القيوم شرح على كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم" وهو كتاب تحت الطبع.

لَكَ الْحَمْدُ يَا الله يَا مَنْ تَفَضَّلاَ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِالْبَيَانِ وَأَجْمَلاَ

وَأَهْدِي صَلاَةً مَعَ كَرِيمِ تَحَيَّةٍ إِلَى مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ لِلْخَلْقِ مُرْسَلاَ

مُحَمَّدَ الْهَادِي الأَمِينِ وَءَالِهْ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ عَلَى الْوِلاَ

وَبَعْدُ فَذَا نَظْمٌ يَرُوقُ فَمَنْ يَذُقْ جَنَاهُ إِلَى الْكُتُبِ الْكِبَارِ تَوَصَّلاَ

أَتَى جَامِعاً لُبَّ الْمُقَدِّمَة التِي حَوَتْ لِابْنِ آجَرُّومِ نَثْراً مُفَصَّلاَ

- منظومة[1] في أسماء البحور جاء فيها:

بَدَا لِلطَّوِيلِ الطَّيِّبِ الذُّوقِ تَمْثِيلُ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ

وَالْمَدِيدِ الْعَزْبُ فِيهِ يَقُولُ الْقَائِلُ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلُنْ

وَزْنُ الْبَسِيطِ الذِي تَهْوَاهُ يَا فَاضِلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

وَوَافِرُهَا لَـهُ النَّعَمَاتُ قَابِلَـةٌ مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ

وَبِهَذِهِ اللَّفَظَاتِ يُوزَنُ كَامِلُ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

وَهَزَجُ الشِّعْرِ أَبْدَتْهُ أَقَاوِيلُ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ

اسْمَعْ لِرَجَزٍ وَزْنُـهُ لاَ يَشْكُـلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

رَمَلُهَا فِيهَا الأَغَانِي مُطْرِبَاتٌ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُنْ

بَحْرٌ سَرِيعٌ أَحْرُفٌ مَنْظُومَاتٌ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُفْعُولاَتُنْ

[1] - المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

ذُو الإِنْسِرَاحَ اسْتَحْلاَهُ مَنْ يَعْقُلُ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولاَتٌ مُسْتَفْعِلُنْ

خُذْ خَفِيفاً قَدْ قَالَ فِيهِ الثُّقَاةُ فَاعِلاَتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ

لِبَحْرِ مَهْمَى يُضَارِعُ تَفَاعِيلُ مَفَاعِيلُنْ فَاعِلاَتُنْ مَفَاعِيلُنْ

قُلْ ذُو اقْتِضَابٍ لِمَنْ قَدْ يَسْأَلُ مَفْعُولاَتٌ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

كَلِمَاتٌ مُجْتَثَّهَا مُسْتَعْذِبَاتٌ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُنْ

زِنِ الْمُتَقَارِبْ بِمَا قَدْ أَقُولُ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

- وله أيضا في إعراب التسبيح الذي يقال بعد صلاة التراويح يقول فيه[1]:

إِذَا كُنْتَ يَا ذَا اللُّبِّ فِي الْحَقِّ تَرْغَبُ وَفِي الْحَقِّ مَا يُصْغَى إِلَيْهِ وَيُطْرِبُ

فَقُلْ يَا قَرِيبٌ وَابْنِهِ فِي نِدَائِهِ عَلَى الضَّمِّ وَاقْتَفِي نَحْوَهُ فَهُوَ أَصْوَبُ

- وله أيضا منظومة في مفاتيح البحور يقول في مطلعها[2] :

وَبِهَذِهِ الأَجْزَاءِ تَمَّ الْكَامِلُ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

إِنَّ سَعْيِ فِي رِضَاكُمْ أَمَلُ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُنْ

وَفِي أَجْزَاءِ وَافِرِهِمْ تَقُولُ مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ

- أرجوزة[3] في التصريف سماها روضة النسرين في مسائل التمرين وشرح عليها يبدأها بقوله:

الْحَمْدُ للهِ الْخَبِيرِ الْمُلْهِمِ مَنْ شَاءَ لِلتّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ

---

[1] - المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار .

[2] - نفس المصدر.

[3] - الشيخ محمد بلعالم باي، الرحلة العلية، المرجع السابق، ص 100.

ويختمها بقوله:

وَنَوِّرَنْ قَلْبِي بِنُورِ الْعِلْمِ وَارْزُقْنِي الْفُوزَ بِحُسْنِ الْخَتْمِ

6-المراسلات الشعرية:

لقد خاض ابن أب في فن الترسل، فمن خلال الوقوف على مسيرة حياته نجده كان يراسل الشيخ سيدي أبي الأنوار بمراسلات شعرية بعض للاستفتاء وأخرى للرد على أسئلة، فمن هذه المراسلات الشعرية نجد مراسلته للشيخ المذكور آنفاً يسأله توضيحات بخصوص العادة التي فشت بين سكان منطقة أقبلي وهي القسم بكتاب يسمى " تنغ أبويا" ظهر بالمنطقة ومطلعها[1]:

الْحَمْدُ للهِ ذِي قَدَ اَلْهَمَا أُولِي النُّهَى شَأْنَ الْعُلَمَا

ثُمَّ صَلاَتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكُلُّ مَنْ بِهِ اهْتَدَى

ويشير إلى السؤال في قصيدته بقوله:

نَصُّ السُّؤَالِ أَنْ ذَا لِلْبَلَدَا عَادَةُ أَهْلِهَا كَوْنِهِمُ إِذَا أَرَادَا

أَحَدُهُمْ تَحْلِيفَ خَصْمٍ بَلِيَّا أَنْ يَجْلِبَ الْخَصْمَ إِلَى تَنْغْ بُويَا

طَوْعاً وَإِكْرَاهاً وَلاَ يُبَالِي وَإِنْ نَأَى مِنْهُ عَلَى أَمْيَالِ

وختمها بقوله:

وَجِيءَ بِهِ حَمَاكَ رَبِّي نَثْراً ثُمَّ عَلِيَّ أَنْ يَكُونَ شِعْراً

وَلَيْسَ قَصْدِي سِوَى إِنْ كَثُرَا إِنْشَادُهُ بَيْنَ الْوَرَى فَيُنْشَرَا

[1] - الشيخ محمد بلعالم باي، الرحلة العلية، المرجع السابق، ص98.

لاَ سِيَمَا إِذَا بِهِ اسْمُكَ ذُكِرْ لِأَنَّكَ الْيَوْمَ إِمَامٌ مُشْتَهَرْ

أَبْقَاكَ رَبِّي لِلأَنَامِ حَامِلاً لِوَاءَ حُكْمِ الشَّرْعِ حَبْراً عَالِماً

فهذا يدل على أنه كان كثيراً ما يراسل الشيخ سيدي أبي الأنوار ومراسلاته كانت شعراً، ومما رد به عليه الشيخ المذكور مطلعه[1]:

الْحَمْدُ للهِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى الذِي إِلَهُهُ اصْطَفَاهُ

وَبَعْدُ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْخَصْمَا يُمْنَعُ أَنْ يَجْلِبَ خَصْماً رَغْماً

إلى أخر القصيدة وهذا الفن كان موجوداً في المنطقة بكثرة والمكان لا يسمح لنا بذكر ذلك.

7- الألغاز:

أيضاً نجد ابن أب خاض في فن الألغاز الشعرية فمن ألغازه في النحو قوله[2]:

صَاحِ سَلِّمْ عَلَى النُّحَّاةِ وَسَلْهُمُ حَبَّذَا حَبَّذَا هُمْ إِنْ أَجَابُوا

مَا مُضَافٍ إِلَيْهِ أُعْرِبَ بِالرَّفْـ ـعِ صَرِيحاً وَذَا لَعُمْرِي عُجَابُ

وأجابه عليه ابنه سيدي ضيف الله بقوله:

جَوَابَ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ قَرِيبٌ فِي حِزْبِ الأَنْبِيَا هَدَاكَ اللهُ

بَعْدَ إِلاَّ وَلَفْظُهُ لَفْظُ رَفْـعٍ ذَا الْجَوَابُ وَالْعَجَبُ مِنْ مَبْدَاهُ[3]

---

[1] - الشيخ محمد بلعالم باي، الرحلة العلية، المرجع السابق، ص 98.

[2] - نفس المرجع، ص 102.

[3] - يقصد بهذا الكلام ما جاء في الآية 22 من سورة الأنبياء في قوله تعالى: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ **اللهُ** لَفَسَدَتَا))، فلفظ **اللهُ** في الآية ـ جاء بعد أداة استثناء بمعنى غير،وعليه يكون تقدير الآية كما يلي : لو كان في الوجود آلهة غير اللهِ لفسدت السماوات والأرض، ومعلوم عند النحاة إن الاسم بعد ـ غير يكون مجروراً بإضافته إليها، وهو ما يحدث مع اسم الجلالة في هذه الآية لكنه جاء مرفوعاً، وهو اللغز الذي يبتغيه الشيخ بن أَبَّ. ينظر ضيف الله بن أب، الرحلة، ورقة 17.

8- قصيدة ابن أب على البحر الجديد:

القصيدة التي نظم عليها بحر المضطرب وهي في مدح النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول فيها[1]:

صَلِّ يَا إِلَهِي ثُمَّ سَلِّمْ دَائِماً عَلَى خَيْرِ الأَنَـامْ

مَا دَعَاكَ أَوْ لَبَّاكَ مُحْرِمُ قَاصِداً إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامْ

أَحْمَدُ رَسُولُ اللهِ أَحْمَدُ سَيِّدُ الْوَرَى طَهَ الْمُمَجَّدْ

فَضْلُهُ مُبِينٌ لَيْسَ بُجْحَدُ إِذْ حَوَى الْمَعَالِي بِالتَّمَامْ

بِالنَّبِي لُذْ تُرْحَمْ وَتَسْلَمْ مِنْ جَمِيعِ مَا تَخْشَى وَتُكْرَمْ

وَانْظَمِ الْقَوَافِي فِيهِ وَاعْلَمْ أَنَّ مَدْحَهُ غَيْرَ النِّظَامْ

مِنْ مَدْحِ خَيْرِ الْخَلْقِ يَغْنَمْ جَائِزَاتِهِ يَوْمَ الزِّحَـامْ

ثُمَّ فِي الصِّبَا خُلُقاً وَخَلْقاً ثُمَّ لَمْ يَزِلْ يَسْمُو وَنَرْقَـى

فَاقَ وَعَلاَ حُسْناً وَغُنْماً حُسْنُ يُوسُفِ الْبَدْعِ الْهَامْ

قُلُوبَ الْخَلْقِ رِضَا وَاسْتَرَقَّهُ بِحَرْطِ الْغَمَامْ

ثَاقِبُ الثَّنَا عَلَي الْمَزَايَا جَامَعَ اللهُ اعْدَلَ الْقَضَايَا

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية، المرجع السابق، ص 119.

قَامِعُ الْعِدَا عَدْلُ الْقَضَايَا فَارِسَ الوَغَى ذَلِقَ الْحُسَامْ

وَاسِعَ اللَّهَا عَذْبَ السَّجَايَا عَاطِلَ اللَّهَا مَجْرَي اللَّمَامْ

جَلَّ مَنْ بِكُلِّ الْفَضْلِ خَصَّهُ فَأَقْضَى الْهَدْيَ دِيناً وَصَهْ

وَاسْتَبَانَهُ جَهْراً وَنَصُّهْ فِي كَلاَمِهِ خَيْرَ الْكَلاَمْ

فَاقْتَضَيَا شَائَهُ وَهَمَّهُ وَاصْطَمَاهُ أَيُّ اصْطِلاَمْ

حُضْنَاً عَلَى تَقْوَى الإِلَهِ حَظٌّ شَهْرِي غَيْرُ وَاهْ

زَاجِرٌ عَنَّا الْعِصْيَانَ نَاهِ بِالتِقَامِ ذَا الإِجْرَامِ رَامْ

كَمْ أَزَاحَ عَنَّا مِنْ دَوَاهْ مِنَّا لَكَا بِنَا سَبِيلَ السَّلاَمْ

خُذْ هَذْهِ ذَا حَزْمٍ وَعَزْمٍ تَلْقَ مِنْهُ إِذَا رَحِمَ وَحَلِمْ

ذَلِكَ الذِي أَسْرَى بِجِسْمِ طَاهِرٍ عَنِ الأَجْسَامِ سَامْ

كَمْ أَجْدَى حَيْثُ عَلِمْ مُقَنَّعٌ مِنْ الأَلْهَامِ هَامْ

دَعْ تَذَكُّرَ الأَطْلاَلِ وَاسْمَعْ ذِكْراً وَتُحْيِ الرَّاحَ أَرْوَعْ

إِنَّهَا لِذُو الْعَشَا وَأَصْوَغْ مِنْ ثَدْيٍ وَأَحْلَى مِنْ هُذَامْ

دُونَكَ رِيَّاضٍ مِنْهُ فَارْتَفِعْ وَارِعٍ غَيْرَ مَنْقُوضِ الزِّمَامْ

ذُو الْبَـهَا ذُو الْوَجْدِ الْجَمِيلِ ذُو السَّبِّ ذُو الطَّرَفِ الْكَحِيلْ

ذُو الْفَلَمِ ذُو الْخَدِّ الأَصِيلِ ذُو تَمَاسُكٍ سَبْطَ الْعِظَامْ

مَنْ كَأَحْمَدَ الْهَادِي الرَّسُولِ كَاشِفَ الْمُهِمَّاتِ الْعِظَامْ

رَاقَ مَنْظَرٍ بَلْ رَاقَ رَاصِفاً مُبْتَسَمَهُ حُبُّ الْغَمَامْ

حُسْنُهُ جَلِي لَيْسَ يَخْفَى يَا لَهُ وَوَاهَا مِنْ حَمَامْ

زَارَ حُسْنُ مَوْلاَنَا الْحَيَاءْ وَالْوَفَاءِ سُمْناً وَالسَّخَاءْ

وَالْحَيَا وَصْلُهُ يُسْتَضَاءُ بَانَ دَهَاؤُهُ وَقْتَ الظَّلاَمْ

مَنْ بِمَثْلِهِ تَأْتِي النِّسَاءِ مِنْ سَارَةِ سَادَةِ الْحَرَامْ

طَابِعْ لِمَوْلاَهُ مُنِيبٌ صَادِقُ هُدَى بِرٌ مُجِيبْ

بَاسِلٌ لَدَى الْهِجَا مُهِيبٌ يَنْقَى وَلْ الأَسْدِ الأَجَامْ

سَائِقٌ إِلَى الْعُلاَ نَجِيبٌ سَائِقٌ إِلَى دَارِ السَّلاَمْ

ظَلَّهُ مِنَ الأَسْوَاءِ يَقِيناً وَرَدَ حُوضَهُ الْمُرَوّى الأَتَـامْ

إِذْ دَعَا لَنَا حَتَّى سُقِينَا مِنْ دُعَائِهِ صَوْبَ الْغَمَامْ

كَانَ يَوْمَ زَلْزَلَ فَظِيع هَائِل نَحِيف لِلْجَمِيعْ

مَا دَعَا التِّهَامِي الشَّفِيع مَلْجَأُ الْوَرَى ذُو الإِحْرَامْ

نَحْنُ بِكَ فِي حَرْزٍ مَنِيعٍ يَا حَبِيبَنَا يَا ذَا الْمَقَامْ

لُذْ بِأَحْمَدَ غَهْوِمَرْجَا عِنْدَمَا تُرْجَ الأَرْحَيَاهْ

مِنْ أَيْ وَبِالتَّوْحِيدِ عَجَا وَهُوَ فِي نَعِيمٍ ذَا مَقَامْ

آوَيَاهُ فَاسْتَشْرَى وَلَجَا فَهُوَ فِي جَحِيمٍ ذَا غَرَامْ

مِنْ خَرُوفٍ أَعْمَى إِلَيْهِ قَدْ شَكَا فَأَشْفَى مُقْلَتَيــهْ

وَالبَعِيرُ ذُو ذُلٍّ لَـهُ لِلْهُدَى فَأَرْوَى الفِطَامْ

وَالزُّلاَلُ يَجْرِي مِنْ يَدَيْهِ .....

نَحْوَ أَحْمَدَ الأَشْجَارُ جَدَّتِ تَنْحَنِيهِ وَالتَّسْلِيمِ أَدَّتْ

عَشْرُ مَائِةِ فَاعْجَب تَغَذَّت كَلَّهَا بِصَاعٍ مِنْ طَعَامْ

هَلْ لِغَيْرِهِ هَذِي تَبَدَّت أَمْ بِدَالِهِ حَوَّمَ الْحَمَامْ

صَحَّ أَنَّهُ قَدْ كَلَّمَتْهُ ظَبْيَةُ الْفَلاَ أُمّاً وَأَتَاهْ

وَالْهَوَامُ فَاعْلَمْ طَاوَعَتْهُ فَانْثَنَتْ لَهُ وَالبَلُّ ظَامْ

سُمّاً أَخْبَرَتْهُ وَالذِّرَاعُ أَنَّهَا أَصَابَتْ مِنْ سِمَامْ

ضَاقَ إِذْ رَمَى طَرَفَ الْعُدَاتِ بِالْحَصَا بِهِمْ وَحَبْ الْفَلاَتْ

إِنَّهَا عَلَى رَغْمِ الشَّتَاتِ حِكْمَةَ عَزِيزٍ ذُو انْتِقَامْ

مِثْلُ شَا وَتَسْبِيحِ الْحَصَاةِ وَالدُّرُّ مِنْ شَاةٍ وَهَـامْ

عَذْبُهُ شَلَّ عِزّاً وَأَمْناً وَاصْطَفِيهِ يَا ذَا لِلْبَرَكَا

وَاجْهُدْهُ إِذَا مَا الْغِيمُ ضَنَا شَعْرَهُ بِيَدٍ وَالإِبْتِسَامْ

وَابْكِيهِ هَانَ الْجِذْعُ حَنَّا لِلنَّوَى حَنِينَ الْمُتَهَامْ

غَابَ نَحْوَ مَوْلاَنَا فَغَازَا ثُمَّ بِأَحَاظِ لاَ تُوَازَا

كَمْ وَكَمْ أَيَّدَ مِنْهُ حَازَا ثُمَّ عَابَ عُلاَ مَقَامْ

يَضْطَرِبُ وَيَهْتَزُّ اهْتِزَازْ لِلنَّدَى كَذَا فِعْلَ الْكِرَامْ

فَإِنَّ مِنْ بَدْرِ الْقَوْلِ أُتْقَنُ نَظْمُ مَدْحِ مَوْلاَنَا وَأَحْسَنْ

وَابْتَدَاهُ ذَا عُودٍ وَاعْلَمْ مُنْشِدَ إِلَيْهِ لِذَا سَامْ

فَاعْتَنِ بِهِ تَسْعَدْ وَدَعْ مَنْ فَدَاهِي بِلَيْلٍ أَوْ فِطَامْ

قَدْ قَسَمَ لِي وَرَبُّ الْعِبَادْ مَقُولاً لِيَنْفِذَا أَسْدَادْ

مُولِعاً عَلَى وَقْفِ الْفُؤَادِ بِامْتَدَاحِ طَهَ ذَا اهْتِمَامْ

فَهُوَ شَرَفِي فِي كُلِّ نَـادِي وَهُوَ مُتَحَرِّ وَهُوَ اغْتِنَامْ

سَاعَدَنِي السَّعْدُ الْجَمِيلُ فِيـهِ وَتَأْتِي لِي السَّبِيـلْ

يَبْدُو لاَزِماً أَتَى قَلِيـلُ عَلِيكَ يَا بَدْرَ التَّمَـامْ

يَا شَفِيعُ ذَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ فَلْتَكُنْ لَـهُ يَوْمَ الْمَلاَمِ شَـاقْ

كُلُّ مَنْ يُنْجِيهِ قِيلَ فَكَثُرَتْ بِتَشَكَّلِ تَشْمِيـلْ

زَادَ جَيِّدَهَا دُرٌّ جَمِيلٌ رِيـقٌ بَدِيعُ الاِنْتِظَارْ

هَاكِهَا وَقَدْ عَزَّ الْمَثِيلُ قَدْ تَنَزَّهَتْ عَنْ كُلِّ ذَامْ

هَا أَنَا رَهِينُ الْـوَجْدِ حَتَّى أُمْنَحَ وِزَارَ الْـوَتَاتِي

لَـيْتَكَ إِذْ لَمْ يَفْضَ..... مِنْكَ لِي بِطَبَقٍ مَنَامْ

عِـي أَقُولُ شُكْراً إِنْ فَعَلْت قَدْ بَلَغْتُ فِي الدُّنْيَا الْهُرَامْ

وَصْلُكَ لِذِي الأَشْجَارِ رَاحْ وَالْعَنَا بَيِّن وَانْـتَزَاحْ

صَحَّ لِي فِيكَ حُـبٌّ حَرَامٌ لِي بِحَبْلِهِ أَيّ اعْتِصَامْ

بَلْ يَمِينُ بِرٌ لاَ يُـرَاحُ إِنَّـكَ لاَ وَفِيّ بِالذِّمَامْ

لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ حَـقّاً أَشْهَدْ بِهَا عَقْداً وَنُطْقا

كَـيْ يَبْلُنِـي الرَّحْمَنُ غَدْقا مِنْ لَظَى غَدَاةَ الإِزْدِحَامْ

هَلْ مُوَحِّدٌ يَرْجُو الْخَلْقَ طُرّاً لاَ وَلَوْ تَرَاهُ ذَا احْتِرَامْ

يَا إِلَـهَنَا حَمْداً وَشُـكْراً إِذْ هَدَيْتَنَا سِرّاً وَجَهْراً

لِإِمْتِدَاحِ خَيْرِ الْخَلْقِ طُرّاً سَيِّدَ الْوَرَى النُّورِ التِّهَامْ

يَا مُحَمَّد لاَ زِلْـتَ تَفْرَا مِنْ إِلَـهِنَا أَزْكَى سَلاَمْ

الشاعر تطرق بداية القصيدة إلى صفات الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ثم أخذ بعدها في سرد معظم المعجزات التي حدثت للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، فهو نظم كل هذه الحوادث، ولم يكتفي بذلك بل نصح الشعراء بالنظم في هذا الفن وهو مدح خير الخلق، وفي آخر القصيدة انتقل إلى التوسل والتضرع إلى الله بجاه رسوله الكريم، وهذا جاء في قصيدة على وزن البحر الذي اكتشفه هو، والذي سماه "المضطرب".

– منزلة هذا البحر من البحور المستعملة والبحور المهملة:

إن هذه القصيدة المنظومة على بحر لم يألفه الشعر العربي القديم وتفعيلاته هي :

فاعلن فعولن فاعلاتن

وهذه التفعيلات بأسبابها الثقيلة والخفيفة وفواصلها وأوتادها فاعلن فعولن من التفاعيل الخماسية عند علماء العروض[1].

[1] - عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط 1987م، ص 18 وما بعدها.

فاعلن: مركبة من سبب خفيف وهو (فا) ووتد مجموع وهو (علن) وفعولن: مركبة من وتد مجموع وهو (فعو) وسبب خفيف وهو (لن)

فاعلاتن: من التفاعيل السباعية عند علماء العروض مركبة من سبب خفيف وهو (فا) ووتد مجموع وهو (علا) وسبب خفيف وهو (تن) فلم تخرج تفعيلاته عن البحور المستعملة والمهملة، وما يستدعي الانتباه أن هذا البحر المضطرب لم ينظم عليه أحد ما عدا صاحبه وهو بهذا يدخل في إطار البحور الشعرية المهملة.

الفصـــــل الـرابـــع
شـــعـــر ابن أب دراسة تحليلية

أ- الدراسة الصوتية لشعر ابن أُبَّ:

تعرف الدراسة الأسلوبية على أن هذا " العلم الذي يعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي تنتقل بالكلام من وسيلة إبلاغ عادي إلى أداة تأثير فني"[1]، والخصائص اللغوية تتضمن أيضا الصوت الذي يعد لبنة اللغة المشكلة للنص الأدبي، لذلك عني بها اللغويون " فاستعانوا بها على قضاء حاجاتهم، ذلك أن آراءهم الكثيرة في إصلاح المنطق وفي وضع العروض والنحو والصرف والمعاجم، وفي تدوين القراءات القرآنية قد بنوها على الدراسة الصوتية"[2] والدراسة الأسلوبية تهتم بالمستوى الصوتي في العمل الأدبي في وجهين:

الإيقاع الخارجي، والإيقاع الداخلي؛ لأن ما يحدثه الإيقاع من آثار على العمل الأدبي من أصوات وإيقاعات خارجية وداخلية، وتنغيم ونبر، لما تحدثه من أثر على المتلقي للنص الأدبي، فإذا سيطر النغم على السامع وجدنا له انفعالا (حزنا حينا أو بهجة وحماسة حينا آخر).

والدراسة الأسلوبية تبرز خصائص العمل الأدبي [3] من خلال التركيب الصوتي للكلمة، ولابد من مراعاة علاقات السببية القائمة بين اللفظ ومدلوله؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يتعامل مع الكلمات فحسب بل لا بد له من إدراك السببية التي تخلق الصلة بين 'الدال' و'المدلول' وهذه السببية هي التي تعطي العمل الأدبي ميلاده الحقيقي[4].

فالأسلوبية الصوتية تعالج التكوينات الصوتية وفق خصائصها المخرجية والتوزيعية والفيزيائية، ويندرج تحت هذه التعبيرية الصوتية عدد من الظواهر تبدأ من استغلال العلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى في ظاهرة المحاكاة الصوتية وتنتهي بدلالة المعنى الصوتي، الأمر الذي أشار إليه شارل بالي حينما قال بأن" ثمة علاقات طبيعية بين الفكر والبنى اللسانية المعبرة

---

[1] - ماهر مهدي هلال، رؤى بلاغية في النقد والأسلوبية، المكتب الجامعي الحديث، 2006، الإسكندرية، ص 135 . نقلا عن: عبد السلام المسدي، قراءات، ص130 .

[2] - محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت ص132.

[3] - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الانجلو مصرية، الطبعة الرابعة، 1972 ، ص14 .

[4] - محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص122 .

عنها، وهناك نوع من التعادل بين الشكل والمضمون وأن هناك استعدادا طبيعيا يقوم في الشكل للتعبير عن بعض فئات الفكر ... فهناك علاقة طبيعية بين الصوت والمعنى وفي عدد كبير من الكلمات ... بفضل استعداد هذه البنى لإنتاج حركة الانفعال ويمكن أن يقال الشيء نفسه ولكن على مستوى آخر، لأن التمييز ينشأ مباشرة من اشتقاق الكلمات وتأريخها[1] ويلعب الصوت دورا كبيرا في الكشف عن الانفعالات النفسية والطاقات الشعورية، لأن الصوت هو مظهر الانفعال النفسي وأن هذا الانفعال إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه، مدا أو غنة أو شدة وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير مناسبة لما في النفس[2] .

1- الموسيقى الخارجية:

إن الموسيقى أبرز سمة من سمات الشعر، وهي أول ما يلفت انتباه المتلقي للعمل الشعري، بفعل الجرس الموسيقي والإيقاع الذي يشد النفس صوبه، وتشمل الموسيقى الخارجية، أوزان القصائد، وكذا التفعيلات والقوافي.

- الوزن:

الوزن إطار هام من أطر موسيقى الشعر، وهو وحدة أساسية وجوهرية ضمن الجزئيات الهامة التي تشكل الوحدة الكلية للخطاب الشعري[3]، وأوزان الشعر العربي نوعان: مركبة تتردد فيها تفعيلتان، وأوزان صافية تتشكل من تكرار تفعيلة واحدة، وتتكون أشعار محمد ابن أب من ثمانية قصائد وثلاث أرجوزات وعشر متون تعليمية منظومة جاءت موزعة على البحور الصافية الآتية: الرجز والبسيط والطويل والكامل؛ حيث جاءت موزعة كالآتي:

الرجز: 15 قصيدة ونظم.

---

[1] - بيير جيرو، الأسلوبية، تر : منذر عياشي ، دار الحاسوب للطباعة ، الطبعة الثانية ، 1994 ، حلب ، ص56.

[2] - مصطفي صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تح : عبد الله المنشاوي ، مكتبة الإيمان ، 1961 ص184 .

[3] - الطاهر بومزبر، أصول الشعرية العربية ، نظرية حازم القرطاجني في تأصيل الخطاب الشعري، موفم للنشر، الجزائر،2007، ص110 .

الطويل:06 قصائد.

البسيط: 05 قصائد.

الكامل: قصيدتين.

المضطرب: قصيدة واحدة، وهو البحر الجديد الذي اكتشفه.

إضافة إلى ذلك فإن الشاعر ركب أمواج كل البحور الشعرية من خلال الأبيات التي نظمها لتسهيل حفظ تفعيلاتها.

والملاحظ أن معظم شعر الشاعر جاء على أوزان الرجز، وهذا راجع إلى أن معظم شعره تعليمي، والشعر التعليمي يناسبه الرجز أكثر من غيره من البحور كما أن المدح يناسبه البسيط.

- **الظواهر الإيقاعية:**

تتميز قصائد ابن أب بمجموعة من الظواهر الإيقاعية، تجلت في كافة قصائده وتمثلت في:

- **وحدة التفعيلة:**

اختار الشاعر لقصائده من البحور الصافية (الرجز، الطويل، البسيط، الكامل، والمضطرب).

فقد حافظ ابن أُبّ في شعره على وحدة التفعيلة في القصائد القصار مثل قصيدة فك مفاتيح البحور، وقصيدة إعراب التسبيح...، أما في القصائد الطوال فلم يحافظ على وحدة القافية وإنما لجأ في كثير من إلى وضع القافية المزدوجة في البيت الواحد، وهذا راجع إلى صعوبة حصر القصيدة التعليمية بقافية واحدة، كما هو معروف عند الشعراء، ونجد هذا عند الشاعر كما هو في نظم الأجرومية، ونظم سهو الأخضري...

- **التدوير:**

للتدوير معنيان، الأول متعلق بالقصيدة التقليدية، والثاني مرتبط بالشعر الحر، ويعني التدوير اصطلاحا " اتصال شطري البيت واندماجهما بحيث لا يمكن تقسيم البيت على شطرين إلا من

خلال تقسيم كلماته ليصبح بعضها في الشطر الأول وبعضها في الشطر الثاني[1]، ومثال ذلك قول البحتري:

وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَّهـــ ـرُ الْتِمَاسًا مِنْهُ لِتَعْسِي وَنَكْسِي

وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُو لاً هواهُ مَعَ الأَخَسِّ الأَخَسِّ

حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهمومُ فَوَجهـ ـتْ إِلَى أَبْيَضِ الْمَدَائِنِ عَنْسِي

فالملاحظ على هذه المجموعة من الأبيات انقسام الكلمة بين شطري البيت.

أما التدوير في الشعر الحديث فيكون بتدوير التفعيلة في سطرين متتاليين أو تدوير مقطع أو بعض المقاطع، أو تدوير كل مقاطع القصيدة، أي النص الشعري كاملا بوصفه حملة طويلة واحدة[2]، وقد لاقى التدوير منذ ظهوره في الشعر الحديث مواقف متباينة تراوحت بين التحفظ على الظاهرة، أو الترحيب بها[3]، ومن أهم المواقف المعالجة لظاهرة التدوير موقف 'نازك الملائكة'، التي عارضت التدوير بشدة، لكنها رأت من بعد موقفها الرافض أن التدوير قد أصبح بعد عام 1968 قاعدة تحتذى ونموذجا يتبع لدى أغلب الشعراء المحدثين[4].

ومن نماذج التدوير في شعر ابن أب ما يقوله في المقطع التالي من قصيدته " إعراب التسبيح" يقول:

كَذَلِكَ مَوْصُوفاً أَتَى قَبْلُ بِالْكَمَا لِ شِبْهَ مُضَافٍ دُونَ خَلَفٍ فَيُنْصَبُ

وأيضا في البيتين اللذين طرحهما في شكل لغز يقول:

صَاحِ سَلِّمْ عَلَى النُّحَّاةِ وَسَلْهُمْ حَبَّذَا حَبَّذَا هُمُ إِنْ أَجَابُوا

مَا مُضَافٍ إِلَيْهِ أُعْرِبَ بِالرَّفْـ ـعِ صَرِيحاً وَذَا لَعُمْرِي عُجَابُ

---

[1] - محمد مصطفي أبو شوارب ، إيقاع الشعر العربي تطوره وتجديده ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى ،2007 الإسكندرية ، ص129 .

[2] - محمد مصطفي أبو شوارب، إيقاع الشعر العربي تطوره وتجديده، ص129 .

[3] - إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 2008 ، الجزائر، ص227 .

[4] - إبراهيم رماني ، الغموض في الشعر العربي الحديث ، ص280 .

يظهر التدوير في البيت الشعري، حيث تتم التفعيلة مع نهاية الشطر الأول، وتأتي نهايتها مع حرف الفاء من كلمة الرفع لتقسم الكلمة بين شطري البيت، ليتم جزءها الآخر والمتمثل في حرف العين التي تأتي في بداية الشطر الثاني.

- **القافية:**

يقول 'قدامة بن جعفر': " الشعر كلام موزون مقفى يدل على معنى"[1]، فبعد الوزن تأتي القافية تالية بشكل مباشر له، وقد حفل العلماء قديما بالقافية، فتناولوها بالتعريف كلما عرضوا لدراسة عروض الشعر، وفي ذلك يقول 'ابن رشيق القيرواني': " القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر"[2]، وقد جعلها 'ابن سينا' عماد الشعر، وضرورة من ضروراته، في قوله: " لا يكاد يسمى عندنا بالشعر ما ليس بمقفى"[3]، وقد جعل 'الخليل' القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن ، والقافية على هذا المذهب وهو الصحيح تكون مرة بعض كلمة ومرة كلمة ومرة كلمتين[4]، وهي بذلك تكون تكرارا مشكلا للنغم الموسيقي، "فليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزء هاما من الموسيقى الشعرية . فهي بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن[5]، فالقافية من خلال ما سلف في الشعر العربي تلتزم موقعا ثابتا من حيث نوعها وحروفها وحركاتها، وتلعب دورا أساسيا في تركيبة الإيقاع .

وبالنظر إلى شعر بن أب، نجد مجموعة من الظواهر المميزة للقافية تتلخص فيما يلي:

1- عدم الانتظام في موقع القافية من حيث وجودها بعد عدد غير محدد من التفاعيل.

2- عدم الانتظام في حروفها ونوعها وشكلها ، إذ من الممكن أن تظهر في القصيدة

---

[1] - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص56 .

[2] - ابن رشيق القيرواني ، العمدة في نقد الشعر ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، 2003 ، لبنان ، ص132 .

[3] - ألفت كمال الروبي ، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، دار التنوير ، الطبعة الأولى ، 1983 ، لبنان ، ص 219.

[4] - إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، ص246 .

[5] - المرجع نفسه ، ص184 .

الواحدة أكثر من قافية، بحروف مختلفة، وأضرب مختلفة.

3- من الممكن ألا تظهر القافية أساسا في قصيدة تماما[1].

أما أنماط ظهور القافية في القصائد فهي:

أ- القافية المتلاحقة:

وذلك على نحو ما قال في قصيدة " وقائلة لي ":

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَذَلِكَ مِنْهُمْ تَجَاهُلٌ أَمْ جَهْلٌ بِقَدْرِكَ قَدْ بَدَا

فَقُلْتُ جَهِلْتِ الأَمرَ لَوْ جِئْتُ تَاجِراً أَسُوقُ حَمَّالَةً وَأُبْرِزُ عَسْجَداً

لَكُنْتُ لَدَى أَبْنَاءِ جَنْسِي وَغَيْرِهِمْ حَبِيباً إِلَيْهِمْ بَلْ أَمِيراً وَسَيِّداً

وأيضا نحو ما قال في قصيدة التوسل " الله ربي" يقول:

اللهُ رَبِّي لاَ إِلَهَ سِوَاهُ مَا خَابَ مُضْطَرٌّ دَعَا مَوْلاَهُ

دَعْوَايَا مَهْمَا بَرِحَتْ بِي كُرْبَةٌ اللهُ لِي حَيْثُ الْكُرُوبُ اللهُ

عَوَّدْتُ إِلْحَاحاً بِذَلِكَ لَهْجَتِي فَظَلَلْتُ مَا عَمَّرْتُ لاَ أَنْسَاهُ

وَإِلَيْهِ أَمْرِي فِي الْحَوَادِثِ كُلِّهَا فَوَّضْتُ جَزْماً أَنَّنِي أَكْفَاهُ

ب- القافية المتنوعة:

ويبرز ذلك في قصيدة " سلسلة الأنوار " يقول فيها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُجِيبِ السَّائِلِ إِذَا دَعَا بِأَعْظَمِ الْوَسَائِلِ

ثُمَّ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَعْهَا عَلَى الذِي حَوَى الْعُلاَ أَجْمَعَهَا

وَءَالِهِ وَصَحْبِهِ وَكُلُ مَنْ نَالَ الْهُدَى بِهَدْيِهِمْ طُولَ الزَّمَنِ

وَبَعْدُ فَارْفَعْ حَاجَةً لِلْبَارِي بِمَنْ حَوَتْ سِلْسِلَةَ الأَنْوَارِ

وأيضا في قصيدة " المدح النحوية " يقول فيها:

[1] - محمد مصطفي أبو شوارب ، ايقاع الشعر العربي تطوره وتجديده ، ص157 .

صَلاَةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ مُتَّصِلَهْ عَلَى الذِي اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصِّلَهْ

نَبِيِّنَا الذِي فَخَارُهُ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا

لِلَّهِ مَا أَجَلَّهَا مِنْ فَائِدَهْ فَاللهَ بَرٌّ وَالأَيَادِي شَاهِدَهْ

وَإِنْ تُحَاوِلْ فِيهِ نَظْمَ الْمَدْحِ فَمَا أُبِيحَ افْعَلْ وَدَعْ مَا لَمْ يَبِحْ

ج- القافية المتعاقبة أو المتوالية:

ومثال ذلك قوله في قصيدة " المدح " التي نظمها على بحر المضطرب الجديد:

وَاسِعَ اللَّهَا عَذْبَ السَّجَايَا عَاطِلَ اللَّهَا مُجْرِي اللَّمَامِ

جَلَّ مَنْ بِكُلِّ الْفَضْلِ خَصَّهْ فَأَفْضَى الْهُدَى دِيناً وَصَهْ

وَاسْتَبَانَهُ جَهْراً وَنَصَّهْ فِي كَلاَمِهِ خَيْرَ الْكَلاَمِ

فَاقْتَضَيَا شَائِهِ وَهَمَّهْ وَاصْطَمَاهُ أَيَّ اصْطِلاَمِ

حَضَّنَا عَلَى تَقْوَى الإِلَهْ حَظَّ شَهْرِي غَيْرُ وَاهِ

2- الموسيقى الداخلية:

الموسيقى الداخلية هي التي تنبعث من الحرف والكلمة والجملة[1]، فهي الموسيقى القائمة على النغم والجرس الموسيقي في النص الشعري، من الصوت كان، أو من الكلمة أو من الجملة.

تأتي الموسيقى الداخلية متفاعلة مع الموسيقى الخارجية، مكملة لها ومتحدة معها لإبراز جماليات النص الشعري، وأية دراسة لجماليات الوزن والعروض الشعريين تبقى ناقصة ما لم تتبين الحركة الإيقاعية الداخلية المؤثرة في نشاط الإيقاع الخارجي على نحو من الأنحاء، إذ أنها هي التي تمنحه ذوقه الخاص[2].

ولأنها موسيقى نفسية، فهي التي تكشف عن حالة الشاعر النفسية وانفعالاته المختلفة من خلال التعامل مع الصوت مجهورا كان أو مهموسا، شديدا أو رخوا...

[1] - يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، ص261 .

[2] - فاروق شوشة، لغتنا الجميلة ، دار العودة ، لبنان، مكتبة مدبولي ، مصر ، ص165 .

- **الجهر والهمس:**

يصنف اللغويون العرب الأصوات العربية إلى مجهور ومهموس، أما الصوت المجهور فهو اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازا منتظما يحدث صوتا موسيقيا[1]، فالجهر حدة وارتفاع في شدة الصوت، ما يثير التنبيه بقوة التأثير وبقرع الأذن بجهوريته، أما الصوت المهموس فهو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به[2]، فهو صوت هاديء، ناعم، يتسم بالليونة ما يبعث على التأمل.

فإذن الأصوات المجهورة تصلح للإنشاد، بينما الأصوات المهموسة يتم التعامل معها عن طريق القراءة و التأمل.

وفي شعر ابن أب حضور كثيف لملمح الجهر أكثر من الهمس، وهذا راجع لكون الشاعر نظم في مجال التعليم والمدح والفخر، وكلها أغراض تحتاج إلى الجهر دون الهمس، وفيما يلي نماذج لملامح الجهر والهمس ودلالاتهما في شعر المزمري نجد في قصيدة " المدح النحوية:

صَلاَةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ مُتَّصِلَهْ عَلَى الذِي اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصِّلَهْ

نَبِيِّنَا الذِي فَخَارُهُ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا[3]

فنرى بروز الأصوات المجهورة أكثر من المهموسة؛ إذ نجد في البيت الأول (ص،ل،ت،ر،ب،ي،ل،م،ت،ز،ل،م،ت،ص،ل،ع،ل،ذ،ي،ت،ق،ر،ن،ص،ل) وكلها أصوات مجهورة، أما الأصوات المهموسة فنجد فيه (س،ء،ه)، فنلاحظ غلبة الأصوات المجهورة على المهموسة، وهذا ينطبق على مجمل شعر الشاعر، لأن هذا ما يتطلبه غرضا المدح والتعليم، وكذا طبيعة الرسالة التي يحاول الشاعر توجيهها للطلاب، والمتمثلة في تسهيل الحفظ عليهم، فهي تبعث على القوة والتأثير، فاقتضى الحال أصواتا مجهورة، قوية ذات حدة وقدرة على التبليغ.

- **أصوات الشدة واللين:**

[1] - جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل ، دار التراث، الطبعة الخامسة، القاهرة، ص261 .
[2] - أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة، 1961 ، القاهرة ،ص20 .
[3]- نسخة مخطوط بمكتبة كوسام

تعرف أصوات الشدة بالأصوات الانفجارية، وبالأصوات الوقفية، والصوت الشديد هو الذي يحدث في أثناء النطق به اعتراض قوي يحبس الهواء[1]، ما يمنح الصوت قوة واضحة، فيرتبط ارتباطا وثيقا بالحالات الانفعالية للشاعر، يتفاعل مع آثارها المتلقي باعتبار أن الانفجار لا تدرك حقيقته ولا يستبين أثره إلا بالسماع[2]، ومن نماذج الوقفات الانفجارية في شعر ابن أب ودلالتها النفسية في قصيدة " وقائلة لي " يقول الشاعر:

وَقَائِلَـةٌ لِي يَا ابْنَ أُبَّ مُحَمَّـدَا أَرَى النَّاسَ طُرّاً هَاهُنَا فِيكَ زُهْداً

فَـلاَ مَذْهَبٌ مِـنْ أُنْسِهِ لَكَ وَحْشَـةً وَلاَ سَامِعاً مَنْ ذَا يَقُولُ مَنْ الْهُدَا[3]

إن استهلال القصيدة بالقاف ولد موسيقى قوية وعنيفة، تذكي الجرأة في رفع الصوت ليسمع القاريء، تلاه تكرار للباء في كل سطر من أسطر القصيدة، (بن، أب، مذهبا، ذهبت، بقدرك، أبرز، أبناء، بكرة، بدت، فاخطب، أبي، غبي)، والهمزة بحضورها القوي وبكونها صوتا انفجاريا، تظهر انفعال الشاعر وتبين مدى شعوره بالأسف والحسرة الناجمين عن احتقار العالم في أرض أروان، وهذا راجع كما يبين الشاعر لاهتمام الناس بالمال والمادة في هذه البلاد، أكثر من اهتمامهم بالعلم، ويكشف عن حقيقة مؤلمة، أن العلم صاحبه لا مكان له في تلك البلاد، فتنفجر هذه الانفعالات الكامنة لدى الشاعر بحس رافض لهذا الواقع.

ويواصل الشاعر في نبذ ذلك بقوله:

فَقُلْتُ جَهِلْـتِ الأَمرَ لَوْ جِئْتُ تَاجِراً أَسُوقُ حَمَالَـةً وَأُبْرِزُ عَسْجَداً

فجاءت الأصوات الانفجارية منسجمة مع المعاني المعبرة عن الغضب والتأسف لحال أهل هذه البلدة.

- **النبر والتنغيم:**

[1] - محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء ، 1998 م ، القاهرة ، ص54 .
[2] - كمال بشر ، علم الأصوات ، دار غريب للطباعة والنشر ، 2000 ، القاهرة ، ص81 .
[3] - أحمد ابالصافي جعفري، ابن أب حياته وآثاره ،ص 62.

من الظواهر الصوتية المفردة والمرتبطة ببنية اللغة ، ظاهرتا النبر والتنغيم، والنبر نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد[1]، وهذا الملمح يخلق تأثيرا صوتيا ذو فاعلية كبيرة في تحقيق جماليات صوتية عبر التحول في نبرة الصوت التي قد تحدث بدورها تحولا في المعنى .

والنبر مقترن بالمقطع وملازم له، فهو وضوح نسبي لمقطع من مقاطع الكلمة يفوق وضوح المقاطع الأخرى المجاورة له[2]، وهذا المبحث وليد البحث اللغوي الحديث لأن البحث الصوتي في التراث العربي يركز على بحث الأصوات المفردة وتغيراتها[3]، أما البحث الحديث فيرتبط النبر في العربية بآثار أخرى كاللحن الموسيقي المترتب عن تعاقب المقاطع وطبيعتها.

وقد وضع الدارسون لنطق العربية الفصحى عدة قواعد للنبر منها:

إذا توالت عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول منها منبورا، ففي كلمة كتب نجد ثلاثة مقاطع من النوع الأول، أولها منبور.

إذا تضمنت الكلمة مقطعا طويلا واحدا يكون النبر على هذا المقطع الطويل، فنجد هذا في كلمة كتاب، حيث النبر على المقطع الثاني.

إذا تكونت الكلمة من مقطعين طويلين يكون النبر على أولهما، ففي كلمة كاتب نجد مقطعين طويلين مفتوح والثاني مغلق، والنبر على المقطع الأول[4]

وقد تلحق النبر لواحق صوتية تغير من مواقفه، مشكلة نبرا ثانويا إيقاعا مريحا، كما يؤثر النبر حسب تقاربه أو تباعده على النغمة والإيقاع الموسيقيين، فكلما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها[5].

ومن نماذج النبر في شعر ابن أب ما يقوله:

لَكِنْ مَنْ ذِي حَالُهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِبُكَا الْبَوَاكِي وَلاَ نُوحُ النَّوَا

---

[1] - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ص169 .
[2] - تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ،دار الحوار ، 1983 ، اللاذقية ، ص38 .
[3] - محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العام ، ص80 .
[4] - محمود فهمي حجازي ، المرجع السابق، ص81 .
[5] - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ، ص270 .

فتلاحق الأصوات (ل،ك،ن) في كلمة لكن في بداية البيت، شكل نبرا في الكلمة وأقامت إيقاعا ملفتا، فلو نظرنا إلى الكلمة وقارناها بكلمة أخرى لاتضح أثرها، فهذه الكلمة جاءت لتأكيد عدم انتفاع الميت ببكاء أحبائه وأهله، وهي ذات العلاقة التي تربطها مع صيغة النفي (لم ينتفع) وكذلك في قوله:

يَا وَيْحَ مُبْتَاعَ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَلَسَوْ فَ يَنْدَمُ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَا – صِي[1]

كذلك فإن الفعل (ويح) قد لحقه حرف نداء(يا) ، فهي من جانب الترهيب، وتسير مسارها الزيادة في (فلسوف) .

يظهر أثر اللواحق الصوتية في البيت الشعري في(سوف) حيث أدى إلى تشكل نبر خلق ارتفاعا في النغمة.

والتنغيم من الحقائق الصوتية في اللغات المختلفة، و"التنغيم مرتبط بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتيين مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السمعي.

ومن هنا نجد كلمات كثيرة تتعدد طرق التنغيم بها لتؤدي وظائف دلالية مختلفة، فإذا كانت 'نعم' للإجابة اختلف تنغيمها عنها للاستفسار[2].

والتنغيم لا يقتصر على الكلمة الواحدة، بل يتجاوز إلى التركيب، فالتحية (سلام عليكم) لها تنغيم يختلف عن التنغيم في حالة الغضب[3]، وتوجه ظاهرة التنغيم في التركيب الواحد إلى معاني متعددة، فالظاهرة عنصر من عناصر التحويل، ويرتبط ارتباطا أساسيا بالتغيرات التي تطرأ على تردد نغمة الأساس أثناء الكلام[4]، وتكشف الدراسة الأسلوبية عن جماليات وتأثيرات التنغيم في النصوص فهو ينقل المعنى في التراكيب من أسلوب إلى أسلوب آخر، ومن نماذجه عند ابن أب:

يَا عُمْدَتِي يَا عُدَّتِي فِي شِدَّتِي يَا مُحْسِناً عَمَّ الأَنَامَ رُحْمَاهُ

---

[1] - نسخة مخطوط بمكتبة كوسام

[2] - تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص241 .

[3] - عبد الله بوخلخال، التعبير الزمني عند النحاة العرب، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص43 .

[4] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص242 .

تبدأ النبرة عالية لتناسب النداء، نداء العبد لربه، والضعيف للقوي، نداء العبد في الأرض لإلاهه، وتزداد النغمة صعودا لتلائم صيحة المستغيث ونجوته:

أَلْطُفْ بِعَبْدٍ قَدْ دَعَاكَ تَضَرُّعاً وَارْحَمْهُ فِي هَاذِي وَأُخْرَاهُ

ثم تعود النبرة إلى الاستقرار بعد أن كانت متصاعدة في النداء، في مسار أفقي في قوله:

لَكَ ضَارِعاً وَجَّهْتُ وَجْهِيَ سَائِلاً مِنْكَ الرِّضَى يَا رَبِّ فَارْزُقْنَاهُ

وصولا إلى قوله:

كُنْ ذَا الْجَلاَلِ مُصَلِّياً أَبَداً عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى ذَوِي قُرْبَاهُ

مَا لاَحَ بِرُّ الْيُسْرِ فِي لَيْلِ الأَسَى فَأَزَاحَ عَنْ ذِي غُمَّةٍ غَمَّاهُ

هذا الاستقرار في النبرة يلائم نغمة الإلحاح في الدعاء التي تطغى على الأبيات الشعرية، التي تعتصر حرقة وتقطر شغفا لتصل إلى الاستغاثة والتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم.

ب- الدراسة التركيبية والنحوية في شعر ابن أب:

1- الخبر والإنشاء:

مهما تعددت ضروب الكلام التي يعبر بها الناس عما يدور في خاطرهم من أفكار، وما يختلج في صدورهم من مشاعر وأحاسيس، فإنها لا تتجاوز أسلوبي الخبر والإنشاء، يقول 'السكاكي' : "وكلام العرب نوعان : الخبر و الطلب " [1].

- **الخبر:**

الخبر كلام يحتمل الصدق أو الكذب، فان وافق الحال كان صادقا، وان خالفه كان كاذبا، وعرف الرماني الكذب بأنه " الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به وعرف الصدق بأنه: " خبر مخبره على ما هو به " [2].

[1] - السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الرسالة ، الطبعة الأولى ، 1400 هـ ، 1981 م، بغداد ، ص72 .

[2] - الرماني، الحدود في النحو، تح : مصطفي جواد ويوسف يعقوب مسكوني، سلسلة كتب التراث، دار، الجمهورية، 1969 م، بغداد، ص41 .

وظيفة الخبر وظيفة معنوية، إذ يؤتى به لإيضاح غايات المتكلم وإفادة السامع، يقول 'القزويني': من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم كقولك زيد قائم لمن لا يعلم أنه قائم، ويسمى هذا فائدة الخبر، وإما كون المخبر عالما بالحكم كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك، زيد عندك، ويسمى هذا لازم الفائدة[1] .

وقد فرق النحاة أضرب الخبر بحسب حال المخاطب إلى أقسام ثلاثة هي الخبر الابتدائي، والخبر الطلبي، والخبر الإنكاري، ويكون الخبر ابتدائيا إذا كان المخاطب خالي الذهن فيخبر بجملة يستغنى فيها عن المؤكدات، تناسب هذه الحال، أما القسم الثاني وهو

الخبر الطلبي فهو ما يوجه إلى مخاطب متحير، شاك في صدق الخبر، فيخبر بضرب من الخبر يقطع حيرته ويزيل شكوكه، ويؤكد هذا الضرب من الخبر بـ"اللام "أو" إن"، أما إذا كان المخاطب منكرا فيحتاج إلى تأكيد حسب درجة الإنكار.

فيؤكد الخبر بأداة تأكيد منكرا فيحتاج إلى تأكيد حسب درجة الإنكار، فيؤكد الخبر بأداة تأكيد ويقسم، وهذا القسم هو الخبر الإنكاري لأنه يرد لدحض الإنكار.

ومعاني الخبر تتعدد بتعدد النصوص ومقتضى الحال، غير أن أكثر ما يكتنف الخبر منها :الإثبات والنفي، التأكيد والقصر.

- **الإثبات والنفي:**

لا يعدو الكلام أن يكون مثبتا أو منفيا، والنفي واسع الورود في الكلام، وهو أحد الأساليب اللغوية التي تؤدي وظيفة إبطال حكم ما تحمله عبارة المتكلم، فهو ضد الإثبات، وله أدواته التي تنقل الجمل من حالة الإثبات إلى حالة النفي، وأهمها : لا، لن، لم، لما، ما، ليس، لات، وكلما أتقن المبدع اختيار أداة دون أخرى كان التأثير الأسلوبي أبلغ.

[1] - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ،مكتبة الهلال ، الطبعة الثانية ، 1991 ، بيروت ، لبنان ، ص42 .

وتكشف أساليب النفي في شعر ابن أب عن معاني تبرز محاور القصائد، ومن نماذجه تكرار وتنوع حروف النفي، ما يضفي مسحة جمالية خاصة، إذ يقول الشاعر في قصيدة " المدح النحوية ":

فَلاَ أَرَى بُؤْساً وَلاَ أَرَى ضَرَرْ وَلاَ أَرَى مَنْعاً إِذَا الْقَصْدُ ظَهَرْ

استهل الشاعر النفي بـ "لا" التي تجعل دلالة الفعل المضارع تنحرف إلى الزمن الماضي، وهي تنفي الحدث، تنفي البأس، وهو نفي شامل لكل أشكاله.

ثم يليه تكرار فني لحرف النفي " ولا " وهي فضلا عن حرف المد فيها ذات ملمح صوتي يمتاز باللين، والشاعر يواصل وصفه لعدم وجود الضرر والمنع والبأس، فالمقام يستدعي صوتا طويلا لينا ليناسب السياق.

- **الإنشاء:**

لم يحظ الإنشاء لدى النحاة بفرد أبواب خاصة له، ولكنهم عنوا بالمعاني المنبثقة عنه، فهم ذكروا الخبر وفرقوا بينه وبين ما هو غير خبر، وقد أطلق عليه 'السكاكي' اسم الطلب وعرفه بقوله: "انه يستدعي مطلوبا لا محالة، ويستدعي فيما هو مطلوبه أن يكون حاصلا وقت الطلب"[1]، وتختلف دلالة الإنشاء عن دلالة الخبر أي أن الأخير كما سلف الذكر يحتمل الصدق أو الكذب، أما الإنشاء فيقصد بدلالته إنشاء المعنى الذي يحرك مخيلة المتلقي، وينير فكره أو ليشبع مشاعره الذاتية دون النظر إلى عنصر المطابقة مع الواقع الخارجي أو عدمها[2]، ويضم الإنشاء معاني كثيرة منها الاستفهام، الأمر والنهي، العرض والتحضيض، التمني ... ، وقد قسم البلاغيون والنحاة المتأخرون الإنشاء إلى قسمين أساسيين هما: الإنشاء الطلبي والإنشاء غير الطلبي، ورأوا أن القسم الثاني لا تعنى به البلاغة، لذا قصروا دراساتهم على الإنشاء الطلبي، وفصلوا القول في أقسامه وما يخرج إليه كل قسم منها من معان[3] ومن أهم تلك المعاني:

---

[1] - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص302 .

[2] - عبد الفتاح عثمان ، دراسات في علم المعاني والبديع ، مكتبة الشباب ، المنيرة، 1983 ، ص103 .

[3] - كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر، الطبعة الأولى، **2006 م، عمان، ص390.**

- **الأمر والنهي:**

الأمر والنهي من أساليب الإنشاء الطلبي، لأن كلاهما يتضمن معنى الطلب فالطلب هو الأمر والنهي[1]، أما الأمر فهو استدعاء الأعلى بالقول ممن هو دونه[2]، والمراد به عند البلاغيين طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء و الإلزام[3]، وله أربع صيغ هي:

- فعل الأمر ومثال ذلك قوله تعالى: ((وَأَقِيمُوا الصَّلواةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))[4].
- والمضارع المقرون بلام الأمر : كقوله تعالى ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمُ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[5]
- واسم فعل الأمر نحو قوله تعالى: ((يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمُ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمُ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))[6]
- والمصدر الدال على الأمر نحو قوله تعالى: ((وَقَضَى رَبُّكَ ألا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...))[7].

ويكون الأمر حقيقيا كما في هذه الدلالات الأربع إذا كان المأمور أدنى مرتبة من الآمر، يقول ابن السراج بهذا الصدد: "والأمر لم دونك "[8] .

وقد يقتضي السياق خروج الأمر عن معناه الحقيقي، إلى دلالات مجازية متعددة كالتهديد، والدعاء، والالتماس، والتعجيز، والسخرية...

---

[1] - المرجع نفسه، ص390 .

[2] - أبو الوفاء ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1999، بيروت، لبنان، ص103 .

[3] - أحمد مطلوب، البلاغة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الطبعة الأولى، 1980 ،العراق، ص89 .

[4] - سورة النور، الآية 55 .

[5] - سورة آل عمران، من الآية 103.

[6] - سورة المائدة، الآية 104.

[7] - سورة الإسراء، الآية 23 .

[8] - ابن السراج ،الأصول في النحو، تح : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، 1985 م، بيروت، ص170 .

أما النهي فهو عكس أسلوب الأمر، فالمقصود به هو طلب الكف عن حدوث فعل معين على وجه الاستعلاء وذلك للامتناع[1]، نحو قوله تعالى : ((فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا))[2]، وقد عد 'سيبويه' النهي نفيا للأمر إذ قال: "وتقول كل لحما أو خبزا أو تمرا كأنك قلت كل أحد هذه الأشياء، فهذا بمنزلة الذي قبله وإن نفيت هذا قلت : لا تأكل شيئا من هذه الأشياء"[3].

والنهي هو الآخر يكون حقيقيا إذا كان طلب الكف على وجه الاستعلاء والإلزام، وقد يخرج شأنه في ذلك شأن الأمر عن معناه الحقيقي إلى دلالات بلاغية ومجازية تستنبط من الجو النفسي الذي سيق فيه، ومن السياق والقرائن التي تحيط به ومنها : التحدي، والتحسر، التهديد والوعيد، التوبيخ، الالتماس، الدعاء، النصح والإرشاد، الحث...[4]

ولأن ابن أب في شعره يسعى إلى تلقين الطلاب، وتسهيل حفظ العلوم عليهم وخاصة العلوم العربية، جاءت أساليب الأمر والنهي في قصائده متقاربة الدلالات تقاربها في السياق، توضحها النماذج التالية:

يقول الشاعر في قصيدة " إعراب التسبيح ":

وَلاَ تَسْتَبِحْ تَنْوِينَهُ يَا أَخَا الْحِجَا فَتَضْحَى إِذاً مِمَّنْ إِلَى الْحَقِّ يُنْسَبُ

في أسلوب تراوح بين الأمر والنهي، الشاعر يحث على إثبات بناء المنادى على الرفع، وفي نفس الوقت ينهي عن التنوين.

وفي أرجوزة التصريف يقول:

---

[1] - بسيوني فيود، علم المعاني،ص 299، نقلا عن: أشواق محمد إسماعيل النجار، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته، دار دجلة، 2007 ، عمان، الأردن، ص301 .

[2] - سورة الإسراء، الآية 22.

[3] - سيبويه، الكتاب، الجزء الثالث، ص184 .

[4] - نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية،1984، الجزائر، ص 399.

فَاصْلِحَنْ يَا ذَا الْحِجَا مَا مِنْ خَطَا أَلْفَيْتُهُ وَلاَ تَدَعْهُ سُخْطاً

وَانْصَحْ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْحُسَّادِ فَإِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ

فهو يأمر في بداية البيت الأول أن من يجد خطأ في هذا النظم عليه أن يصلحه، وفي الشطر الثاني من البيت نهي عن التقاعس عن إصلاحه.

أما في البيت الثاني فهو يقارن بين الأمر والنهي؛ حيث يأمر بالنصح ويتبعه النهي عن الحسد والمقترن بالترهيب من العقاب.

- **الاستفهام:**

أو يدعى الاستخبار نوع تركيبي يندرج ضمن الجمل الإنشائية الطلبية، وهو استعلام عما لم يكن معلوما سلفا، وهو استخبار وطلب من المخاطب أن يخبر أو يفهم عن شيء لم يكن معلوما بأداة خاصة[1].

ويرى 'السكاكي' بأن الاستفهام يكون لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون حكما على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق، ويمتنع تمايزه عن تصور الطرفين، والثاني هو التصور، ولا يمتنع تمايزه عن التصديق، ثم المحكوم به، إما أن يكون نفس الثبوت أو الانتفاء[2].

ويكون الاستفهام بإحدى أدوات الاستفهام وهي الهمزة، هل، أم، كيف،أي، كم، أين، متى، أيان، وكل أداة تخلق دلالة يقتضيها السياق.

ويخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى، فيضفي أبعادا جمالية تكسر النمطية وتحقق أغراضا بلاغية، غير طلب الإفهام أو الإخبار، ومنها التعجب، النفي، التهديد، الإنكار، التوبيخ ،...

[1] - خلف الله محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الانجلو مصرية، الطبعة الثالثة،1965 القاهرة، ص304.
[2] - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص303 .

والمعاني التي يخرج الاستفهام إليها كثيرة لا يمكن استقصاؤها لأنها تتعين في ضوء القرائن وسياق الكلام، وكان النحاة يجتهدون في تعيين هذه المعاني ولكنهم كانوا يستوثقون من ذلك بما يشيرون إليه من قرائن، مدركين أن الذوق والفهم هما أساس تسمية هذه المعاني[1].

ومن المعاني التي خرج إليها الاستفهام في شعر ابن أب:

1-التكثير:

ويكون هذا المعنى في الاستفهام بـ" كم " التي تكون للعدد، ومتى أريد بها الكثرة جاءت خبرية، ونماذجه في شعره كثيرة منها ما جاء في قصيدة " المدح النحوية ":

وَكَمْ رَوَيْنَا أَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَا عَنْ الذِي خَبَرُهُ قَدَ اضْمَرَا

الاستفهام يخرج هنا عن معنى الاستخبار إلى التعبير عن الكثرة، كثرة ما روي، لأن ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يعد ولا يحصى.

2- الإنكـار:

وهو من ضمن المعاني التي يخرج بها الاستفهام عن معناه الحقيقي، ويكون للدلالة على أن المستفهم عنه أمر منكر عرفا وشرعا[1].

يقول الشاعر في قصيدة " المدح " على بحر المضطرب:

هَلْ مُوَحِّدٌ يَرْجُوهُ يَشْقَى لاَ وَلَوْ تَرَاءَى ذَا اجْتِرَامْ

الشاعر يستنكر الشقاء لموحد الله سبحانه وتعالى، وكل هذا نابع من إيمان الشاعر.

3- التعجـب:

يكون في مقام ما يتعجب فيه المتكلم من مضمون الكلام[2]، ولأن الشاعر كان مذهبه في الشعر هو التعليم، وهذا الفن بعيد عن الخيال والتصوير، هذا ما جعل الشاعر لا يقع في موقف يتعجب فيه من شيء، فلم نقف على جماة تعجبية في الأشعار التي عثرنا عليها للشاعر.

[1] - كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص405 .

- **النداء:**

هو احد الأساليب الإنشائية الطلبية، وهو طلب الإقبال من المدعو، لذلك عرفه البلاغيون بـ "طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة "[3] وللنداء أدوات تستعمل لنداء القريب كالهمزة، وأي، وأدوات تستعمل لنداء البعيد وهي: يا، أيا، هيا، أو، وقد يخرج النداء عن دلالته الحقيقية فينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة، وأي، وذلك لقربه من القلب وحضوره في الذهن كقول المتنبي للوالي وهو رهن الاعتقال:

أَمَا لِكَ رِقِّي وَمِنْ شَأْنِهِ هِبَاتُ الْلُّجَيْنِ وَعِتْقُ الْعَبِيدِ

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ

فالمتنبي استخدم أداة النداء الهمزة التي تستعمل للقريب لنداء البعيد إشارة إلى أن المنادى على الرغم من بعده في المكان إلا أنه قريب إلى القلب حاضر في الذهن، كأنهما في موضع واحد.

وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي إشارة إلى علو مرتبته أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشرود ذهنه ، كقوله تعالى على لسان 'لقمان' عليه السلام: ((يَا بُنَيِّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ...))[4]؛ لأن لقمان يريد أن ينبه ابنه إلى مكانة الصلاة، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر عند النازلات، وهي الأمور المنادى لأجلها فهي أمور ذات شأن ينبغي أن يلتفت إليها المخاطب ليدرك أهميتها، فيبادر إلى الإجابة والامتثال، ومن أجل ذلك عدل عن نداء القريب إلى نداء البعيد[5]، وقد يخرج النداء عن

---

[1] - حفيظة أرسلان شابسوغ، الجملة الخبرية والجملة الطلبية تركيبا ودلالة، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى 2004م، اربد، ص 215.

[2] - حفيظة أرسلان شابسوغ ، الجملة الخبرية والجملة الطلبية تركيبا ودلالة، ص215 .

[3] - كريم حسين ناصح الخالدي ، نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، ص406 .

[4] - سورة لقمان، الآية 16.

[5] - كريم حسين ناصح الخالدي ، نظرية المعنى في الدراسات النحوية ،ص305 .

معناه الأصلي إلى معاني أخرى يقتضيها السياق الكلامي، كالزجر والترغيب والإغراء والاستغاثة والترهيب ...[1]

ومن أساليب النداء ونماذج المعاني التي يخرج إليها في شعره يقول ابن أب :

يَا إِلَـهَنَا حَمْداً وَشُـكْراً إِذْ هَدَيْتَنَا سِرّاً وَجَهْراً

إن الشاعر هنا ينادي مخاطبه ليس بغرض لفت الانتباه أو الإقبال عليه، لكنه استعمل أداة النداء "يا" بغرض الحمد، والتعبير عن الشكر، كما يريد القول: يا ربي أشكرك وأحمدك على هدايتي إلى صراطك المستقيم .

- **التفجع والندبة:**

تخرج ألفاظ النداء لمعنى التفجع أو الندبة وعنها قال 'المبرد': " والوجه الآخر أن تجري مجرى النداء البتة، وعلامته 'يا' و 'وا' ولا يجوز أن تحذف منها العلامة لأن الندبة لإظهار التفجع ومد الصوت، واعلم أنك لا تندب نكرة ولا مبهما ولا نعتا، لا تقول: يا هذاه، أو يا رجلاه، إذا جعلت رجلا نكرة، أو يا زيد الظريفاه، لأن الندبة عذر للتفجع وبها يخبر المتكلم أنه قد ناله أمر عظيم ووقع في خطب جسيم"[2]، ومن ذلك قول الشاعر:

يَا عُمْدَتِي يَا عُدَّتِي فِي شِدَّتِي يَا مُحْسِناً عَمَّ الأَنَامَ رُحْمَاهُ

الشاعر لا يدعو إلى الإقبال، أو لفت الانتباه، ولا طلب الاستماع، فالمنادى إله يسمع ويرى حال عبده، لكن الشاعر ناداه بغرض طلب الرحمة والاستغفار .

- **الزجر المتضمن النصح والإرشاد:**

صَاحِ سَلِّمْ عَلَى النُّحَاةِ وَسَلْهُمُ حَبَّذَا حَبَّذَا هُمْ إِنْ أَجَابُوا

[1] - سيبويه، الكتاب، الجزء الثاني، ص239- الزجاجي، اللامات، ص 73، نقلا عن : كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص411 .

[2] - كريم حسين ناصح الخالدي ، المرجع السابق، ص411 .

استهل الشاعر خطابه بنداء القاريء وأهل العلم، دونما أداة نداء اختصارا لان المنادى معلوم مشهور، وقريب معنويا، ثم اتبع الشاعر نداءه بأمر قائلا " سلم " أي أبلغ السلام للنحاة، وقد استخدم هذا الأسلوب للفت انتباه النحاة والمتعلمين وتجريب ذكاءهم .

ويتكرر هذا النداء أيضا في قوله:

صَاحِ فِي مُتَوَفِّرٍ رَغِبَتْ رُوَاتُكُمَا فَاعِلاَتُكَ فَاعِلاَتُكَ فَاعِلاَتُكَا

يتكرر أسلوب النداء الذي به تنبيه وإعلام بوزن هذا البحر، هكذا تتتابع النداءات مؤكدة لذات الغرض وذات الإفادة، متضمنة في كل مرة نصيحة تبين أمر أو شيء جديد في العلم.

ت- التناص في شعر ابن أب:

يُعد التناص (Intertextuality) من المصطلحات الوافدة عن الغرب والتي بدأت تنتشر في الأدب العربي الحديث، ويُقصد بهذا المصطلح تولد نص واحد من نصوص متعددة[1]، وقد تحدثت عنه البلغارية جوليا كريستيفا في كتابها 'نص الرواية: مقاربة سيميائية لبنية خطابية متحولة' عام 1970م وتقصد به "ذلك التداخل النصي الذي يُنتج داخل النص الواحد بالنسبة للذات العارفة، فالتناص هو المفهوم الوحيد الذي سيكون المؤشر على الطريقة التي يقرأ بها نص التاريخ ويتداخل معه"[2].

وكان معنى التناص مقصوراً في أول الأمر على تعدد الأصوات phony Poliy في الشعر بأبسط معنى اشتقاقي له، وهو الازدواج في النظم بين الإيقاع المجرد وبين أصوات الحروف نفسها ثم تطور معناه ليدل على تشابك المعاني الداخلية للكلمات مع معانيها أو نظائرها في نصوص أخرى خارج القصيدة، ثم تطور هذا الأمر حتى وصل إلى المعنى المصطلح عليه.

---

[1] - ينظر: مارك أنجينو، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد ، ترجمة أحمد المديني، دار الشئون العامة بغداد ، ط1 ، 1987م، ص102.

[2] - أنور المرتجى، سيميائية النص الأدبي، المغرب،1987م، ص313.

وهذا يدل على أن التناص عبارة عن عدد من النصوص في نص واحد دون حدود لزمن أو مكان[1].

فالنص تتداخل فيه عدة نصوص أُخر يقوم خلالها باستيعابها وتمثلها وتحويرها ومناقضتها أحيانا، وكما يقول دريدا: "نسيج لقيمات أي تداخلات، لعبة منفتحة ومنغلقة في آن واحد، مما يجعل من المستحيل لديه القيام "بجينا لوجيا" "Genealogie" بسيطة لنص ما توضح مولده. فالنص لا يملك أباً واحداً ولا جذراً واحداً، بل هو نسق من الجذور، وهو ما يؤدي في نهاية الأمر إلى محو مفهوم النسق والجذر. إن الانتماء التاريخي لنص ما لا يكون أبداً بخط مستقيم فالنص دائماً من هذا المنظور التفكيكي له –كما يقول دريدا– عدة أعمار"[2].

ولمغزى المصطلح جذورٌ عربية أصيلة وإن أخذت مُسميات ودلالات مختلفة، ومع ذلك فهي تصب في نصوص عربية قديمة ومتجددة. وقد تنوعت مفاهيم تلك الحقول في العصر الحديث ما بين السرقات والمعارضات الشعرية، والمناقضات، والاقتباسات والتضمينات والإشارات والتلميحات، والتوليدات وكذلك الرموز والاستيعاب والتمثيل مع اختلاف الأُطُر لكل حقل من تلك الحقول[3].

ولقد تنوعت روافد هذا المصطلح في الأدب المعاصر بتأثير مدرسة النقد الجديد، والأساس في جل الروافد هو التناص انطلاقا من النص الشعري أو النثري، باعتبار النص هو الجوهر المفاهيمي والدلالي الذي يُؤخذ منه معطيات المصطلح الجديد.

فيعرف محمد مفتاح التناص بأنه: " تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[4]، وهذا التعريف يحمل في داخله تعريف " ليتش"، واتفق الدكتور توفيق الزيدي مع الدكتور محمد مفتاح في تعريفه السابق للتناص[1].

---

[1] - عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، دار سعاد الصباح ط3، الكويت، 1993م، ص45. ويُنظر: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان القاهرة، 1997،ص 187.

[2] - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة: 164، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت سنة 1992م، ص 238.

[3] - للمزيد حول أسباب اختيار مصطلح التناص على ما عداه من مصطلحات مترجمة لمصطلح (Inter textuality) يمكن الرجوع إلى: د. أحمد محمد عطا، نونية ابن زيدون بين التأثر والتأثر، مكتبة الآداب 2005، ص11 وما بعدها.

[4] - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط 1، 1995، ص121.

أما "محمد بنيس" فيقترح صياغة جديدة لمصطلح التناص حيث يسميه "النص الغائب" ويرى أن "النص الشعري هو بنية لغوية متميزة ليست منفصلة عن العلاقات الخارجية بالنصوص الأخرى، وهذه النصوص الأخرى هي ما يسميها بالنص الغائب ... ويرى أن النص كشبكة تلتقي فيها عدة نصوص، وهي نصوص لا تقف عند حد النص الشعري بالضرورة لأنها حصيلة نصوص يصعب تحديدها ، إذ يختلط فيها الحديث بالقديم، والعلمي بالأدبي، واليومي بالخاص، والذاتي بالموضوعي"[2].

ويقترب رأي "إبراهيم رمَّاني" مع رأي "محمد بنيس" السابق لتعريف مصطلح التناص حيث عرَّفه بأنه: " مجموعة النصوص المستترة التي يحتويها النص الشعري في بنيته، وتعمل بشكل باطني عضوي على تحقّق هذا النص وتشكل دلالته"[3].

ويعرف "عبد الله الغذامي" العمل الأدبي بأنه: "يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماماً مثل الكائن البشري فهو لا يأتي من فراغ ، كما أنه لا يفضي إلى فراغ، إنه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي وهو بذرة خصبة تئول إلى نصوص تنتج عنه"[4].

1- التناص مع القرآن الكريم:

لقد أكسب القرآن الكريم شعر ابن أب وغيره ممن سبقه أو عاصره الشعراء رونقا جماليا وفنيا وذلك عن طريق التناص القرآني بالاسترفاد في شعره من خلال الجزئيات والفنيات البنائية الجديدة، حيث تلاحقت الأفكار داخل القصيدة الواحدة من خلال توظيف التناص القرآني، مما ساعد على آليات التجديد حيث التحول من المعنى ثم الارتداد إليه مرة ثانية، وأتى التناص في شعر الشاعر في مواضع معينة في بعض قصائد المديح والرثاء وحتى في قصائد الشعر التعليمي، أو بعض الأبيات المفردة.

---

[1] - توفيق الزيدي، قضايا قراءة النص الشعري الحديث من خلال ممارسته عند النقاد العرب، **مجلة الموقف الأدبي 1987، ص 17.**

[2] - محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة بيروت ط1 ، 1979، ص 251.

[3] - إبراهيم رمَّاني، النص الغائب في الشعر العربي الحديث، مجلة الوحدة العدد (48) 1988.

[4] - عبد الله الغذامي، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية)، دار سعاد الصباح، ط2 ، 1993م، ص 111.

والحقيقة أن نقادنا القدامى انتبهوا إلى ضرورة اتصال الشاعر بما سبقه، ولهم جهود طيبة في هذا المجال، ولكن الإشكال أن أغلبها وقع تحت مسمى السرقات الشعرية سواء المحمودة أو المذمومة، وإن لم يُذْكر هذا المصطلح –التناص– صراحة في المؤلفات التُراثية العربية، لكن هناك بعض الإشارات المتفقة معه والدالة عليه في بعض تلك المؤلفات من مثل: كتاب طبقات فُحول الشعراء لابن سلاَّم الجُمحي، وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني، وكتاب خزانة الأدب لابن حجة الحموي، وغيرهم ...[1].

يشكل القرآن الكريم مادة غنية للشعر والشعراء، ولا سيما المديح النبوي والرثاء والشعر التعليمي، حيث شكل القرآن الكريم عند محمد ابن أب مرجعاً فكرياً لتداخله مع النصوص الشعرية في علاقات تناصية كثيرة، على اعتبار أنه محور العلوم والمعارف، واستقى منه الشاعر ما يُقوي شعره ويدعمه في كثير من المناسبات العامة والخاصة، حيث كان القرآن الكريم رمزاً للمثل والقدوة والعظة في بعض الأحيان، والنصوص القرآنية تعتبر مادة هامة لإلهام الشاعر لما تحويه من معان متجددة، فكان استدعاء الشاعر لآي القرآن الكريم أو ألفاظه أو قصصه أو أحداثه أو شخصياته، أحد السبل التي جعلته يرتقي بشعره، وكانت هذه الاستدعاءات ذات رؤية خاصة عنده، حيث ألبسها في ثوبها الجديد حسبما ارتأى، وتوظيف النصوص القرآنية في الشعر يُعد من أنجح الوسائل، وذلك لخاصة ذهنية في هذه النصوص تلتقي وطبيعة الشعر نفسه[2].

وظاهرة التناص القرآني تنفرد بها الثقافة العربية وتؤثر في حركية عملية تشابك العلاقات التناصية فيها، فلا تعرف الثقافات الأخرى مثل هذا النص المقدس[3]، بالإضافة إلى كونه النص المتفرد في إعجازه البلاغي.

وقد ظهر التأثير القرآني منذ صدر الإسلام ، وأشار 'ابن رشيق القيرواني' إلى ذلك الأثر في الشعر المنسوب إلى الإمام على بن أبي طالب – رضي الله عنه– في قوله[4]:

---

[1] - يمكن العودة إلى كتاب (الوساطة) لعبد القاهر الجرجاني، ص93، والصناعتين لأبي هلال العسكري، ص 294، الاستدراك لضياء الدين بن الأثير، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، ص30، وعيار الشعر، ابن طباطبا، تحقيق محمد زغلول سلام، ص 48.

[2] - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المرجع السابق، ص 27.

[3] - ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج1، ص34.

[4] - الاقتباس من القرآن الكريم ، تحقيق: إبتسام الصفار، دار الوفاء، بغداد، ط1، 1992، ص 96.

فَلَو كُنْت بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهَذَانِ: ادْخُلُوا بِسَلاَمِ

وهذا التأثير لم يكن بصورة لافتة للنظر في ذلك العصر، لأنه كانت علاقة قريبة بين القرآن والشعر، كما ظهرت ملامح هذا التأثير بصورة جلية في العصر الأموي وما بعده، وقد روى الثعالبي أنه قد أتى الحجاج برجل من الخوارج وأمر بضرب عنقه فقال الرجل: إن رأيت أن تؤخرني إلى غد فافعل ثم أنشد قائلا :

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ لَهُ كُلّ يومٍ في خَلِيقَتِهِ أَمْرُ

فقال الحجاج: لقد انتزعه من قوله تعالى: ((يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)) وأمر بتخلية سبيله، وظهر التناص جلياً في الشعر العباسي، خاصة عند 'أبي العتاهية' في قوله :

أَتَتْهُ الخِلاَفَةُ مُنْقَادَةً إِلِيه تُجَرِّرُ أَذْيَالَهَا

فَلَمْ تكُ تَصْلُحُ إِلاَّ لَهُ وَلَم يَكُ يصلحُ إِلاَّ لِهَا

وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزِلتِ الأَرضُ زِلْزَالها[1]

ومن ثم ندرك أن استعمال مفردات من النص القرآني في الشعر التواتي أصبح من الوسائل التي لجأ إليها الشعراء وقد كان لحفظ القرآن الكريم والمداومة على استخدام ألفاظه وعباراته، فيما يكتبون لتكسب أساليبهم رونقاً وتعلوها طلاوة[2].

وأتى التناص القرآني في شعر ابن أب على عدة مظاهر هي:

أولا: تناص كامل أو جزئي للآية القرآنية :

ويُظهر هذا التناص من خلال التراكيب القرآنية ، ودورها في إنتاج الدلالة وتوجيهاتها، وتفاعلها مع الحدث داخل النص الشعري فتعطي له قيمة دلالية، ونعني به ما تعدى اللفظة

[1] - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، 1990، ج1، ص18.

[2] - الأدب في العصر المملوكي، محمد زغلول سلام،منشأة المعارف، الإسكندرية، 1996، ص81.

الواحدة، وشمل آية كاملة أو جزءًا منها، ويؤدي وظيفة مماثلة، ولكن دون زيادة أو نقصان، أو ما اشتمل على آية أو جزءٍ منها مع التباعد بين الألفاظ القرآنية في النص الشعري، أي يزيد وينقص الشاعر من الآية.

فمنه ما يأتي نَصًّا دون زيادة أو نقصان، يقول أبن أب في قصيدة "الأهنة المعجلة" التي أفردها في علم الكلام مختتما لها[1] بالبيت التالي:

وَآخِرُ الدَّعْوَى أَنِ الْحَمْدُ لِمَنْ تَفَضَّلاَ بِنِعْمَةِ الإِكْمَالِ مَنْ

يستخدم ابن أب النصَّ القرآنيَّ ليصوغه في شعره للتعبير عن الحمد والدعاء ليتناسب مع موقف الختام من خلال الاتكاء على النص القرآني من خلال التناص مع قوله تعالى: ((وَآخِرُ دَعْواهُمُ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[2]، والنص القرآني يتحدث عن آخر الدعاء هو الحمد، والنص الشعري، يتحدث عن ختام أرجوزته بآخر الدعاء هو الحمد، فتلاحم النصان وساعدا على إنتاج الدلالة، لذا كان النسيج الشعري متلاحمًا مع النسيج القرآني، وقد جمع الشاعر في النص الشعري بين الضدين (الدعاء – الاعتراف بالفضل).

والنص القرآني عام، والنص الشعري خاص للمدعو له، وأتى صدر البيت متوافقاً مع النص القرآني والشعري في التركيب والمنطوق، وهو ما يسمى بالاقتباس.

وفي ذلك المعنى يقول في نظم "نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم"[3]:

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَنْعَمَا وَعَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَا

فقد جسَّدَ الشاعر الصورة الشعرية لتتلاءم والنص القرآني، لأن النظم الغرض منه تسهيل الحفظ للمتعلمين والطلاب، فأتى التناص مع قوله تعالى: ((عَلّمَ الانسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))[1].

---

[1] - مخطوط القصيدة بخزانة كوسام.

[2] - سورة يونس: الآية 10.

[3] - أحمد ابالصافي جعفري، محمد ابن أب حياته وآثاره، ص 69.

فافتتح نظمه بآية الحث على العلم التي كانت بالمناسبة أول الآيات التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقول الشاعر[2]:

ضَاقَ إِذْ رَمَى طَرَفَ الْعُدَاةِ بِالْحَصَا بِهِمْ وَحَبْ الْفَلاَتِ

إِنَّهَا عَلَى رَغْمِ الشَّتَاتِ حِكْمَةَ عَزِيزٍ ذُو انْتِقَامْ

لتنسجم مع النص القرآني في قوله تعالى: ((فَلاَ تَحْسِبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه اِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام))[3]، ومهد لذلك في قوله (ضاق إذ رمى العدات) في البيت الأول التي حملت الصورة في غزوة بدر، وتناص مع قوله تعالى: ((...وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))[4].

ونجد التناص بهذا الشكل في عديد قصائد الشاعر ففي أرجوزة التصريف يقول:

وَانْصَحْ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْحُسَّادِ فَإِنَّ رَبَّكِ لَبِالْمِرْصَادِ

فهو هنا أتى بآية كاملة من سورة 'الفجر' في قوله تعالى: ((فَصَبَّ عَلِيهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادْ))[5]، وتناسب هذا مع المقام حيث الشاعر يتوعد ويرهب من يحسد، ويذكره بأن الله لا يحب هذا التصرف، فهو لمرتكب هذا التصرف بالمرصاد ويعاقب عليه.

ثانيا: ما يأتي نصا مع زيادة أو حذف أو تقديم وتأخير في الآية والمفردات:

يقول ابن أب في نظم 'العبقري'[1]:

---

[1] - سورة العلق، الآية 5.
[2] - مخطوط القصيدة بخزانة كوسام
[3] - سورة ابراهيم، الآية 47.
[4] - سورة الأنفال، الآية 17.
[5] - سورة الفجر، الآية 13.

فَاللهُ حَسْبِي وَبِهِ أَعْتَصِمُ مِنْ كُلِّ مَا يَشِينُهُ أَوْ يَصِمُ

وهنا يتوافق قول الشاعر مع الآيتين الأولى قوله تعالى: ((...قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ))[2]، والأخرى في قوله تعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ))[3]، فهو رمز للآيتين بمفردتي الاحتساب والاعتصام، دون أخذ الآيتين بالتمام وهذا ما اقتضاه المقام.

ويواصل الشاعر الاقتباس في نفس القصيدة بقوله[4]:

وَحُطْهُ مِنْ شَرِّ حَسُودٍ بَاخِسْ وَآفِلِ نُورِ حِجَاهُ طَامِسْ

فهو هنا تعارض مع قول الله في سورة الفلق: ((وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ))[5] وقوله في سورة البقرة: ((فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ))[6] وكذا في قوله في سورة 'يس': ((وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ))[7].

وفي قصيدة 'الدعاء' يقول[8]:

لَكَ ضَارِعاً وَجَّهْتُ وَجْهِي سَائِلاً مِنْكَ الرِّضَى يَا رَبِّ فَارْزُقْنَاهُ

فهنا تناص مع قوله تعالى: ((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))[9]، فهو أراد أن يبرز تضرعه لله سبحانه وتعالى، مناسبة لما جاء في القرآن من تضرع سيدنا إبراهيم عليه السلام.

---

[1] - عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن اباعمر التينيلاني، المورد العنبري شرح منظومة العبقري في حكم سهو الاخضري، طبع مكتبة المعارف تيميمون، الجزائر، ص 04.
[2] - سورة الزمر، الآية 38.
[3] - سورة الحج، الآية 78.
[4] - عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن اباعمر التينيلاني، المورد العنبري شرح منظومة العبقري في حكم سهو الاخضري، المرجع السابق، ص38.
[5] - سورة الفلق، الآية 5.
[6] - سورة الأنعام، الآية 75.
[7] - سورة يس الآية65.
[8] - أحمد ابالصافي جعفري، محمد ابن أب حياته وآثاره، ص 78.
[9] - سورة الأنعام، الآية 78.

ثالثا: التناص والشخصيات القرآنية :

استطاع ابن أب توظيف الشخصية القرآنية للمعنى الذي يريده في معاني الدعاء والمدح، مع التصرف في الألفاظ، ومن الشخصيات القرآنية التي استخدمها في شعره، شخصية سيدنا أيوب عليه السلام، وتوظيفها للدلالة على المعاناة الخاصة التي ابتلاه الله بها، فيقول في قصيدة الدعاء والتضرع[1]:

جُدْ وَاسْتَجِبْ فَلَقَدْ أَجَبْتَ تَفَضُّلاَ أَيُّوبَ حِينَ دَعَاكَ مِنْ بَلْوَاهُ

ويستحضر الشاعر النص القرآني ((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))[2]، وقد قارن الشاعر حالته بحالة سيدنا أيوب، وقد مهد الشاعر لذلك بقوله: (فلقد أجبت) دلالة على الحاجة الملحة للاستجابة من رب العالمين.

ومن ذلك قوله في موضع آخر في قصيدة المدح على البحر المضطرب الجديد[3]:

فَاقَ وَعَلاَ حُسْناً وَغَنْماً حُسْنَ يُوسُفَ الْبَدْعُ الْهَامْ

فالشاعر يتناص مع شخصية سيدنا (يوسف) ورمز في صدر البيت بقوله (حسنا) للدلالة على شخصية سيدنا يوسف عليه السلام في علو المكانة ، من خلال التناص القرآني في قوله تعالى ((وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ))[4] وقد تلائم التناص مع قول الشاعر (حسن يوسف) ، ورمز بـ(الحسن) للدلالة على حسن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وتتقاطر الشخصيات القرآنية في شعر ابن أب في قوله[5]:

مَنْ بِمِثْلِهِ تَأْتِي النِّسَاءِ مِنْ سَارَةِ سَادَةِ الْحَرَامْ

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، محمد ابن أب حياته وآثاره، ص 77.
[2] - سورة الأنبياء، الآية 82.
[3] - مخطوط القصيدة بخزانة كوسام.
[4] - سورة يوسف، الآية 30.
[5] - مخطوط القصيدة بخزانة كوسام.

فالتناص وقع مع شخصية السيدة سارة رضي الله عنها زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث أخذ الشاعر من الشخصية القرآنية صفة الصبر والوفاء، وتفاعل المعنى الشعري مع الشخصية القرآنية ، حيث الصبر والوفاء والكرم.

2- التناص مع الحديث النبوي الشريف:

إلى جانب القرآن الكريم وظف الشاعر بعض الأحاديث النبوية، ومنها الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، وهذا نصه كاملا :" حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ، لَا يُرِيدُ قِتَالًا، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنَةً، وَكَانَ النَّاسُ سَبْعَ مِئَةِ رَجُلٍ، فَكَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشَرَةٍ، قَالَ : وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بِسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ سَمِعَتْ بِمَسِيرِكَ، فَخَرَجَتْ مَعَهَا الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ أَنْ لَا تَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً أَبَدًا، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدِمُوا إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ أَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ النَّاسِ، فَإِنْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ، دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ وَافِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ، فَمَاذَا تَظُنُّ قُرَيْشٌ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَزَالُ أُجَاهِدُهُمْ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ لَهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ لَهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ"[1].

فاقتبس منه ابن أُب عبارة (يا ويح) ليعبر عن شدة عاقبة اتباع الضلال وترك الهدى، فقال في قصيدة البديع[2] :

يَا وَيْحَ مُبْتَاعَ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَلَسَوْ فَ يَنْدَمُ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَا – صِي

[1] - أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث: 18527

[2] - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، مطبعة دار هومه، الجزائر، ط 2005،ص 95.

والمعنى ويل لمن يترك الدين ويتبع الشيطان والنفس وأهل الضلال، فهو يوم القيامة سوف يندم يوم لا ينفع الندم.

3- التناص مع التراث العربي:

يضم هذا المصدر مرجعيات متعددة منها والشعر العربي والأمثال العربية والعبارات الجاهزة... فقد أدرك الشعراء التواتيون أهمية هذه المرجعيات وأدخلوها في قصائدهم وأغنوها وحملوها تجارب جديدة.

- الزوايا والأولياء:

آثرنا أن ندرج هذه المرجعية ضمن المصدر الديني لأن توظيفها دائما يتخذ صبغة دينية يكتنفها الاحترام والتقدير والتعظيم والتوسل، فبعض الزوايا المشهورة بأوليائها الصالحين كانت عبر تاريخ طويل، مزارا لطلاب العلم وحفظة القرآن ورواة الحديث والمرضى وعابري السبيل...، وهو ما جعل الشعراء التواتيين عموما يقدرون دورها وفوائدها ويستدعونها في أشعارهم تبركا واعترفا بالجميل وتوسلا وطلبا للاستشفاء أحيانا، فهذا ابن أب بعد أن طلب منه معاصره الولي الصالح 'مولاي عبد الملك الرقاني' نظم قصيدة يذكر له فيها شيوخه فقال ابن أب[1]:

وَقُلْ إِذَا سَأَلْتَ بِاسْمِ اللهِ يَا رَبِّ إِنِّي سَائِلٌ بِجَاهِ

وَلِيِّكَ الذِي أَنَلْتَهُ الشَّرَفْ وَالْعِلْمَ وَالْجُودَ وَفَضْلَ مَنْ سَلَفْ

مَوْلاَيَ عَبْدَ الْمَلِكَ الرَّقَّانِي صَالِحَ هَذَا الْوَقْتِ فِي الْعَيَانِ

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، محمد ابن أب حياته وآثاره، ص 78.

وَشَيْخِهِ وَالِدَهُ الذِي ظَهَرْ لِكُلِّ دَاعٍ بِالتَّوَسُّلِ اشْتَهَرْ

الصَّالِحِ الْوَلِيِّ ذِي الْقَدْرِ الْعَلِي مَوْلاَيَ عَبْدَ اللهِ ذَاكَ بْنُ عَلِي

فالشاعر هنا أشار إلى التوسل لله بالولي الصالح، طلبا للتبرك ونيل المقصود.

- الشعر العربي :

إلى جانب استلهام القرآن والحديث النبوي استلهم شاعرنا بعض الأبيات من الشعر العربي، وتفاعل معها وفق ما تمليه تجربته الشعرية، فيقول[1]:

فَخُذْ بِنْتَ فِكْرِي مُنْبِئاً دُرَّ عَقْدِهَا بِأَنِّي نَحْوِيٌّ فَصِيحٌ وَمُعْرِبٌ

فالتناص في صدر البيت حدث مع البيت الشعري للمتنبي[2] :

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

فابن أب يفتخر بنفسه بأنه يأتي بأفكار تحتاج من قارئها البحث لحل عقدها ومعانيها، مثلما افتخر المتنبي بأشعاره بأنه يطرحها وينام، بينما يسهر الناس في البحث عن معانيها حتى إنهم يتجادلون حولها.

أما في عجز البيت فيعرب ابن أب عن نفسه بأنه من أهل النحو والفصاحة والإعراب، وهنا يشاكل البيت الذي يورده النحاة عن الأعرابي الذي يفتخر بسليقته، حيث يقول[3]:

وَلَسْتُ بِنَحْوِيٌّ يَلُوكُ لِسَانَهُ وَلَكِنِّي سَلِيقِيٌّ أَقُولُ فَأُعْرِبُ

[1] - مخطوط القصيدة بخزانة كوسام.
[2] - ديوان المتنبي
[3] - شرح حاشية ابن الحاجب

كما نجد ابن أب كثيرا ما يتناص في شعره مع شعر الحكمة في الشعر العربي فيقول في قصيدة البديع[1]:

لَمْ يَدْرِ أَنْ لاَ بُدَّ يَوْماً أَنْ يُرَى فِي آلَةٍ حَدْبَاءَ تَنْدُبُهُ النَّوَا – دِبُ

نلاحظ أن توظيف التناص في المقطع الثاني من البيت مع قصيدة كعب بن زهير ضمن قصيدته البرءة التي يمدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، متساوقا مع تجربة الشاعر الخاصة، إذ يعكس الحكمة التي جاءت في البيت الذي يقول فيه كعب[2]:

كلُّ ابنِ أُنْثى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ يوماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

كما نجد له تناص تام مع ألفية ابن مالك حيث ألف قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، أتى فيها ببداية ابياتها من عنده وأعجاز الأبيات يأخده من الألفية، نظمها بطريقة محكمة وعجيبة، حيث حوت القصيدة ثمانية وخمسين بيتا، ابتدأها بقوله[3]:

صَلاَةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ مُتَّصِلَهْ عَلَى الذِي اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصِّلَهْ

نَبِيِّنَا الذِي فَخَارُهُ أَتَى فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا

وختمها بقوله:

حَسْبِي أَنْ أَغْشَى ذَرَاكَ وَالْمَحَلْ بِالْفِعْلِ إِنْ لَمْ يَكُ مَانِعٌ حَصَلْ

فَلاَ أَرَى بُؤْساً وَلاَ أَرَى ضَرَرَ وَلاَ أَرَى مَنْعاً إِذَا الْقَصْدُ ظَهَرْ

فنلاحظ أنه استعمل الشطر الثاني في كل القصيدة من الألفية، ووظفه حسب مقتضى المعنى لكل بيت.

---

[1] - أحمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية، ج2، ص 43.
[2] - كعب بن زهير، الديوان، تح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1997، ص 65.
[3] - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص 96.

- الأمثال:

لا تخفي الأهمية الثقافية للأمثال، لخفة تعابيرها وقوة تداولها بين الناس، وقدرتها على الإيضاح والإقناع، لأن "ضرب المثل يوضح المنبهم ويفتح المنغلق، وبه يصور المعنى في الذهن، ويكشف المعمى عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس حسن موقع، وتقبله فضل قبول وتطمئن به اطمئنانا، وبه يقع إقناع الخصم وقطع تشوف المعترض"[1]، ولهذا آثر الشعراء توظيفها واستدعاءها وتوظيف الأمثال عند ابن أب مثاله جاء في قوله في الأبيات التي يفتخر فيها بنفسه، حيث يقول[2]:

إِذَا سَادَ بِالإِقْدَامِ عَمْرُو وَبِالذَّكَا تَفَرَّدَ إِيَّاسٌ وَبِالْجُودِ حَاتِمُ

فنلاحظ حضور أمثال بلفظها ومعانيها وتم إشراكها في تجربة جديدة، والأمثال هي: "أقدم من عمرو" و" أذكى من إياس " و" أجود من حاتم"[3] وكلها أمثال عربية، وتضرب في الإقدام والذكاء والجود، والشاعر يقول إنه أشعر الناس مثلما حاز هؤلاء على هاته الصفات.

التناص التاريخي :

لقد كان التاريخ العربي الإسلامي القديم والحديث بأحداثه محورا وضاءً في تجارب شعرائنا الشعرية، وملهما ذا شأن ينقل الشعراء خلال دلالاته الشمولية التي لا تزول ويفصحون عن مواقفهم من تزاحم الأحداث التي وقفوا شعرهم على مجدها وعزتها ومن أكبر هذه الأحداث أحداث السيرة النبوية.

فها هو المزمري يذكر بعض الأحداث التي روتها سيرة المصطفي صلى الله عليه وسلم في قصيدته المدحية على البحر المضطرب الجديد[4]:

---

[1] - الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم- تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، البيضاء المغرب، ط 1981، ص: 31.

[2] - أحمد ابالصافي جعفري، سلسلة رجال في الذاكرة، محمد بن أب المزمري، ص 65.

[3] - الحسن اليوسي، المرجع السابق، ص 38.

[4] - مخطوط القصيدة بخزانة كوسام

عَشْرُ مَائِةٍ فَاعْجَب تَغَذَّت كَلَّهَا بِصَاعٍ مِنْ طَعَامْ

هَلْ لِغَيْرِهِ هَذِي تَبَدَّت أَمْ بِدَالِهِ حَوَّمَ الْحَمَامْ

صَحَّ أَنَّهُ قَدْ كَلَّمَتْـهُ ظَبْيَـةُ الْفَلاَ أُمّاً وَأَتَـاهْ

وَالْهَوَامُ فَاعْلَمْ طَاوَعَتْهُ فَانْثَنَتْ لَـهُ وَالبَلُّ ظَامْ

سُمّاً أَخْبَرَتْهُ وَالذِّرَاعُ أَنَّهَا أَصَابَتْ مِنْ سِمَامْ

ضَاقَ إِذْ رَمَى طَرَفَ الْعُدَاتِ بِالْحَصَا بِهِمْ وَحَبْ الْفَلاَتْ

والشاعر هنا يسرد لنا المعجزات التي حدثت للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وجاءت في السيرة النبوية، إذ أطعم ألف جائع بصاع واحد، وكلمته الظبية، وأخبره الذراع بأن به سما أثناء الهجرة، ورمى يوم بدر بالحصى فأعمى المشركين برمية من يديه الشريفتين، وكلها معجزات ذكرها الشاعر في القصيدة.

ومن المعلوم أن شعر ابن أب يميل معظمه إلى التعليم، فهو أحرى أن يكون غنياً بالتناصات القرآنية والتراثية، لأن التعليم مرتبط بالقرآن والحديث والتراث، وخاصة علوم العربية لا تستطيع أن تبتعد عن هذا، فهي مرتبطة به كلية.

- الدراسة التحليلية لبعض قصائد ابن أب:

نحاول في هذا العنصر القيام بدراسة تحليلية لقصيدتين من قصائد ابن أب، والقصيدة الأولى هي قصيدة المدح النبوي التي ضمنها أشطاراً من ألفية ابن مالك والتي يقول فيها:

صَلاَةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ مُتَّصِلَهْ 1 عَلَى الذِي اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصِّلَهْ

نَبَيُّنَا الذِي فَخَارُهُ أَتَى 2 فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيح مُثْبَتَا

صَاحِ اِلْتَزِمْ صَلاَتَهُ الْتِزَامَا 3 وَمُطْلَقاً كَمِّلْ بِهَا الْكَلاَمَا

فَمَنْ بِهَا مَسْياً وَبُكْرَةً غَدَا 4 يَخْتَصُّ فَالرَّفْعُ الْتَزِمْهُ أَبَدَا

للهِ مَا أَجَلَّهَا مِنْ فَائِدَهْ 5 فَاللهَ بِرٌّ وَالأَيَادِي شَاهِدَهْ

وَكُنْ أَخِي مِمَّنْ بِهَا حُبًّا نَطَقْ 6 وَاخْصُصْ بِوُدٍ وَثْنَاءِ مَنْ صَدَقْ

فَسَوْفَ يَظْهَرُ بِلاَ رَيْبٍ غَدَا 7 مَا نَاطِقٌ أَرَادَهُ مُعْتَمِدَا

وَإِنْ تُحَاوِلْ فِيهِ تَنْظِيمْ الْمَدْحِ 8 فَمَا أُبِيحَ افْعَلْ وَدَعْ مَا لَمْ يُبِحِ

إِذْ لاَ تَطِيبُ مَدْحَةٌ إِلاَّ إِذَا 9 لَمْ يَكُ قَوْلٌ مَعَهَا قَدْ نُبِذَا

وَكُنْ مُجِيداً لاَ عَدِمْتَ الرُّشْدَا 10 لَهَا عَلَى الْحَدِّ الذِي قَدْ حَدَا

وَلِلذِي لَيْسَ يُجِيدُ لَزْمَا 11 مَنْعُ تَصَرُّفٍ بِحُكْمٍ حَتْمَا

فَلْيَجْتَهِدْ مَنْ لَفْظُهُ لَهَا شَمِلْ 12 فِي الْحُكْمِ وَالشُّرُوطِ حَيْثُمَا عَمَلْ

لَكِنْ هَذَا النَّظْمُ خِلْتَ قَائِلَهُ 13 قَلَّ وَمَنْ يَمْنَعْهُ فَانْصُرْ عَاذِلَهُ

مُحَمَّدٌ لَيْسَ يُدَانِيهِ أَحَدْ 14 مَعْنىً وَأَوِّلْ مُوهِماً إِذَا وَرَدْ

قَدْ حَازَ نَفْساً بَرَّةً مُكْتَمِلَهْ 15 عَلَى ضَمِيرٍ لاَئِقٍ مُشْتَمِلَهْ

إِلَى حَيَاءٍ وَوَقَارٍ وَعَمَلْ 16 بِرٌّ يُزِينُ وَلْيَقِسْ مَا لَمْ يَقُلْ

وَفِي نُعُوتِهِ إِذَا مَا أُخِذَا 17 لَمْ يَلْقَ ذُو النُّطْقِ لِلْبَسِّ مَنْفَذَا

إِذْ مَا نَرَى وَحَقِّ رَبٍّ قَاهِرِ 18 كَطَاهِرِ الْقَلْبِ جَمِيلِ الظَّاهِرِ

وَلَا بَدَا فِيمَا مَضَى وَلَا سُمِعْ 19 مَعْنىً كَمَحْمُودِ الْمَقَاصِدِ الْوَرِعْ

لِذَاكَ لَا تَجِدْهُ إِذَا وُصِفْ 20 مُمَاثِلاً لِمَا عَلَيْهِ قَدْ عَطَفْ

كَمْ مُخْبِرٍ بِبَعْثِهِ وَقَدْ صَدَقْ 21 بِوَسْمِهِ أَوْ وَسْمِ مَا بِهِ اعْتُلِقْ

وَأَنَّهُ خَاتِمُ رُسُلِ اللهِ لَا 22 يَكُونُ إِلَّا غَايَةَ الذِي تَلَا

وَكَمْ رَوَيْنَا أَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَا 23 عَنْ الذِي خَبَرُهُ قَدُ اضْمِرَا

عَنْ عُلَمَاءِ جِلَّةَ عُرْفِ مَا 24 كَانَ أَصَحَّ عِلْمِ مَنْ تَقَدَّمَا

وَبَعْضُهُمْ أَسْرَاهُ بِالْجِسْمِ وَقَدْ 25 أَبُوا وَلَا أَمْنَعُهُ فَقَدْ وَرَدْ

ذَاكَ خُصُوصِيَةُ رَبٍّ مُقْتَدِرْ 26 فَلَا تَقِسْ عَلَى الذِي مِنْهُ أُثِرْ

وَلَا تَقِسْ بِهِ امْرُؤًا فِيمَا أُخِذْ 27 وَعَنْ سَبِيلِ الْقَصْدِ مَنْ قَاسَ انْتُبِذْ

وَحَقِّ مَنْ أَعَاذَهُ مِنَ الأَذَى 28 لَقَدْ سَمَا عَلَى الْعِدَا مُسْتَحْوِذَا

مَا زَالَ يَدْعُونَا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى 29 وَمَا لَنَا إِلاَّ اتِّبَاعِ أَحْمَدَ

طُوبَى لِمَنْ ثَوْبُ رَشَادِهُ اكْتَسَى 30 فَهُوَ بِهِ فِي كُلِّ حُكْمٍ ذُو ائْتِسَى

للهِ مَا تَسْمَعُ أَوْ مَا تُبْصِرُ 31 مِمَّا بِهِ عَنْهُ مُبِيناً يُخْبِرُ

تَرَى الْوُفُودَ تَنْتَحِيهِ عَجْلاً 32 لِلَمْحِ مَا قَدْ كَانَ عَنْهُ نَقْلاً

يَرْجُونَ مِنْ كَرَمِهِ نَجَحَ الْوَطَرْ 33 نَاوِينَ مَعْنَى كَائِنٍ أَوْ اسْتَقَرْ

إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَنْجِحاً لِمَا تَسَلْ 34 مِنْ صِلَةٍ أَوْ غَيْرِهَا نِلْتَ الأَمَلْ

فَاقْصُدْهُ مَهْمَا شِئْتَ مِلْءَ الطَّرَفِ 35 فَذَاكَ ذُو تَصَرُّفٍ فِي الْعُرْفِ

بَلْ عُرْفُهُ قَدْ جَاءَ ذَا تَعَدُّدٍ 36 لِمُفْرَدٍ فَاعْلَمْ وَغَيْرَ مُفْرَدِ

وَاعْلُقْ بِهِ تُرْفَعْ فَمَنْ قَدْ عَلَقَا 37 بِالرَّافِعِ النَّصْبُ لَهُ مُحَقَّقَا

وَمِنْ إِذَا كَرْبٌ شَدِيدٌ دَهَمَا 38 جَا مُسْتَغَاثاً قَدْ يُعَرَّى فَاعْلَمَا

هَفَتْ قُلُوبٌ نَحْوَهُ فَمُسْرِعَا 39 ذَا رَاحِلٍ وَمُخْلِصٌ زَيْدٌ دَعَا

لَا تَيْأَسَنْ إِنْ غِبْتَ عَنْهُ فَصْلَا 40 فَقَدْ يُبِيحُ الْغَيْبُ فِيهِ وَصْلَا

فَأَعْمِلِ الْجِدَّ فَفِي الصُّبْحِ الْمُضِي 41 وَغَيْرِهِ إِعْمَالِهِ قَدِ ارْتَضَى

وَأَتْبِعَنَّ الْيَومَ بِالْغَدِ فَمَنْ 42 رَاعِ فِي الِاتِّبَاعِ الْمَحَلَّ فَحَسَنْ

وَاجْعَلْ هِمَامَكَ وَجَلَّتْ مَرْبَعَهُ 43 لِشِبْهِ نَفْيٍ أَوْ لِنَفْيٍ مُتَّبِعَهُ

وَأَقِمِ الْعُمْرَ بِهِ فَمَنْ لَحِقْ 44 بِهِ فَالِانْصِرَافُ مَنْعُهُ يَحِقْ

وَاقْرُرْ بِهِ عَيْناً وَخَلِّ مَنْ عَذَلْ 45 وَجِدَّ كُلَّ الْجِدِّ وَافْرَحْ الْجَذَلْ

فَأَيُّ حَالٍ لِلْمُحِبِّ بِحَمَلْ؟ 46 كَحَالِهِ إِذَا بِهِ يَتَّصِلْ

هَاكَ رَسُولَ اللهِ مِنِّي جُمْلَهْ 47 حَاوِيَّةً مَعْنَى الذِي سِيقَتْ لَهْ

مِلْتُ بِهَا إِلَيْكَ فِيمَنْ مَالَا 48 كَأَنَّكَ ابْتِهَاجُكَ اسْتَمَالَا

قَدَّمْتُهَا أَرْجُو بِهَا نَيْلَ الْقِرَى	49	وَجَوَّزُوا التَّقْدِيمَ إِذْ لَا ضَرَرَا
وَمَا بِهَا مِنْ أَشْطُرٍ مُنْصَرِفَهْ	50	حَقِيقَةُ الْقَصْدِ بِهِ مُنْكَشِفَهْ
وَهْيَ لِكَوْنِهَا غَرِيبَةُ الصِّفَهْ	51	تَلْزَمُ بِالرَّفْعِ لَدَى ذِي مَعْرِفَهْ
بَلْ لَا تَفِي وَإِن بَدَتْ مُحَرَّرَهْ	52	مُفْرَدَةً جَاءَتْكَ أَوْ مُكَرَّرَهْ
بِعُشْرِ عُشْرِ الْعُشْرِ مِنْ ذِي الشَّأْنِ	53	فَذِكْرُ ذَا وَحَذْفُهُ سِيَّانِ
مَنْ ذَا بِمِثْلِ مَا حَوَيْتَ يَتَّصِفْ	54	فَيَسْتَحِقُّ الْعَمَلَ الذِي وُصِفْ
يَا خَيْرَ مَنْ يَقُولُ لِلعَافِينَ مَنْ	55	يَصِلْ إِلَيْنَا يَسْتَعِنْ بِنَا يُعَنْ
حَسْبِي أَنْ أَغْشَى دَرَاكَ وَالْمَحَلْ	56	بِالْفِعْلِ إِنْ لَمْ يَكُ مَانِعٌ حَصَلْ
فَلَا أَرَى بُؤْساً وَلَا أَرَى ضَرَرْ	57	وَلَا أَرَى مَنْعاً إِذِ الْقَصْدُ ظَهَرْ

1- تحليل القصيدة:

لقد بدأ ابن أب قصيدته والتى جاءت في المدح النبوي، والذي قد أشرنا إلى مكانته بين الأغراض الشعرية العربية في الفصلين الثاني والثالث عند التعريج على أغراض الشعر في منطقة توات وكذا شعر المزمري شاعرنا، والجديد في هذه القصيدة كما أشرنا سابقا أنه جعل كل أعجاز ابيات القصيدة من ألفية ابن مالك النحوي الأندلسي، كما أن الشاعر مولعاً بحب الإبداع فعلى عكس ما ألفناها عند شعراء المدح النبوي في اختتام قصائدهم بالصلاة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فالمزمري ابتدأ قصيدته بها وذلك في قوله:

صَلاَةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ مُتَّصِلَهْ عَلَى الذِي اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصِّلَهْ

ظل المزمري في مقدمة قصيدته هذه يبين فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غاية البيتين السادس والسابع الذي ضمنه نصيحة للناطقين بالشهادة بالصدق والإخلاص فيقول:

وَكُنْ أَخِي مِمَّنْ بِهَا حُبًّا نَطَقْ وَاخْصُصْ بِوُدٍ وَثَنَاءِ مَنْ صَدَقْ

فَسَوْفَ يَظْهَرُ بِلاَ رَيْبٍ غَدَا مَا نَاطِقٌ أَرَادَهُ مُعْتَمِدَا

بعد ذلك ينتقل الشاعر في الأبيات الست الموالية إلى تعليم من يحاول انتحاء منحى المدح النبوي بترك المحرم والمكروه وما لا يليق بمقام الرسالة، وكيف لا وهو يريد أن يتعامل مع أفضل خلق صلى الله عليه وسلم، وقد حاول المزمري أن يجعل ما أتى به في الشطر الأول من كل بيت منسجماً مع الأشطر المأخوذة من الألفية وهذا إنما يدل على تعلق المزمري بالألفية وكيف لا وهو الذي كان يطلب من ابنته أن تقرأ علية الألفية وهو على فراش الموت[1] فيقول:

–وَإِنْ تُحَاوِلْ فِيهِ تَنْظِيمْ الْمَدْح فَمَا أُبِيحَ افْعَلْ وَدَعْ مَا لَمْ يُبِح

وفي الأبيات الثمانية عشر الموالية أخذ الشاعر فيها بوصف ما خص الله به نبيه من صفات ومعجزات على غرار الإسراء والمعراج والخلق العظيم فيقول:

مُحَمَّدٌ لَيْسَ يُدَانِيهِ أَحَدْ مَعْنىً وَأَوِّلْ مُوهِماً إِذَا وَرَدْ

قَدْ حَازَ نَفْساً بَرَّةٌ مُكْتَمِلَهْ عَلَى ضَمِيرٍ لاَئِقٍ مُشْتَمِلَهْ

إِلَى حَيَاءٍ وَوَقَارٍ وَعَمَلْ بِرٌ يُزِينُ وَلْيَقِسْ مَا لَمْ يَقُلْ

لقد واصل الشاعر في قصيدته التحدث عن خُلُقِ الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل بعد ذلك إلى الإشادة بمعاملات الرسول صلى الله عليه وسلم في الأبيات الخمس عشر التي تلت، مع قومه وحتى مع من قصده فهو لم يرجع أحد من عنده غاضباً أو لم يوفيه مقصده بل ينزع كسوته ويعطيها لمن أتاه ذا حاجة وقف عليه، فلقد مدحه المزمري بأجود ما قيل في المدح والإشادة بقوله:

تَرَى الْوُفُودَ تَنْتَحِيهِ عَجْلاً لِلَمْحِ مَا قَدْ كَانَ عَنْهُ نَقْلاً

يَرْجُونَ مِنْ كَرَمِهِ نَجَحَ الْوَطَرْ نَاوِينَ مَعْنَى كَائِنٍ أَوْ اسْتَقَرْ

إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَنْجِحاً لِمَا تَسَلْ مِنْ صِلَةٍ أَوْ غَيْرِهَا نِلْتَ الأَمَلْ

وختم المزمري بالأبيات الأحد عشر الموالية، متوسلاً بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومشيراً إلى تواضع ما قدمه في هذه الأبيات؛ إذ ما يليق بمقامه يفوق مستوى الشاعر، ولن يستطيع أن يوفيه حقه أحد من البشر سوى خالقه، فيقول:

[1] - عبد الحميد البكري، النبذة ، ص 86.

هَاكَ رَسُولَ اللهِ مِنِّي جُمْلَهْ حَاوِيَّةً مَعْنَى الذِي سِيقَتْ لَهْ

مِلْتُ بِهَا إِلَيْكَ فِيمَنْ مَالَا كَأَنَّكَ ابْتِهَاجُكَ اسْتَمَالَا

قَدَّمْتُهَا أَرْجُو بِهَا نَيْلَ الْقِرَى وَجَوَّزُوا التَّقْدِيمَ إِذْ لَا ضَرَرَا

وآخر بيت ختم به القصيدة كما رأينا في بدايتها، هو بيت يأتي في البداية فالشاعر كما بدأ قصيدته بما يختم به عادة، فلا بد أن تكون الخاتمة بما يبدأ به وهذا في قوله:

فَلَا أَرَى بُؤْساً وَلَا أَرَى ضَرَرْ وَلَا أَرَى مَنْعاً إِذِ الْقَصْدُ ظَهَرْ

فالملاحظة الخارجية للنص تكشف على أنه يبدو مخالفا لما ألفناه في القصيدة العمودية على مستوى شكلها الهندسي، فقد اعتمد الشاعر نظام المقاطع، ونوع في الأرواء (الهاء، التاء، الميم، الدال، القاف)، وهذا راجع بالضرورة إلى الشكل الذي نظمت عليه الألفية ؛ حيث أن منظومة ابن مالك جاءت منضوية تحت غرض التعليم، وما نعلمه أن معظم المنظومات التعليمية لا تكون موحدة الروي والقافية، إلا ما ندر، وهذا ما جعل المزمري يسير على هذا المنوال، فالأشطر المضمنة من الألفية جاءت أعجازاً لأبيات القصيدة.

ومما نلاحظه في هذه القصيدة أيضاً أن الشاعر فد وفق مرتين؛ فهو ضمن أبيات قصيدته كلية أشطراً من ألفية ابن مالك، ووفق في جعلها منسجمة انسجاماً عجيبا، كما وفق في جعل القصيدة مقلوبة فالبداية نهاية والنهاية بداية.

مستويات التحليل:

إن ثمة مستويات عدة لهذا النوع من التحليل وهي كالآتي:

1)- المستوى الصوتي:

ويتناول هذا المستوى أبرز السمات الصوتية في القصيدة من خلال الأصوات المفردة، وتكرارها، وفاعليتها، والموسيقى المنبعثة من الكلمات وترادها، ونواتجها الصوتية والدلالية، ومدى توفيق الشاعر في الاختيار والتوزيع، وسوف يقوم هذا المستوى على عدة عناصر هي كالآتي:

أ - الوزن والقافية:

تنتمي هذه القصيدة إلى "بحر الرجز" وتفعيلاته نأخذها من نظم الشاعر نفسه فيقول:

صَلاَةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ مُتَّصِلَهْ عَلَى الذِي اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصِّلَهْ

والتفعيلات هي:

مُسْتَفْعِل مُسْتَفْعِلْ مُسْتَفْعِلْ مُسْتَفْعِل مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْ

أما قافية هذه القصيدة فهي من قبيل المتواتر حيث تتكون من ساكن يسبقه متحرك فهي كما في البيت الأول:

لقد اتسمت هذه القصيدة بظاهرة متفردة بالنسبة لتكرار الحروف بداخلها، وذلك يكمن في استقلال كل بيت بذاته في هذه الظاهرة، حيث إن لكل بيت بعض الحروف التي تتكرر فيه، ولكن ثمة حروفاً بعينها ظهرت في النص بشكل فيه تكرار وهذه الحروف هي: "الراء، الصاد، الطاء"، ولا يخفي ما بين هذه الحروف من تقارب نطقي ودلالي حسي.

ب –التصريع:

التصريع هو اتفاق شطري البيت الواحد[1] وقد ورد هذا في العديد من أبيات القصيدة كما في قوله:

قَدْ حَازَ نَفْساً بَرَّةٌ مُكْتَمِلَهْ عَلَى ضَمِيرِ لاَئِقِ مُشْتَمِلَهْ

فقد ورد التصريع هنا بين كلمتي (مكتمله، مشتمله)، مما أكسب النص موسيقى داخلية، رائعة جلية.

ج – الجناس:

والجناس هو تقارب الكلمات في الحروف نوعاً، وعدداً[2]، وقد ورد الجناس الناقص في القصيدة في عدد من الأبيات كما في قوله:

طُوبَى لِمَنْ ثَوْبُ رَشَادُهُ اكْتَسَى فَهُوَ بِهِ فِي كُلِّ حُكْمٍ ذُو ائْتَسَى

وهنا يتضح في البيت الجناس بين الكلمات: (اكتسى، ائتسى).

د – الترادف:

[1] - إحسان صادق سعيد، علوم البلاغة عند العرب والفرس، المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق- دمشق - سوريا، ط1، 2000، ص 298.

[2] - علي الجارم - مصطفي أمين، البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة، دار المعارف، طبعة 1999، ص 263.

الترادف هو وجود كلمتين مختلفتين يدلان على معنى واحد[1]، وقد ورد هنا في النص في أبيات متعددة منها قوله:

إِلَى حَيَاءٍ وَوَقَارٍ وَعَمَلْ بِرٌ يُزِينُ وَلْيَقِسْ مَا لَمْ يَقُلْ

والترادف هنا بين لفظتي (حياء، وقار) حيث إن كليهما يدلان على معنى واحد وهو الاحترام؛ وهذا الترادف من شأنه تأكيد المعنى.

هـ – الطباق:

الطباق هو عبارة عن إيراد كلمتين معاً في بيت شعري واحد أو فقرة واحدة ولكل واحدة منهما معنى مختلف عن الأخرى، مما يكسب النص موسيقى داخلية ذاتية[2].

وهناك طباق يكون بين لفظتين، وهناك ما يكون بين شطري البيت الواحد أو بين بيتين شعريين أو بين جملتين ويسمى هذا مقابلة؛ وقد ورد هذا المبحث في النص بكثرة بالغة؛ وذلك لمناسبة روح التناقض والرفض والتمرد الشائعة في النص ومعنى التضاد أو المقابلة، كما أن للتضاد وظيفة أخرى هي: إبراز المعنى وتدعيمه وتأكيده وإقناع المتلقي به عن طريق التضاد كما في القول المأثور والمشهور "بأضدادها تتميز الأشياء" وشاعرنا قد أكثر منها وهذا لتوضيح المعنى بصورة أعمق[3].

ولقد ورد التضاد في النص صريحاً بعض المواضع منها ما جاء في البيت الثاني بين لفظتي (النظم والنثر)، وفي البيت الثامن بين لفظتي (افعل ودع).

كما أن المقابلة وردت في قول الشاعر:

وَإِنْ تُحَاوِلْ فِيهِ تَنْظِيمْ الْمَدْح فَمَا أُبِيحَ افْعَلْ وَدَعْ مَا لَمْ يُبِح

والمقابلة هنا بين جملتي "فما أبيح افعل ودع ما لم يبح".

2)– المستوى التركيبى:

---

[1] - عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، دار القلم، دمشق-الدار الشامية للطباعة والنشر، بيروت، ط1 1996، ج1، ص 354.

[2] - علي الجارم - مصطفي أمين،المرجع السابق، ص 184.

[3] - محمد بن منوفي، شعر ابن سهل الأندلسي دراسة أسلوبية، أطروحة دكتوراه دولة، إشراف د.صلاح يوسف عبد القادر، جامعة الجزائر، ص 181.

ويتناول هذا المستوى التراكيب اللغوية، ويقيس كثافة حضورها، وما تعكسه من ملامح التميز الأسلوبي من ناحية، والتأثير في المتلقي من ناحية أخرى، وبالتالي سوف أعمد في هذا المستوى إلى رصد وتحليل ما جاء في القصيدة من بنى تركيبية وهي كالآتي:

أ –التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير هو عبارة عن حدوث بعض التغييرات في بنية الجملة الترتيبية كأن يتقدم – مثلاً– المفعول به على الفاعل.. وما شابهه[1]، وهو في قوله: "**عُرْفُهُ قَدْ جَاءَ ذَا تَعَدُّدٍ**" أصله: (قد جاء عرفه ذا تعدد) وهذا من باب تقديم الفاعل على الفعل، وكذا في قوله " **عَنْ عُلَمَاءٍ جِلَّةَ عُرْفِ مَا**" وأصل الكلام عرف عن علماء جلة ما وهذا من باب تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور الواقع في محل نائب الفاعل عن الفعل.

ويعد هذا من قبيل ثراء ومرونة العربية كلغة؛ ومقدرة الشاعر الفنية واللغوية؛ فكل هذا من شأنه إثارة ذهن المتلقى وجذب انتباهه وجعله متواجداً مع النص.

ب –الحذف:

ويقصد به حذف أحد الأركان التى يمكن أن تُحذف من الجملة اسمية كانت أم فعلية دون أن يتأثر المعنى بهذا الحذف إطلاقاً وإنما يظل الكلامَ مفهومٌ وذلك لوجود قرينة في الجملة تدل على ما حذف من الكلام[2]؛ وهذا المبحث لم ترد أمثلة له كثيرة في النص منها ما جاء في قوله: " **مُحَمَّدٌ لَيْسَ يُدَانِيهِ أَحَدْ** " فقد حذف مبتدأ الجملة والكلام أصله: هذا محمد ليس يدانيه، ولكن المبتدأ المحذوف قد دل عليه ما سبق من أبيات وأيضاً البدل، وهذا أيضاً من شأنه إثارة ذهن المتلقى.

ج – الاستفهام:

[1] - عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، المرجع السابق ، ج1، ص 350.

2 - عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط 2005م،ج1، ص 84.

الاستفهام هو أسلوب من أساليب الجملة الإنشائية، تتنوع أنواعه بين الاستفهام الحقيقى والمجازي وكذلك تتعدد أغراضه البلاغية[1]، وهو لم يرد أيضاً في النص بكثرة ومن أمثلته هي:

-في قوله: " **فَأَيُّ حَالٍ لِلْمُحِبِّ بِحَمَلْ؟**" فهذا استفهام استنكاري يسأل الشاعر بعلم فيه عن حال المحب للرسول صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن حبه صادقاً.

د – النهي:

وهي الحث على عدم فعل شيءٍ معينٍ[2]؛ وهو لم يرد في النص إلا في ثلاث أبيات منها قوله:

ذَاكَ خُصُوصِيَةُ رَبٍّ مُقْتَدِرْ فَلَا تَقِسْ عَلَى الذِي مِنْهُ أُثِرْ

وَلَا تَقِسْ بِهِ امْرُؤًا فِيمَا أُخِذْ وَعَنْ سَبِيلِ الْقَصْدِ مَنْ قَاسَ انْتُبِذْ

فالنهي ورد في عجز البيت الأول، وفي البيت الثاني جاء في بدايته، وهو هنا ينهي عن تمثيل ماجاء به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بما جاء به شخص آخر من البشر، وكذا ينهي عن تمثيل أي بشر بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما جاء النهي في بيت آخر فيقول:

لَا تَيْأَسَنْ إِنْ غِبْتَ عَنْهُ فَصْلَا فَقَدْ يُبِيحُ الْغَيْبَ فِيهِ وَصْلَا

فهو في هذا البيت ينهي عن اليأس من البحث عن ما يمدح به الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الإنسان قد يقف حائراً في اختيار الكلام الذي يناسب شخص الرسول صلى الله عليه وسلم.

هـ – الأمر:

وهو ضد النهي إذ إن معناه هو: الحث على فعل شيء معين لما فيه من فائدة ستقع على فاعله[3] وهو من أكثر ما ورد في المستوى التركيبى، وقد في عدة أبيات من القصيدة حتى أنه جاء متتابعا في خمسة أبيات متوالية هي:

---

[1] - عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، المرجع السابق ، ج1، ص 258.

2 _ علي الجارم - مصطفي أمين، المرجع السابق ، ص 184.

3 - عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، المرجع السابق، ج1، ص 228.

فَأَعْمِلِ الْجِدَّ فَفِي الصُّبْحِ الْمُضِي وَغَيْرِهِ إِعْمَالِهِ قَدِ ارْتَضَى

وَأَتْبِعَنَّ الْيَومَ بِالْغَدِ فَمَنْ رَاعِ فِي الِاتِّبَاعِ الْمَحَلَّ فَحَسَنْ

وَاجْعَلْ هِمَامَكَ وَجَلَّتْ مَرْبَعَهُ لِشِبْهِ نَفْي أَوْ لِنَفْي مُتَّبِعَهُ

وَأَقِمِ الْعُمْرَ بِهِ فَمَنْ لَحِقْ بِهِ فَالِانْصِرَافُ مَنْعُهُ يَحِقْ

وَاقْرُرْ بِهِ عَيْناً وَخَلِّ مَنْ عَذَلْ وَجِدَّ كُلَّ الْجِدِّ وَافْرَحْ الْجَذَلْ

وكان الغرض من هذا الأمرٌ هو النصح والإرشاد للمتلقى وإيضاح ما قد يخفي أو يغيب عنه، خاصة وأنه يتعامل مع خير الخلق صلى الله عليه وسلم.

و – التمني:

وهو أن يطلب الإنسان بعض الأشياء التى يتمنى حدوثها قلبه[1]؛ وقد ورد في البيت الذي يقول فيه:

قَدَّمْتُهَا أَرْجُو بِهَا نَيْلَ الْقِرَى وَجَوَّزُوا التَّقْدِيمَ إِذْ لَا ضَرَرَا

ففي هذا البيت يتمنى الشاعر ويرجو بمدحه خير الخلق صلى الله عليه وسلم أن ينال رضاه ورضى خالقه سبحانه وتعالى.

ز – الجملة الاعتراضية:

وهي أن تأتي في سياق الجملة جملةُ اعتراضيةٌ لمغزى معين[2] وقد وردت في قوله:

وَكُنْ مُجِيداً –لاَ عَدِمْتَ الرُّشْدَا– لَهَا عَلَى الْحَدِّ الذِي قَدْ حَدَا

هنا جملة اعتراضية بينت تدعيم النصح بالدعاء الصالح لمن يريد الخوض في المدح النبوي.

ح –أسلوب القصر:

وهو ما كان وسيلته النفي والاستثناء أو إنما لكي يُعطى ما بعدهما حكماً مخالفاً لما قبلهما[3] والقصر لم يرد في النص إلا في موضعين هما:

---

[1] _ عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، المرجع نفسه، ج1، ص 251.

[2] - شاكر سبع نتيش الاسدي، الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم حقائق واوهام، كلية الاداب – جامعة ذي قار، مجلة آداب ذي قار، العدد2، المجلد1، ديسمبر 2010، ص 34.

[3] - عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، المرجع السابق، ج1، ص 523.

إِذْ لاَ تَطِيبُ مَدْحَةٌ إِلاَّ إِذَا لَمْ يَكُ قَوْلٌ مَعَهَا قَدْ نُبِذَا

فقد جعل طيب المدح لا يكون إلا إذا اقترن بقول نبذ، أي بقول يعاكسه.

وأيضاً جاء أسلوب القصر في بيت أخر يقول فيه:

مَا زَالَ يَدْعُونَا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى وَمَا لَنَا إِلاَّ اتِّبَاع أَحْمَدَ

فهو هنا يبين أن الفوز والنجاة لا ينالهما أحد إلا بإتباع لرسول صلى الله عليه وسلم.

في هذا المستوى رأينا أن أسلوبا الأمر والنهي كانا الأسلوبين البارزين في القصيدة وهذا راجع لدخول قسم معتبر من القصيدة في غرض النصح، وبدوره هذا الغرض كثيراً ما يتركب على الأمر والنهي، لأن الناصح مضطر لبيان ما يريد النصح به بصيغتي "أفعل ولا تفعل" وهاتان الصيغتان هما أبرز صيغتين للأمر والنهي.

3) – المستوى الدلالى:

وفيه أدرس التصوير الفني في تجلياته المختلفة، محاولاً استخلاص الذوق التصويري للشاعر، وبالتالي فيشتمل هذا المستوى على:

أ – التشبيه:

التشبيه هنا في القصيدة قليل قياساً على الاستعارة أو الكناية؛ ونجده في قوله:

إِذْ مَا نَرَى وَحَقِّ رَبِّ قَاهِرِ كَطَاهِرِ الْقَلْبِ جَمِيلِ الظَّاهِرِ

وَلَا بَدَا فِيمَا مَضَى وَلَا سُمِعْ مَعْنىً كَمَحْمُودِ الْمَقَاصِدِ الْوَرِعْ

ففي البيتين تشبيهين سبقا بنفي، فالشاعر ينفي أن يرى أو يسمع كالرسول عليه الصلاة والسلام، وكيف لا وهو الذي يقول: "أدبني ربي فأحسن تأديبي".

ب – الاستعارة:

الاستعارة نوعان منها ما يقوم على الكناية ويسمى استعارة بالكناية أو مكنية ومنها ما يسمى بالتصريحية وهي ما يصرح فيها بلفظ المشبه به، أي أنها تلك التى حذف منها المشبه، وأخذ المشبه به مكانه والأولى عكس الثانية[1].

[1] - عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، المرجع السابق، ج2، ص 229.

وقد جاءت الاستعارة هنا بنمطها الأول أي المكنية بكثرة في النص حتى أصبحت هي أكثر مباحث المستوى الدلالى ظهوراً ومن نماذجها في قول الشاعر:

"فَخَارُهُ أَتَى" فهذه استعارة مكنية شبه مكارم الرسول صلى الله عليه وسلم بكائن حي يأتي وحذف المشبه به وأورد لازم دل عليه وهو الإتيان.

وفي قوله: "إِذْ لاَ تَطِيبُ مَدْحَةٌ إِلاَّ إِذَا" وهنا أيضاً شبه المدح وهو شيء معنوي بشيء محسوس مثل الثمار تطيب لتأكل، وحذف المشبه به وهو الثمار ودل عليه بالطيب والنضج.

كما جاءت الاستعارة في قوله: "طُوبَى لِمَنْ ثَوْبُ رَشَادِهُ اكْتَسَى" فقد شبه هنا سبيل الرشد بإنسان يكتسي بثوب، وحذف المشبه به وأبقى على لازم دل عليه وهو لباس الثوب، وقد جاءت معظم الاستعارات على شاكلة الأولى أي مكنية.

ج – الكناية:

الكناية هي إثبات الصفة مدعومة بالبرهان، ومصحوبة بالدليل الذى يؤكد الدلالة التي يتوخاها المبدع[1]؛ حيث إن للكناية قيمة إبلاغية، وينطوي التعبير الكنائي على مقدار من التأثير النفسي، ويتمثل البعد الإبلاغي في الكناية في اللمحة الدالة؛ فالشاعر عندما يسدل على المعنى الحقيقي الذي يقصد إليه ستاراً لفظياً يجعل المتلقي متحفزاً، ومتشوقاً لرد هذا الستار، ومعرفة المرمى الذى يسدد إليه.

وقد وردت الكناية في القصيدة بشكل كبير، فقد تكررت في مواطن كثيرة، ومن الكنايات الواردة في القصيدة قوله: "لَمْ يَلْقَ ذُو النُّطْقِ لِلْبَسِّ مَنْفَذَا" فالمعنى الذي يتوارى خلف هذا التعبير هو أن من يدعى البراعة في كلامه لا يكفيه كلامه أو براعته للإحاطة بكل يستحق الرسول صلى الله عليه وسلم من الوصف والثناء، كما أن الشاعر أخفي معنى آخر وراء قوله: "فَقَدْ يُبِيحُ الْغَيْبُ فِيهِ وَصْلَا" وهو أن الغيبة من هذا الشكل في حقه قد يباح.

[1] - عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، المرجع نفسه، ص 135.

كما وردت الكناية في قوله: "هَاكَ رَسُولَ اللهِ مِنِّي جُمْلَهْ" وبقصد بذلك التقرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه القصيدة التي يعتبرها جملة متواضعة يستحق أكثر منها، ويواصل التواضع بها في قوله: "وَهْيَ لِكَوْنِهَا غَرِيبَةُ الصِّفَهْ" حيث يرى أن قصيدته مع غرابة طريقة نظمها أي تحويل مقصد نظم من النحو إلى المدح يعد حقاً ضرب من الغرابة الأدبية، ولكن ذلك لا يفي حق الممدوح، وهذا ما أشار إليه في قوله: "بَلْ لَا تَفِي وَإِن بَدَتْ مُحَرَّرَهْ" رغم كون القصيدة متحررة من المألوف عند الشعراء.

لقد وفق المزمري في قصيدته التي يرى أنها غريبة الأطوار، وكيف لا وهو الذي سلك فيها منهجا غريبا وصعباً، فالشاعر يقوم بنظم قصيدة من إبداعه أسهل عليه من تكييف قصيدة بغرض مختلف ليضيف لها أشطراً من نسجه، والأصعب هو التوفيق بين ما نسجه وما نسج غيره، فما نراه في هذه القصيدة هو التوفيق الكلي للشاعر في انتحائه هذا المنحى، وحتى أنه وفق في نسج قصيدته تلك على منوال الشعراء القدامى، كما وفق في جعل ما ضمنه من الألفية يشكل صوراً أدبية موحية، بالتنسيق مع ما أنشأه هو.

2- تحليل قصيدة " رعى الإله أمراً" :

أولاً هذا نص القصيدة:

رَعَى الإِلَهُ أَمْراً يُخْشَى الإِلَهُ لَهُ ... إِنْ هَبَّ لِلْخَيْرِ أَهْلُ الْخَيْرِ نَامُوسُ

نَعَمْ وَإِنْ خَاضَ أَهْلُ الشَّرِّ فِيهِ فَلَا ... يَلْقَى لَهُ لِطُلَّابِ الشَّرِّ جَامُوسُ

وَمِنْ شَمَائِلِهِ أَنْ لَيْسَ ذَا شَرَفٍ ... فِي الأَكْلِ كَيْلَا يُقَالَ ذَاكَ جَارُوسُ

لَا يَهْمِلُ الْحَزْمَ لَا تَزَالُ مُحْتَرِزاً ... لِمَنْ يُظَنُّ صَدِيقاً وَهْوَ قَاعُوسُ

لَا لَا وَمَعْ ذَاكَ يَقْضِي مِنْ نَزَاهَتِهِ ... كَأَنَّهُ وَهْوَ أَزْكَى النَّاسِ بَابُوسُ

وَلَيْسَ مِثْلُ امْرِيءٍ فِي اللَّهْوِ هِمَّتُهُ ... لَهُ نَوَىً مَا تَرُومُ الصَّيْدَ دَامُوسُ

بَلْ هَمُّهُ فِي ابْتِنَاءِ الْمَجْدِ فَهْوَ عَلَى ... عُلَاتِهِ كَفُّهُ فِي الْجُودِ قَامُوسُ

قَدْ حَازَ خَلْقاً جَمِيلاً زَانَهُ خُلُقٌ ... مُسْتَعْرِبٌ فَهْوَ حُلْوُ الطَّبْعِ قَابُوسُ

مَا ضَانَهُ دِينُ مَنْ ضَلُّوا وَكَانَ لَهُمْ تَشَاؤُمٌ لِلرَّدَى أَبْدَاهُ عَاطُوسُ

وَلَا جَوَابَ لَهُ إِنْ غَابَ ذُو سَفَهٍ وَلَا سَمَاعَ لَهُ إِنْ تَمَّ قَانُوسُ

ذَاكَ الذِي حَقَّ أَنْ يُهْدَى لَهُ شَرَفٌ عَيْنٌ وَخَيْلٌ وَأَبَالٌ وَجَامُوسُ

التحليل:

القصيدة جاءت في التصوف والزهد، فالمزمري في معظم شعره كما نعلم، يبتدئ قصائده دون مقدمات، وهذا قد يرجع إلى ميل الشاعر إلى الغرابة والابتداع،فما نلاحظه في هذه القصيدة هو دخول الشاعر في صلب الموضوع مباشرة فيقول:

رَعَى الإِلَهُ أَمْراً يُخْشَى الإِلَهُ لَهُ إِنْ هَبَّ لِلْخَيْرِ أَهْلُ الْخَيْرِ نَامُوسُ

نَعَمْ وَإِنْ خَاضَ أَهْلُ الشَّرِّ فِيهِ فَلَا يَلْقَى لَهُ لِطُلَّابِ الشَّرِّ جَامُوسُ

أما فيما يخص عنوان القصيدة فنلاحظ أن المزمري لم يسمي قصائده خاصة تلك التي جاءت خارج الغرض التعليمي، فقد يكون متأثراً بالشعراء القدامى في الجاهلية وبدايات العصور الإسلامية الأولى، لما كان الشعراء لا يطلقون اسماً على قصائدهم، ففي الجاهلية أطلق اسم المعلقات على شعر أصحابها، ولا توجد قصيدة واحدة تحمل اسماً معيناً، وكذلك بعد مجيئ الإسلام نجد الكثير من الشعراء الكبار ألفوا دواوين كبيرة في الشعر، ولكنهم لم يطلقوا على أي قصيدة منها اسماً معينا، وهذا قد يكون راجعاً إلى كون الشعر مألوفاً عندهم، حتى عدوه من الكلام العادي غير أنه يحمل جرساً موسيقياً مما يجعله متميزاً عن الكلام العام، أو لكون الناس في تلك الأزمنة يعبون بالمعنى العام للقصيدة، فسارت العادة أن لا يوضع للقصيدة اسماً قد يضيق فضاء معناها العام.

إن قراءة النص تكشف أن المزمري يبين لنا انتماءه للطريقة الصوفية التي تتخذ من الزهد منهجاً لها، حيث استهل قصيدته بتصوير حالته مع خالقه سبحانه وتعالى، وكذا الحالة العامة لمن يريد أن يزهد في الدنيا، ويتخلق بأجمل وأبهي الصفات المحمودة لدى الصوفية وأهل الله.

في ضوء هذه المضامين، نقف على جملة من المؤشرات النصية، منها: تعدد ضمائر الغائب في النص (شَمَائِلِهِ، لِمَنْ، وَهْو، كَأَنَّهُ وَهْو، قَدْ حَاز، مَا ضَانَهُ...)، وكلها حقيقة دالة على يريده

الشاعر، أما المعجم فقد جاء معبرا عن الفكر الصوفي، حيث انتقى الشاعر ألفاظاً وعبارات دالة على ذلك (يُخْشَى، هَبَّ لِلْخَيْرِ، نَزَاهَتِهِ، الْجُودِ، يُهْدَى، شَرَفٌ...)، وألفاظ دالة على الشر (لِطُلَّابِ الشَّرّ، اللَّهْوِ، مَنْ ضَلُّوا، تَشَاؤُمٌ، لِلرَّدَى، ذُو سَفَهٍ...)، ولا يخفي علينا من خلال هذه الحقول الحضور القوي للزهد، مما يعني أنه عنصر مهيمن على نفسية الشاعر، في توحد تام مع سبل الطرق الصوفية وما يرتبط بها من أقوال وأفعال (خشية الله، الابتعاد عن الملذات، الوهد في الدنيا وشهواتها).

أما من حيث الأساليب فقد جمع الشاعر بين الأسلوبين الخبري والإنشائي، فالأول استعان به للإخبار عن ما يجب تجنبه ، مثل (وَلَيْسَ مِثْلُ امْرِيءٍ فِي اللَّهْوِ / شَمَائِلِهِ أَنْ لَيْسَ ذَا شَرَفٍ / لَا يَهْمِلُ الْحَزْمَ / لِمَنْ يُظَنُّ صَدِيقاً وَهْوَ قَاعُوسُ...)، أما الثاني فيرتبط بما يجب فعله (بَلْ هَمُّهُ فِي ابْتِنَاءِ الْمَجْدِ/ كَفُّهُ فِي الْجُودِ قَامُوسُ/ قَدْ حَازَ خَلْقاً جَمِيلاً زَانَهُ خُلُقٌ/ مُسْتَعْرِبٌ فَهْوَ حُلْوُ الطَّبْعِ قَابُوسُ...).

وبالعودة إلى إيقاع القصيدة الخارجي، نجد الشاعر بناها على وزن بحر البسيط (مستفعلن فاعل مستفعلن فاعلن)، وقد التزم فيه الشاعر بالعروض الصحيحة والضرب مثلها، كما وحد في الروي والقافية التي تمثلت في حرف (السين) على المستوى الداخلي للقصيدة، كما تكررت كلمات بالتضاد (الخير، الشر / صديق، قاعوس / هدي، ضلال...)، وتوازت الصيغ الصرفية، مثل: (خَلْق، خُلُقٌ / نَامُوسُ، جَامُوسُ...). ومن المؤكد أن كلا من التكرار والتوازي، قد أديا في هذه القصيدة، فضلا عن الوظيفة الجمالية، وظيفة تعبيرية، حيث تصوير وتأكيد النزعة الزهدية للشاعر ضمن الطريقة الصوفية التي يتبعها.

صفوة القول، يمكن اعتبار هذه القصيدة من النماذج الشعرية التي تعكس بعمق مضامين الخطاب الزهدي لدى المزمري، حيث واظب فيها على اتباع أصول القصيدة الكلاسيكية، شكلا ومضمونا، ووصولا إلى المعجم اللغوي الذي يغترف من مألوف الألفاظ ومأثورها، والصور الشعرية التي نزعت نحو الحقيقة والثبات، مما يؤكد بحق، ضلوع المزمري في قريض الشعر، وكذا انتهاج

الشاعر للتصوف كمنهج منتشر بكثرة في بيئته، وكذا تبني نشر وترسيخ الطريقة لدى أكبر عدد ممكن من المسلمين وغرس معالمها لديهم.

خـــــاتـمـــــة

أن توات منطقة غنية وأرض طيبة مباركة فهي بلد العلم والاستقرار وبلد اجتمعت فيه ثقافات متعددة وتحصلت فيه أراء وأفكار العديد من العلماء هذا ما جعلها منارة للعلم وقبلة لكل ذي حاجة فقد كانت ولا تزال محطة العلماء والصالحين ومكان للعابدين والزهاد.

فإن مما سبق يتبين لنا ويظهر جليا وكحوصلة عامة لدراستنا السابقة والمتواضعة حول الحركة الشعرية بتوات وأهم المآثر والانجازات الأدبية التي برزت بها نستخلص الآتي:

- تعتبر المدارس الدينية التواتية (الزوايا العلمية)، الفضاء المناسب، لنتاج الأدب بحكم ارتباطه في هذه المنطقة بأهل العلم، فلقد ارتبط الأدب بتوات، بالعديد من العلوم، مثل الشعر التعليمي، والعلوم الشرعية، والنوازل، والمدح النبوي، والتصوف.
- عرف القرن 12هـ، ظهور العديد من الشخصيات التي أدلت بدلوها في الأدب، والتي ساهمت بقسط وافر في ازدهار الأدب التواتي، أمثال عبد الرحمان الجنتوري، وامحمد بن عبد الله الونقالي، وابن الونان التواتي، ومحمد بلعالم الزجلاوي، ومحمد بن المبروك البوداوي، ومحمد البكري التينيلاني،....

- أن الشعراء التواتيين تخلص بعضهم من المقدمات الطللية، فيما شاكل البعض الآخر شعراء الجاهلية فيها، وقد جاءت هذه المقدمات بصورة غزلية كما هو معروف عند العرب.

- أن الشعراء التواتيين انتحوا في معظم أشعارهم ظاهرة التصريع في مطالع نماذجهم الفنية، وربما يرجع ذلك إلى تشبثهم بالتراث العربي القديم، فظهرت آثاره في حياتهم الفنية .

- حفرت العائلة العلمية التواتية اسما راسخا لها في التاريخ العلمي والثقافي لمنطقة المغرب العربي، فقد انتشر أعلامها في أنحاء المنطقة فأسسوا الزوايا العلمية العامرة في مناطق متفرقة في الجزائر والمغرب وموريتانيا وحتى في بلاد السودان قديما. ورغم شح المادة العلمية عن بعض الأعلام إلا أنه من خلال ما هو مبسوط في المصادر وما تحويه الخزائن من تراث علمي يمكننا أن نستنتج مدى الدور العلمي الكبير الذي لعبت هؤلاء الأعلام والذي أمتد شعاعه ليسع منطقة توات وجاراتها.

- وبهذه النماذج الأدبية يمكن القول أن شعراء توات لم يكن ليفصلهم عن هموم أمتهم وقضايا دينهم حاجز الزمان والمكان أو بقية الحواجز الأخرى، فسجلوا حضورهم القومي بكل عز وافتخار، وكانت هذه النصوص خير شاهد على تأثر هؤلاء جميعا بمجريات أحداث الأمة، فشاركوا في الزود عنها أولا، والتأريخ لها ثانيا، وهو ما يعكس ثقافة الجميع ومتابعتهم لكافة الأحداث التاريخية.

- أن دور المتون والمختصرات دورا لا يستهان به في إبراز وتجلية علم السلوك والتربية، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان أن حديث جبريل كان له الأثر الكبير على منهجية التأليف المختومة بالتصوف بعد معالجة مبحثي الإيمان والإسلام واللغة والأدب.

- ومن هنا تبدو أهميّة الثّقافة الدّينيّة والاتّجاه الصوفيّ بخاصّة، إذ أنّ تهافت العامّة والخاصّة، على حدّ سواء، على تلقّي هذا اللّون من الثّقافة والخضوع الّذي يشبهه خضوع العبد إلى ربّه يعدّ سمة ذلك الاتّجاه.

- جال الشيخ ابن أب تواتا فكان على الناس شمساً بازغة، وفي العلم حجة بالغة، فملأ بالعرفان قلوباً فارغة، وردّ إلى الطريق عقولاً زائغة.

- كما شارك الأهالي محنهم وإحنهم، سرورهم وأفراحهم. وما ذيوع صوت الشيخ والترحاب الذي كان يلقاه ما هو إلاّ دليل على المكانة التي تركها في نفوس أهل هذه الشعب.

- أما من حيث الأدب فقد كثرت إبداعاته، وتنوعت إنتاجاته. فقد نظم الشعر وقبض قوافيه، وكتب النثر وسكنت له فنونه ومراميه، فهو بحق شاعر عُرفت له قصائد كثيرة، كما عرفت له مقطوعات ونُتفٍ مختلفة أيضاً، وفي مواقف كثيرة.

- وهو أديب كتب معظم تأليفه في النحو واللغة، وقد سلك في ذلك منهج الأقدمين متأثرا بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة والموروث العربي القديم، وقد عرف الشيخ عدة فنون منها الإجازة والتراجم،...

- يعد الشيخ ابن أب بحق أديب زمانه فقد ساهم في إثراء الحركة الأدبية شعرا ونثرا له قصائد متعددة في شتى الأغراض الشعرية وشعره متأثر بالمعاني الدينية ولم يجعل لنفسه منهجا معينا يتسم به.

- كان الشيخ عالما علامة متفننا في علوم العربية نحوا و صرفا و إنه لبرهان ساطع ودليل قاطع في من اختارهم الله واصطفاهم ورعاهم بعين عنايته لخدمة اللغة العربية وصيانتها بحفظ رجالها و تعليم نشئها .

- للشيخ جهود أدبية لا تنكر ويتضح ذلك جليا في قصائده المدحية ومنظوماته التعليمية نذكر منها كتابه "نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم " و"روضة النسرين في مسائل التمرين" وقصائد المدح التي مرت بنا.

- انتحى الشيخ ابن أب منحى فحول الشعراء، من خلال التناص والتضمين...، كما أنه سار على نهج الشعراء الأندلسيين والمغاربة، باقتباسه أشطر أو جميع أشطر قصيدة ليوظفها في غرض مغاير لغرض القصيدة الأصلية.

- أن الشاعر استطاع أن يطوع الأصوات في بنيتها بين الجهر والهمس والفخامة والرنة والشدة والرخاوة لتتلائم مع طبيعة أسفاره المتقلبة الحركة والسكون .

- كان الشاعر معروفا بطول الباع في شتى العلوم وقد تحلى بصفات تدل على مكانته العلمية السامية التي وصل إليها ومن محاسنه شغفه بالعلم حيث أنه لم يترك فنا إلا تعلمه وألف فيه من علوم الدين واللغة العربية وآدابها و كان ذا حماس لما يراه صوابا وكان مناصرا لما يراه حقا وقد استجاب الله لشيخه حيث دعا له بالطول في العلم .

- إن حركة الشيخ الإصلاحية والتعليمية في نفس الوقت لا تقل أهمية وعطاء عن الحركات التعليمية الإصلاحية التي سبقتها أو التي عاصرتها فهو يشترك مع مجموعة من المشايخ في محاربة البدع التي لصقت بالإسلام، ودعوته إلى الرجوع إلى منابعه النقية، ويشترك معهم في مجال تأسيس دور العلم ونشره وتعليمه .

- تخرج على يد الشيخ العديد من العلماء والأئمة ومن بينهم " الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني" وغيره بالإضافة إلى مختلف الفقهاء والطلبة الحافظين لكتاب الله .

- سمى ابن أب الوزن الذي نظم عليه قصيدته بحر المضطرب ولأهل الاختصاص رأي في هذا الوزن.

هي إذن قطرة من بحر، وقليل من كثير، من إبداع رجال عظماء علّموا فنفعوا وكتبوا فأبدعوا، رجال يرجون من ذلك كما يقولون في جل كتاباتهم: ثواب ربهم وعفوه ورضاه، علماء أعطوا دروسا وعبر، وخرّجوا شيوخاً ودُرراً، فرحمهم الله.

وفي الأخير هذه خلاصة لما كتبناه، ولا ندعي أننا أتينا بالشيء الكثير، بل حسبنا أن حاولنا فقط أن نعطي عن توات صورة تكاد تكون واضحة الملامح والتميز، هذا فإن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن النفس والشيطان، والحمد لله في بدء ومختتم.

مـــــــلاحـــــــق

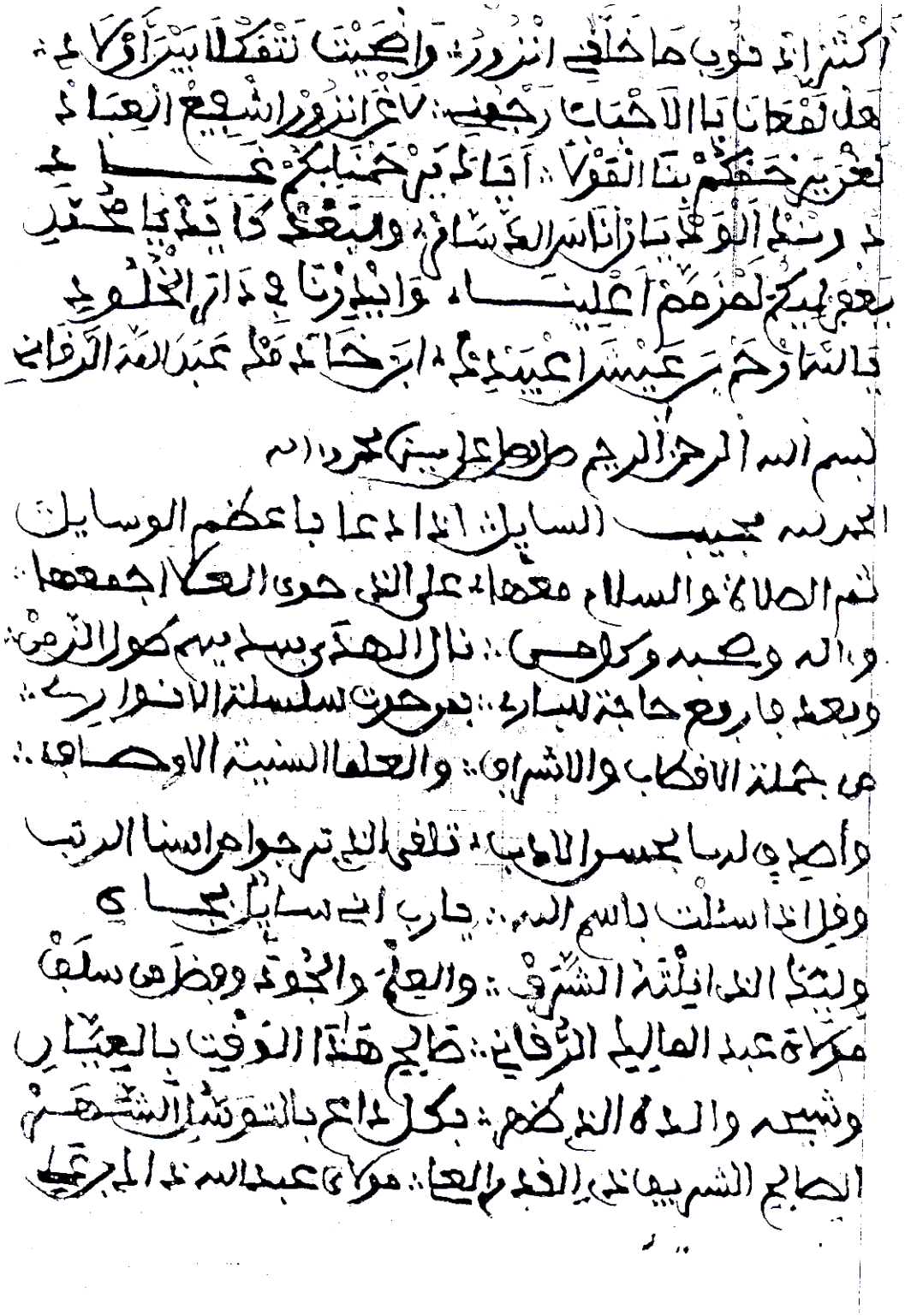

نسخة من مخطوط لمطلع قصيدة التوسيلة لسيدي محمد ابن أب المزمري يذكر فيها شيوخ الولي الصالح سيدي مولاي عبد الملك الرقاني موجودة بخزانة كوسام - أدرار

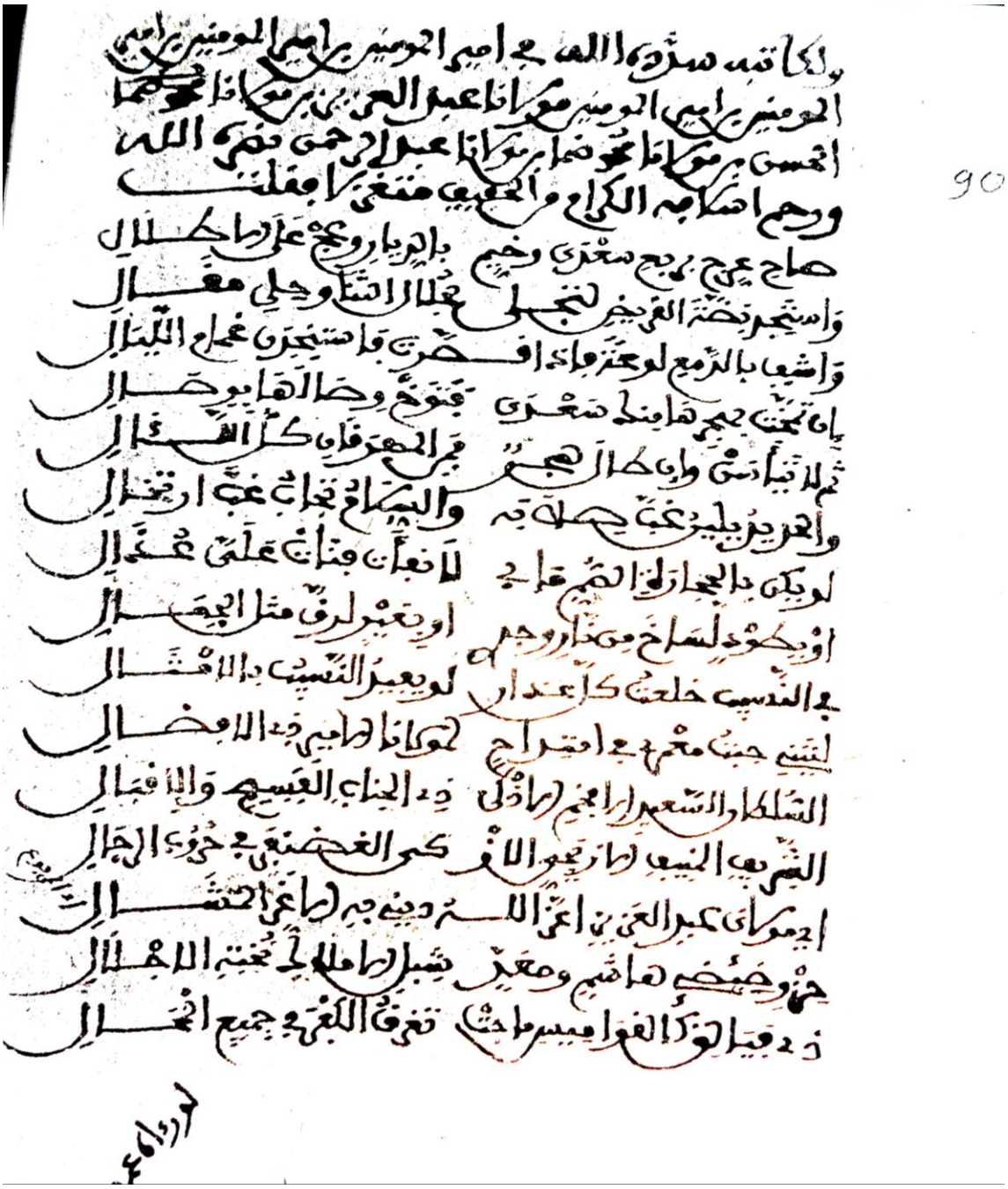

نسخة من مخطوط قصيدة طويلة لسيدي البكري بن عبد الرحمان يمدح فيها السلطان العلوي المغربي عبد العزيز بن الحسن موجودة بخزانة باعبد الله - أدرار

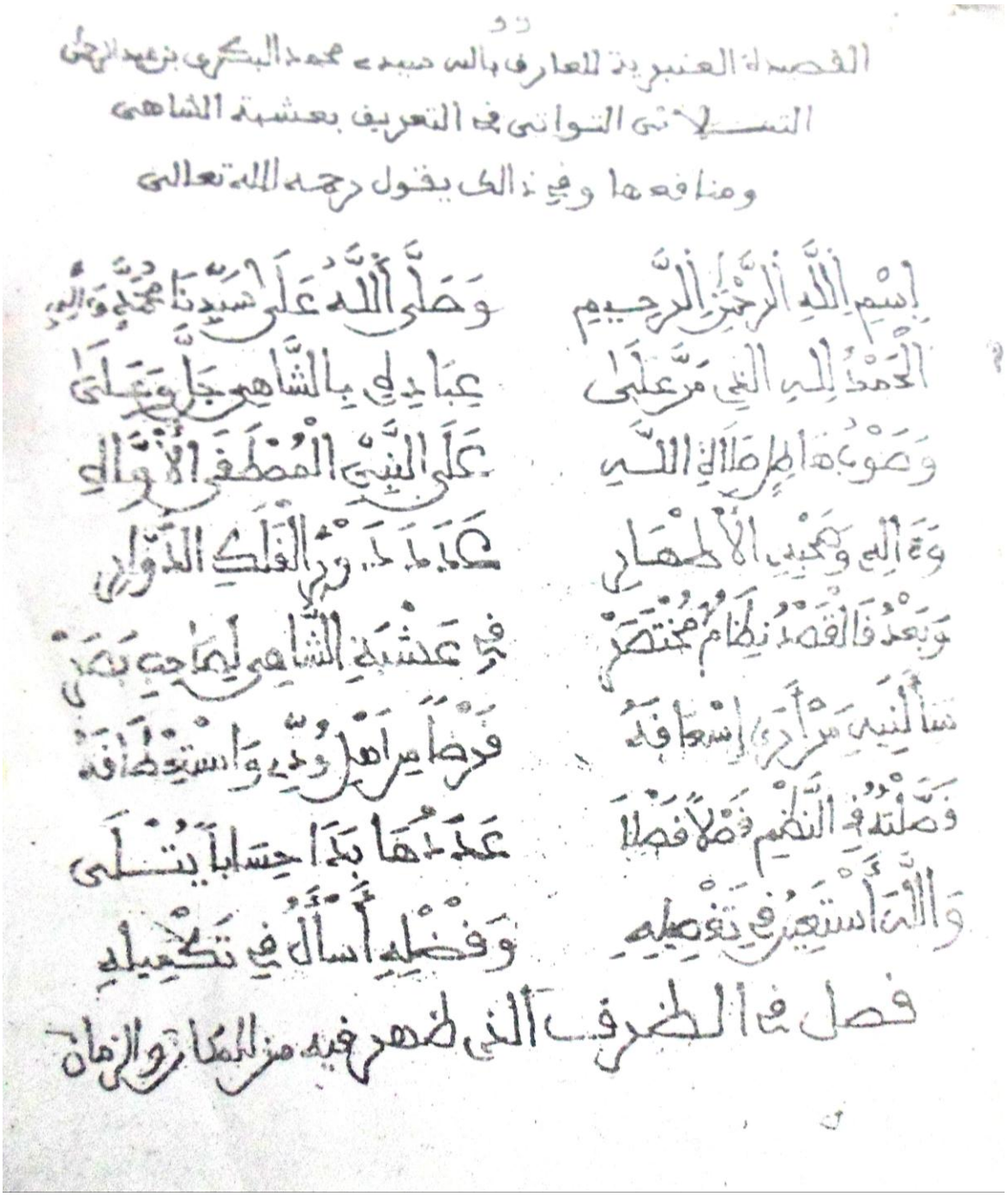
القصيدة العنبرية للعارف بالله سيدي محمد البكري بن عبد الرحمن
التسلاتي الشواني في التعريف بعشبة الشاهي
ومنافعها وفي ذالك يقول رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَى ... عِبَادِهِ بِالشَّاهِي جَلَّ وَعَلَا
وَصَوْبُهَا لِمَوَالِي اللَّهِ ... عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْآلِ
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ ... عَدَدَ دُرِّ الْفُلْكِ الدَّوَّارِ
وَبَعْدُ فَالْقَصْدُ نِظَامٌ مُخْتَصَرْ ... فِي عَشْبَةِ الشَّاهِي لِصَاحِبِ بَصَرْ
سَأَلَنِي سِرَّاً رَأَى إِسْعَافَهُ ... فَرْضَ أَمْرِ أَهْلٍ وُدِّي وَاسْتِيطَافَهُ
فَصَّلْتُهُ فِي النَّظْمِ فَصْلاً فَصْلاَ ... عَدَدَهَا بِدَا حِسَاباً يُتْلَى
وَاللَّهَ أَسْتَعِيرُ فِي تَفْصِيلِهِ ... وَفَضْلِهِ أَسْأَلُهُ فِي تَكْمِيلِهِ
فصل في الظرف الذي ظهر فيه من المكان والزمان

نسخة من مخطوط قصيدة طويلة من عدة فصول لسيدي البكري بن عبد الرحمان يمدح فيها عشبة الشاي موجودة بخزانة باعبد الله - أدرار

نسخة نموذخ عن حالة المخطوطات بالمنطقة

المصـــــادر والمـــراجـــع

- القرآن الكريم برواية ورش.

أولاً: المصادر:

1- ابن السراج ،الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة بيروت، 1985م.

2- ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تحقيق: المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 1985م.

3- ابن رشيق القيرواني، العمدة في نقد الشعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار صادر، لبنان، الطبعة الأولى2003م.

4- أبو إسحاق إبراهيم الإصطخري، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1927م.

5- أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي، الديوان، دار بيروت-بيروت لبنان،ط 1983م.

6- أبو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولة السعدية- ، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م.

7- أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، ج1-2، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، 1992م.

8- أبو القاسم عبد الرحمان الزجاجي، اللامات، تح: مازن المبارك، دار الفكر دمشق، ط2، 1985م.

9- أبو الوفاء ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1999م،.

10- أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط3، 1988م.

11- أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي - أبو ظبي، ط1، 2006 م.

12- أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم (ت.723هـ)، المقدمة الأجرومية، د.ت، د.ط.
13- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.
14- أبو علي محمد بن الحسن المظفر الحاتمي، حلية المحاضرة، تحقيق: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، د.ط، د.ت.
15- أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم ، تحقيق: إبتسام الصفار، دار الوفاء، بغداد، ط1، 1992م.
16- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1952م.
17- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1 2008م.
18- أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.
19- البرتلي الولاتي أبي عبد الله فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
20- تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق : عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1، 1987م.
21- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق–سوريا، الطبعة الأولى، 2008م.
22- الحسن ابن محمد الوزان (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حاجي، ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1983م.

23- الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1981م.
24- رضي الدين الاستراباذي، شرح حاشية ابن الحاجب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد- محمد نور الحسن- محمد الزفراف، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1982م.
25- الرماني، الحدود في النحو، تح : مصطفي جواد ويوسف يعقوب مسكوني، سلسلة كتب التراث، دار الجمهورية، بغداد ، 1969 م.
26- السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1407هـ- 1987م.
27- السيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر بيروت، ط2، 1399هـ-1979م.
28- شرف الدين يحي العمريطي (ت 989 هـ)، نظم الأجرومية، مطبعة الحلبي وأولاده، مصر، د.ط، 1343هـ.
29- ضياء الدين بن الأثير، الاستدراك، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الأنجلو المصرية نشر سنة1958م.
30- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م.
31- عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان العبر المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت-لبنان، 2001م.
32- عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، كتاب اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط2، 1985م.
33- عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، تاريخ السودان، طبع هوداس، باريس، 1981م.

34- عبد القاهر الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 2006م.
35- علي بن عبد العزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي، نشر عيسى البابي الحلبي، 1966م .
36- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة الثامنة، 2005م.
37- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.
38- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق: عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط3، مصر، 1993م.
39- كعب بن زهير، الديوان، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1997م.
40- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق وتعليق طه الحاجزي ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1956م.
41- محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح حاشية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، محمد الزقراف، محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1982م.
42- محمد بن عبد الكريم المغيلي، كتاب أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبايدية، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
43- محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، الألفية في النحو والصرف، ضبط وتعليق عبد اللطيف بن محمد الخطيب، مكتبة دار العروبة الكويت، ط1، 2006م.

ثانيا: المراجع:

44- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار الطباعة الحديثة القاهرة، 1961م.

45- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الانجلو مصرية، مصر، الطبعة الرابعة، 1972 م.

46- إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2008م.

47- أبو القاسم بن عبد الرحمان البادرياني، مجموع المكنون في ثلاثة فنون، مكتبة المعارف تيميمون، د.ط، د.ت.

48- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م.

49- إحسان صادق سعيد، علوم البلاغة عند العرب والفرس، المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق- دمشق - سوريا، ط1، 2000م.

50- أحمد ابالصافي جعفري، محمد الإداوعلي حياته وآثاره، سلسلة رجال في الذاكرة الوقفة الثانية، دار الغرب، وهران، ط1، 2008م.

51- احمد ابالصافي جعفري، محمد بن أب المزمري (1160ه) حياته وأثاره، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر،2004م.

52- أحمد ابالصافي جعفري، محمد بن المبروك حياته وآثاره، سلسلة رجال في الذاكرة الوقفة الأولى، دار الغرب، وهران، ط1، 2008م.

53- أحمد بوساحة: أصول أقدم اللغات في أسماء وأماكن الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م.

54- أحمد محمد عطا، نونية ابن زيدون بين التأثر والتأثير، مكتبة الآداب 2005م.

55- أحمد مطلوب، البلاغة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الطبعة الأولى، العراق،1980م.

56- أشواق محمد إسماعيل النجار، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته، دار دجلة، عمان، الأردن، 2007م.

57- ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، دار التنوير لبنان ، ط1، 1983م.

58- أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق. 1987م.

59- بسيوني فيود، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية، مكتبة وهبة- القاهرة، د.ط، د.ت.

60- بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى، الجزائر، 2005م.

61- بيير جيرو، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة حلب، ط،2 1994م.

62- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار اللاذقية،1983 م.

63- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، طبعة 1994م.

64- حفيظة أرسلان شابسوغ، الجملة الخبرية والجملة الطلبية تركيبا ودلالة، عالم الكتب الحديث اربد، الطبعة الأولى 2004م.

65- خلف الله محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الانجلو مصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة-مصر، 1965م.

66- رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993م.

67- شوقي الجمل-عبد الله عبد الرزاق، تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1998م.

68- صديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ، ط1، 2003م.

69- صلاح فضل، إنتاج الدلالة – قراءة في الشعر والقصص والمسرح-، هيئة قصور الثقافة، 1993م.

70- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة: 164، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت سنة 1992م.

71- الطاهر بومزبر، أصول الشعرية العربية، نظرية حازم القرطاجني في تأصيل الخطاب الشعري، دار موفم للنشر، الجزائر،2007م.

72- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، ط2، 1980م.

73- عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، دار القلم، دمشق-الدار الشامية للطباعة والنشر، بيروت، ط1 1996م.

74- عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الرابعة، 1993م.

75- عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 1987م.

76- عبد الفتاح بسيوني فيود، علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، د.ط، د.ت.

77- عبد الفتاح عثمان، دراسات في علم المعاني والبديع، مكتبة الشباب، المنيرة، 1983م.

78- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط6، 2006م.

79- عبد الله الغذامي، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية)، دار سعاد الصباح، ط2، 1993م.

80- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن اباعمر التينيلاني، المورد العنبري شرح منظومة العبقري في حكم سهو الاخضري، طبع مكتبة المعارف تيميمون، الجزائر.

81- عبد الله بوخلخال، التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987م.

82- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط 2005م.

83- عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة آولف العريقة، دون دار النشر، الجزائر، دون تاريخ .

84- علي الجارم - مصطفى أمين، البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة، دار المعارف، طبعة 1999م.

85- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، 1997م.

86- فاروق شوشة، لغتنا الجميلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999م.

87- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطني للكتاب، الجزائر، 1977م.

88- كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر، عمان- الأردن، ط،1 2006م.

89- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000 م.

90- مارك أنجينو، أصول الخطاب النقدي، ترجمة أحمد المديني، دار الشئون العامة بغداد، ط1 ، 1987م.

91- ماهر مهدي هلال، رؤى بلاغية في النقد والأسلوبية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006م.

92- مبروك مقدم ، الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان، ط1، 1422هـ- 2002م.

93- المجموع الكامل للمتون، اعتنى به كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط1، 2005م.

94- محمد البكري بن عبد الرحمان، شفاء القلب العليل بتحقيق شرح منظومة البكري على أوصاف الخيل تحقيق وتحليل محمد سالم بن عبد الكريم، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2006م.

95- محمد الصالح حوتيه، توات والأزواد، جزآن، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

96- محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م.

97- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، مطبعة دار هومه، الجزائر، ط2005م.

98- محمد باي بلعالم، الرحيق المختوم على نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم وهو كتاب مطبوع.

99- محمد باي بلعالم، المباحث الفكرية على شرح الأرجوزة البكرية، مطابع عمار قرفي، باتنة- الجزائر، د.ط، د.ت.

100- محمد باي بلعالم، قبيلة فولان في الماضي والحاضر ومالها من العلم والمعرفة والمآثر، دار هومة،2004م.

101- محمد بن منوفي، سلسلة التراث الحضاري في الأندلس، دراسة تحليلية في شعر ابن سهل الأندلسي، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، طبعة 2002م.

102- محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة بيروت ط1، 1979م.

103- محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1996م.

104- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.

105- محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة-مصر، الطبعة الثالثة، 1997م.

106-محمد مصطفى أبو شوارب، إيقاع الشعر العربي تطوره وتجديده، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2007م.
107-محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1، 1995م.
108-محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.
109-محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، 1998م.
110- محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر هوداس، باريس، 1964م.
111-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان،1961م.
112-مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط مطبوع.
113-مولاي التوهامي غيتاوي، سلسلة التوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، ج1، دط، دت.
114-نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.
115-الهيب أحمد فوزي، الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء، مكتبة المعلا، الكويت، 1407 هـ- 1987 م.
116-يحي بوعزيز، كتاب أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995م .
117- يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار الميسرة، عمان، ط1، 2007م.

ثالثا: المخطوطات:

118-ابن بابا حيدا، القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بخزانة باعبد الله- أدرار.

119-تقاييد مختلفة عند أحفاد سيدي علي بن حنيني بزاجلو- بلدية زاوية كنته- أدرار.

120-التواتي، مختصر الدر المصون، خزانة كوسام . تيمي . أدرار.

121-الحاج محمد بكراوي بلعالم، مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية، بخزانة البكراويين بتمنطيط .

122-الحاج محمد بكراوي، مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء توات، بخزانة البكراويين بتمنطيط .

123-ضيف الله بن أب، الرحلة لزيارة قبر الوالد، نسخة بخزانة تمنطيط، ونسخة منها في خزانة باعبد الله، أدرار.

124-عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني،(فهرست التنلاني)، مخطوط، خزانة تينيلان، ادرار، الجزائر.

125-محمد بن عبد القادر بن عمر التينيلاني، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، نسخة بخزانة باعبد الله، أدرار.

126-محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

127-محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

128-مخطوط تقييد حول نسب الشيخ المغيلي في خزانة أحفاده بزاوية الشيخ بلدية زاوية كنته- أدرار.

129-مخطوط تقييد حول دخول العلماء إلى إقليم توات، مجهول المؤلف، خزانة بن الوليد أدرار.

130-مخطوط حول علماء الدغامشة وقورارة، محمد باي بلعالم، الركينة، أولف-أدرار.

131-مخطوطات وتقاييد بخزانة باعبد الله أدرار .

132-مخطوطات وتقاييد بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغا، بلدية أدرار .

133-مخطوطات وتقاييد موجودة بخزانة كوسام أدرار.

رابعا: الرسائل الجامعية:

134-أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، رائد الحركة الفكرية في توات، رسالة ماجيستير كلية العلوم الإنسانية والإسلامية جامعة وهران،2000-1999.

135-عبد الرّحمن بعثمان، فهرسة عبد الرّحمن بن عمر التواتي تحقيق، مذكرة ماجستير في التّاريخ العام، جامعة بشار 1430هـ - 2009م

136-فرج علام، شعر ابن منير الطرابلسي (دراسة نصية)، رسالة الماجستير جامعة بنها، 1998م .

137-محمد بن بادي الكنتاوي مقدم العي المصروم شرح نظم ابن أُبّ لآجروم، تحقيق صديق حاج أحمد، رسالة ماجيستير جامعة الجزائر ، 2004-2005 .

138- محمد بن منوفي، شعر ابن سهل الأندلسي دراسة أسلوبية، أطروحة دكتوراه دولة، إشراف د.صلاح يوسف عبد القادر، جامعة الجزائر.

139-احمد ابالصافي جعفري، الحركة الأدبية في إقليم توات، أطروحة ماجيستير، إشراف أ.د. مختار بوعناني، جامعة وهران السانية- الجزائر، 2003/2002.

سادسا: المجلات:

140-إبراهيم رمَّاني، النص الغائب في الشعر العربي الحديث، مجلة الوحدة العدد (48) 1988.

141- شاكر سبع نتيش الاسدي، الجملة الاعتراضية في القرآن الكريم حقائق واوهام، كلية الاداب – جامعة ذي قار، مجلة آداب ذي قار، العدد2، المجلد1، ديسمبر 2010.

142-مجلة الدراسات التاريخية، العدد10، معهد التاريخ، بوزريعة ، الجزائر، 1997م.

143-محمد عزام، التناص في الشعر مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد 368 كانون الأول 1987م.

144- وفيق سليطين، في إدارة الكلام على الكلام "من التضمين إلى التناص"، جريدة الاسبوع الادبي العدد 981 تاريخ 2005/11/12.

سابعا: الملتقيات:

145-أحمد ابالصافي جعفري، المخطوطات اللغوية وأعلامها في الخزائن والمكتبات التواتية من القرن 10هـ إلى نهاية القرن 14هـ – دراسة بيبليوغرافيا في الموضوعات والأعلام-، بحث مقدم في الملتقى الدولي حول إسهامات علماء المغاربة في خدمة اللغة العربية وترقيتها- جامعة وهران، أيام 26-27-28 أكتوبر 2009.

ثامنا: الموسوعات:

146- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب.

تاسعا: الروايات الشفوية:

147-لقاء مع الأستاذ عبد القادر بن الوليد، يوم 11-2013/03/12 على الساعة العاشرة صباحا.

148-لقاء مع السيد الحاج عبد الله بن سيدي عبد السلام بكراوي، يوم 2013/04/07 على الساعة الخامسة مساءً.

فـــهـــــرس
الـــمـــوضـــوعـــات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء
كلمة شكر
ملخص
مقدمة
مدخل: توات والحياة الثقافية والفكرية بها.....14
الفصل الأول: الحركة الأدبية بتوات
- نشأة الحركة الأدبية بتوات.....27
1- بوادر الحركة العلمية والثقافية في توات.....28
2- العلماء و المؤلفون.....36
3- تأثر وتأثير الحركة العلمية بتوات.....57
4- مكونات الحركة الأدبية بتوات.....60
الفصل الثاني: شعراء توات وأهم أغراض شعرهم
ت- شعراء منطقة توات:.....76
1- الشعراء الفحول.....76
2- شعراء المناسبات.....85
ث- الأغراض الشعرية في الشعر التواتي.....99
- المدح.....100
- الزهد والتصوف.....104
- التوسل.....107

- التواضع.....108
- الحكم والنصح والإرشاد.....108
- المقدمات الطللية.....109
- الفخر 110
- نظم العلوم.....112

الفصل الثالث: ابن أب حياته وآثاره

- حياة الشاعر محمد بن أُبّ المزمري (ت.1160 هـ).....117
1- حياته ونسبه.....117
2- تعلمه وشيوخه.....118
3- رحلاته وتنقلاته 119
4- تلاميذه.....120
5- وفاته.....122
6- مؤلفاته.....122
7- دراسة لشعر ابن أب.....125
8- قصيدة ابن أب على البحر الجديد.....143

الفصل الرابع: شعر ابن أب أسلوبيا

ث- الدراسة الصوتية لشعر ابن أب.....149
1- الموسيقى الخارجية.....150
- الوزن.....150

- الظواهر الإيقاعية.....154
- القافية 156
2- الموسيقى الداخلية.....158
- الجهر والهمس.....159
- أصوات الشدة واللين.....160
- النبر والتنغيم.....161
ج- الدراسة التركيبية والنحوية في شعر ابن أب.....164
- الخبر والإنشاء.....164
- الخبر.....164
- الإنشاء.....166
- الاستفهام.....169
- النداء.....171
ح- التناص في شعر ابن أب.....173
1- التناص مع القرآن الكريم.....176
2- التناص مع الحديث النبوي الشريف.....183
3- التناص مع التراث العربي.....184
خ- الدراسة التحليلية لبعض قصائد ابن أب.....189
خاتمة.....201
ملاحق.....207
المصادر والمراجع.....212
فهرس الموضوعات.....226